بَريقُ الجُمان
بشرح أركان الإيمان

تأليف
الدكتور/ محمد محمدي بن محمد جميل
النورستاني

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

فإن العقيدة الصحيحةَ هي أصلُ دين الإسلام، وأساسُ الملة، ومعلومٌ بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنةِ أن الأعمالَ والأقوالَ إنما تصح وتُقبَل إذا صدرت عن عقيدةٍ صحيحة، فإذا كانت العقيدةُ غيرَ صحيحة : بطل ما يتفرعُ عنها من أعمال وأقوال، قال تعالى : [المائدة: 5]، وقال تعالى : [الزمر: 65]، وقال تعالى : [سورة النساء: 124]، فقيَّد ذلك بقوله : . وقال تعالى في غير المؤمن : [الفرقان: 23]، وقال تعالى : [هود: 16]. إلى غيرها من الآيات الكريمة.

وقد دلَّ كتابُ الله تعالى وسنةُ رسوله الأمين على أن العقيدةَ الصحيحةَ تتلخص في : الإيمان بالله تعالى، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليوم الآخر، وبالقدَر خيرِه وشرِّه، فهذه الأمورُ الستة هي أصول العقيدة الصحيحة التي نزل

بها كتابُ الله العزيز، وبعثَ الله تعالى بها رسولَه محمداً – عليه الصلاة والسلام -.

ويتفرّعُ عن هذه الأصول كلُّ ما يجب الإيمانُ به من أمور الغيبِ وجميعُ ما أخبرَ الله تعالى به ورسولُه مما يجب اعتقادُه في حق الله سبحانه وتعالى وفي أمر المعاد وغير ذلك من المغيَّبات، كالتصديق بخبَرِ أصحابِ الكهف، وخروج الدَّجَّال، وخروج يأجوج ومأجوج، ونحو ذلك.

وأدلةُ هذه الأصول الستة في الكتاب والسنةِ كثيرةٌ جداً سيأتي ذكرُ بعضِها في مواضعها، ومن ذلك : قولُ الله سبحانه : [illegible] [البقرة: 177]، وقولُه سبحانه : [illegible] [البقرة: 285].

وقولُه سبحانه : [illegible] [النساء: 136].

وقولُه سبحانه : [illegible] [الحج: 70].

ومن الأحاديث الصحيحة الدالة على هذه الأصول : الحديث المشهور الذي أخرجه مسلمٌ في أول صحيحه من حديث أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب أن جبريل سألَ النبيَّ عن الإيمان، فقال له : «الإيمان : أن تؤمنَ بالله، وملائكتِه، وكتبِه، ورسلِه، واليوم الآخر، وتؤمنَ بالقدَر خيرِه وشرِّه»، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة [1].

وسأخصص كلَّ أصل من هذه الأصول الستة بباب مستقل، أبدأ البابَ الأولَ ببيان حقيقة الإيمان؛ ثم أذكر نواقضَ الإيمان في بابٍ سابع، وأختم الرسالةَ بخاتمةٍ فيها بعضُ الأصول التي لم يَرِد ذكرُها أثناء الأبواب الستة، ويسبق كل ذلك تمهيدٌ أُوَضِّحُ فيه بعضَ ما يُستحسنُ ذكرُه في بداية الرسالة، وبالله سبحانه وتعالى أستعين، وعليه

1 (?) صحيح البخاري (ح/50)، وصحيح مسلم (ح/9).

التكلان.

التمهيد

مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية :

أولاً : تعريف العقيدة :

العقيدة لغة : فَعِيْلـةٌ بمعـنى مفعـول، أي : المعقـودة التي عقدَ عليها القلبُ وعزمَ بالقصـدِ البليـغ، وهي مـأخوذة من العقد، وهو الشّـدُّ والربـطُ والإيثـاق والثبـوت والإحكـام، وعَقد الحبل : شَدَّ بعضه ببعض، نقيض حلـه، وفي القـرآن : ﴿[illegible]﴾ [المائدة: 89]، وتعقيدُ الأيمان إنما يكون بقصـد القلبِ وعزمِه، بخلاف لغو اليمين التي تجـري على اللسـان بدون قصد.

العقيدة اصطلاحاً : (العقيدةُ) في الاصطلاح العام هي : الإيمانُ الجازمُ والحكمُ القاطعُ، الذي لا يتطرَّقُ إليه الشكُّ لدى المعتَقِد، وهذا معنى (العقيدة) في الاصطلاح العام، بصرفِ النظرِ عن نوع الاعتقاد: حقٍّ أو باطلٍ.

وسمِّيَ (عقيدةً) لأنَ الإنسانَ يعقِدُ عليها قلبَه.

وقد شاع مصطلحُ (العقيدة) في دراسات علماء المسلمين على المباحث المتعلِّقةِ بالله تعالى، من حيث وجودُه، وربوبيّته، وألوهيّته، وأسماؤه، وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوصُ الصحيحةُ من أصول الدين، وأمورِ الغيب، وأخبارِه، وما أجمع عليه السلفُ الصالحُ، والتسليمُ لله تعالى في الحكم والأمر، والقدر والشرع، ولرسوله بالطاعةِ والتحكيمِ والاتباع.

فالمراد بالعقيدة هنا : هو الإيمانُ الجازمُ بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد، والإيمان بملائكتِه وكتبِه، ورسله، واليوم الآخر، والقَدَرِ خيرِه وشَرِّه، وبما يتفرع عن هذه الأصول ويلحق بها مما هو من أصول الدين.

ثانياً : التعريف بأهل السنة والجماعة :

1- السنة : لغة : السيرة، حسنة كانت أم سيئة.

وقد تكرر في الحديث ذكر (السنة) وما تصرف منها، والأصل فيها : الطريقة والسيرة.

واصطلاحاً : اختلف العلماء في معنى (السنة) اصطلاحاً، ويهمنا هنا معناها عند المحدثين والسلف قديما وحديثا.

أ= فالسنة عند المحدثين : تطلق على ما أضيف إلى النبي من قوله وفعلِه وتقريره، فهي مرادِفةٌ للحديث.

ب= والسنة عند كثير من السلف قديماً وحديثاً : تتناولُ موافقةَ الكتاب والسنة في العبادات والاعتقادات، إلا أنه يغلبُ استعمالها في موافقة الكتاب والسنة في الاعتقادات، وهذا هو الذي يقصده مَن ألّفَ في (السنة) من علماء أهل السنة والجماعة.

ج= وعند أكثر السلف قديماً : هي موافقة كتاب الله تعالى وسنةِ الرسول وأصحابه - رضي الله عنهم أجمعين -، سواءً في أمور الاعتقادات أو العبادات.

ويقابل (السنة) على هذا الإطلاق : البدعة، فيقال : فلان على السنة : إذا كانت أعماله على وفق الكتاب والسنة، ويقال : فلان على البدعة : إذا كانت أعمالُه مخالفةً للكتاب والسنة أو أحدهما. وهذا الإطلاقُ أشملُ.

2- الجماعة : لغة : من (جمع)، يقال : جَمْعُ المتفرق، والجماعةُ ضد الفرقة.

واصطلاحاً : اختلفت عبارات أهل العلم في تحديد (الجماعة) الواردة في مصطلح «أهل السنة والجماعة»، والذي أُخِذَ من قول النبيِّ - عند بيانِه للفرقة الناجية - : «هي الجماعة »، وذكر بعضُ العلماء فيها ستةَ أقوال مع ذكر أدلتها؛ وهي باختصـار :

1- السواد الأعظم من أهل الإسلام.
2- إجماع العلماء المجتهدين.
3- الصحابة على الخصوص.
4- جماعة أهل الإسلام، إذا اجتمعوا على أمر.
5- جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.
6- جماعة الحق وأهله.

ولا تعارض بين هذه الأقوال من حيث المعنى؛ فتفسير (الجماعة) بالصحابة هو: باعتبار كونهم على الحق، وهم أهله، وكانوا السواد الأعظم، كما أنهم سَلَفٌ لمن بعدهم باعتبار أنهم مأخوذٌ عنهم؛ فليس المراد إذاً : أنهم وحدهم أهل السنة والجماعة.

والأقوال المذكورة في تفسير (الجماعة) - على اختلاف ألفاظها - تجتمع معانيها في حق أهل السنة، ودائرةٌ على اعتبار أنهم هم أهل السنة والاتباع.

3- أهل السنة والجماعة :

أهل الرجل : أخص الناس به، وأهل البيت: سكانهُ، وأهل الإسلام : من يدين به، وأهل المذهب : من يدين به، وأهل الأمر : وُلاتُه.

فأهل الشيء : أخص الناس به.

و (أهل السنة والجماعة) هم : أخص الناس بالسنة والجماعة، وأكثرهم تمسكاً بها واتباعاً لها قولاً وعملاً واعتقاداً.

وهم الصحابةُ والتابعون ومن تبعهم بإحسان من العلماء المجتهدين، السائرين على منهج الكتاب والسنة، ومن تبعهم في ذلك، إلى أن يرث الله تعالى الأرضَ ومـن عليها.

ثالثاً : قواعد عامة في اعتقاد أهل السنة والجماعة :

من القواعد العامة التي تُمَيـِّزُ منهجَ أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد :

1- مصادر عقيدة أهل السنة والجماعة : نظراً لأن عقيدة أهل السنة والجماعة توقيفيّة؛ فهي تقوم على التسليم بما جاءَ عن الله تعالى، وعن رسوله ، دون تحريف ولا تأويل، ولا تعطيل ولا تمثيل.

ولها مصدران أساسيّان، هما :

أ- القرآن الكريم.

ب- ما صحَّ عن رسول الله .

والإجماعُ المعتبرُ في تقرير العقيدة مبنيٌّ على الكتاب والسنةِ أو أحدِهما.

والفطرةُ والعقلُ السليمُ : رافدان مؤيدان لا

يَستَقِلَّان بتقرير تفصيلاتِ العقيدةِ وأصولِ الدين، فهما يوافقان الكتابَ والسنةَ ولا يعارضانهما.

وإذا وردَ ما يوهِمُ التعارضَ بين النقل والعقل : اتهمنا عقولَنا؛ فإن النقلَ الثابتَ مقدَّمٌ ومُحكَّمٌ في الدين، فتقديمُ عقول الناس وآرائهم الناقصة والمتضاربة على كلام الله تعالى ورسولِه الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه : ضلالٌ وتعسف، وهو سببُ ضلال كثيرٍ من الفرق الكلاميةِ وغيرِها.

2- ما صحَّ عن رسول الله وإن كان من أخبار الآحاد : وجبَ قبولُه واعتقادُه، والعملُ به إن كان من المسائل العمليَّة.

3- ما اختُلِف فيه من أصول الدين : فمردُّه إلى الله تعالى ورسولِه (الكتاب والسنة) كما فهمَهما الصحابةُ والتابعون، والتابعون لهم من أئمة الدين.

4- أصول الدين والعقيدة توقيفيةٌ قد بيّنها رسولُ الله بالقرآن والسنة، وعليه : فكلُّ محدثةٍ في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، كما صحَّ عن الرسول .

فليس لأحد أن يُحدِثَ أمراً من أمور الدين زاعماً أنه يجب التزامُه أو اعتقادُه؛ فإن الله تعالى أكملَ الدين وانقطع الوحي، وختمت النبوة؛ لقوله تعالى : [illegible] [المائدة: 3]، وقولِه : «من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[1]، وهذا الحديثُ قاعدةٌ من قواعد الدين، وأصلٌ من أصول العقيدة.

5- لا يجوز تأويلُ نصوص العقيدة، ولا صرفُها عن ظاهرها بغير دليل شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصوم .

ولا خصوصيَّةَ لنصوص العقيدة في عدم جواز التأويل المذموم، بل هذا الحكم عامٌّ في جميع نصوص الشرع، ولكن وجَبَ التنبيهُ عليه هنا لِما أنّ هذا الباب قد عمَّت فيه بليَّةُ التأويل بأسماء مختلفة.

****

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/2697)، ومسلم (ح/1718) عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها-.

الباب الأول
الإيمان بالله تعالى

وفيه فصلان :

الفصل الأول : في بيان معنى الإيمان وما يتعلق به، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث : الاستثناء في الإيمان.

الفصل الثاني : في الإيمان بالله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بربوبيّة الله تعالى.

المبحث الثاني : الإيمان بألوهيّةِ الله تعالى، وفيه أربعةُ مطالب :

المطلب الأول : تعريفه ومكانته.

المطلب الثاني : شهادة أن لا إله إلا الله.

المطلب الثالث : العبادة.

المطلب الرابع : أساليب القرآن في الدعوة إلى الإيمان بألوهيّةِ الله تعالى.

المبحث الثالث : الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاتِه، وفيه ثلاثةُ مطالب :

المطلب الأول : طريقةُ أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاتِه.

المطلب الثاني : أقسام الصفات.

المطلب الثالث : قواعد مهمة في توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الأول

في بيان معنى الإيمان وما يتعلق به.

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني : زيادة الإيمان ونقصانه.

المبحث الثالث : الاستثناء في الإيمان.

المبحث الأول

تعريف الإيمان لغةً واصطلاحاً :

أولاً : تعريف الإيمان لغةً :

الإيمانُ لغةً : مصدرُ آمَنَ يؤمِنُ إيماناً فهو مؤمن، وأصلُ آمَن (أَأْمَنَ) – بهمزتَين – لُيِّنَت الثانية، وهو من الأمن ضد الخوف.

وقد عُرّف الإيمانُ في اللغة بعدة تعريفات : فأكثرُ المتكلمين على أنه : التصديق، وقيل : هو الثقة، وقيل : هو الطمأنينة، وقيل : هو الإقرار.

والصحيح أن الإيمانَ في اللغةِ ليس مرادفاً للتصديق؛ لأن هناك فروقاً بين الإيمان والتصديق في اللفظ والمعنى تمنع دعوى الترادف.

 أما الفروق في اللفظ فمنها : أنّ الكلمةَ إذا كانت بمعنى الكلمة : فإنها تتعدى بتعديتها، ومعلومٌ أنّ (التصديقَ) يتعدّى بنفسه، و(الإيمان) لا يتعدّى بنفسه، فنقول مثلاً : صدّقته، ولا نقول : آمنته، بل نقول : آمنت به، أو : آمنت له، فلا يمكن أن نفسِّرَ فعلاً لازِماً لا يتعدّى إلاّ بحرف الجر، بفعلٍ مُتَعَدٍّ ينصبُ المفعولَ به بنفسه [1].

 أما الفروق في المعنى فمنها :

1- أنّ التصديقَ أعمُّ في المتعلَّق : فإنّ كلَّ خبرٍ، سواء كان عن مشاهدة، أو عن غيب؛ يُقال للمُخبِرِ عنه في اللغة : صدقت، كما يُقال : كذبت، أمّا لفظُ الإيمان : فلا يُستَعمل إلاّ في الخبر عن غائب، فلو قال: طلعت الشمس، أو غربت : لا يُقال : آمَنّاه، كما يُقال : صدّقناه؛ لأنّ الإيمانَ مشتقٌّ من (الأمن)، فيُستَعمل في خبرٍ يؤتمَن عليه الـمُخبِر، كالأمر الغائب، ولهذا لم يوجد في القرآن وغيره قط : آمَنَ له، إلاّ في هذا النوع، والاثنان إذا اشتركا في معرفة الشيء يُقال : صدّقَ أحدُهما صاحبَه، ولا يُقال : آمنَ له؛ لأنه لم يكن غائباً عنه وائتمنَه عليه، ولهذا قال تعالى : ﴿ ﴾ [العنكبوت: 26

[1] (?) انظر: (شرح العقيدة الواسطية) للشيخ ابن عثيمين (ص/573).

]، ﴿[illegible]﴾ [التوبة: 61] ، فيصدِّقُهم فيما أخبروا به مما غـابَ عنـه، وهـو مـأمونٌ عنـده على ذلـك، فاللفـظُ متضـمِّنٌ مـع التصـديق معـنى الائتمـان والأمانة، كمـا يـدل عليـه الاسـتعمال والاشـتقاق، ولهـذا قـالوا : ﴿[illegible]﴾ [يوسـف: 17] ، أي : لا تُقِـرُّ بخبرنا، ولا تَثِـقُ بـه، ولا تطمئِنُّ إليـه، ولـو كنـا صـادقين؛ لأنهم لم يكونوا عنده ممن يؤتَمَنُ على ذلك، فلو صدقوا لم يأمن لهم[1].

2- «الإيمـان أوسـع في المـدلول» : لأنّ لفظَ (الإيمـان) يضم معانِي الحب، والموالاة، وضدُّه الكفر، الذي يضم معانِي البغض والمعاداة، والتصديق والتكذيب يخلــوان من هذه المعانِي.

3- أنّ لفـظَ الإيمـان في اللغـة لا يُقابـل بالتكـذيبِ كلفـظ التصديق؛ فإنه من المعلوم في اللغة : أنّ كلَّ مُخبِرٍ يُقال له : صدقت، أو كـذبت، ويُقـال : صـدّقناه، أو كـذّبناه، ولا يُقـال لكـل مُخبِرٍ : آمَنّـا لـه، أو كـذبناه، ولا يُقـال : أنت مؤمنٌ له، أو مكذِّبٌ له.

بل المعروفُ في مقابلة الإيمـان لفـظُ الكفـر، يُقـال : هو مؤمن أو كافر، والكفرُ لا يختصُّ بالتكذيب، بل لـو قـال قائلٌ للرسول ﷺ : أنا أعلم أنـكَ صـادقٌ، لكن لا أتبعـك، بـل أعاديـك وأبغضـك، وأخالفـك، ولا أوافقـك : لكـان كفـرُه أعظم.

فلمّا كـان الكفـرُ المقابـلُ للإيمـان ليس هـو التكـذيب فقط : عُلِمَ أنّ الإيمـانَ ليس هـو التصـديق فقـط، بـل إذا كان الكفرُ يكون تكذيباً، ويكون مخالفةً ومعاداةً، وامتناعــاً بلا تكذيب : فلا بد أن يكـون الإيمـانُ تصـديقاً مـع موافقـةٍ وموالاةٍ وانقياد، لا يكفي مجرّدُ التصديق

والخلاصة : أنّ كلمـة (صـدقت) لا تُعطي معـنى كلمـة (آمنت)؛ فإنّ (آمنت) تـدلُّ على طمأنينـةٍ بخـبره أكـثرَ من (صدقت)، ولهذا لو فُسِّـرَ الإيمـانُ بـالإقرار : لكـان أجـود، فنقول: الإيمان : الإقرار، ولا إقــرارَ إلاّ بتصـديق، فتقـول :

---

1 (?) انظر : (الإيمان) لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص/227-229).

أقرَّ به، كما تقول : آمنَ به، وأقرَّ لـه، كمـا تقـول : آمَنَ له [1].

فليس الإيمانُ هو التصديق فحسب، وإنما هو تصديقٌ وزيادة، وهي الأمن والطمأنينة، فهو متضمِّنٌ للالتزامِ بالمؤمَن به، سواء كان خبراً، أو إنشاء، بخلاف لفظ التصديق المجرد.

ثانياً : تعريف الإيمان شرعاً :

الإيمانُ في اصطلاح الشرع هو: اعتقادٌ بالقلب، ونطقٌ باللسان، وعملٌ بالأركان.

وهو يشتملُ على قول القلب واللسان، وعملِ القلب واللسان والجوارح، وفيما يلي عرضٌ موجز لبعض الأدلة الدالة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان :

أولاً : قولُ القلب، وهو تصديقُه واعتقـادُه وإيقانُـه، قـال تعـــــالى: [الزمـــر: 33-34]، وقــال تعــالى: [الأنعام: 75]، وقال تعالى: [الحجــرات: 15]، وقــال تعــالى في المرتـابين الشـاكِّين : [آل عمران: 167].

وفي حديث الشـفاعة : «يخـرج من النـارِ مَن قـال (لا إلهَ إلا الله) وفي قلبه وزنُ شعيرةٍ من خيرٍ»[2]، وغير ذلـك من الأدلة.

ثانياً : قول اللسان، وهو النطقُ بالشـهادتَين؛ شـهادة أن لا إلــه إلا اللــه، وأن محمــداً رســول اللــه، والإقــرار بلوازمهـا، قـال تعـالى: [البقـــرة: 136]، وقـــال تعـــالى: [القصـص: 53]، وقـال تعـالى: [الشـورى: 15]، وقـال تعـالى:

---

1 (?) انظر : (شرح العقيدة الواسطية) للشيخ ابن عثيمين (ص/573-574).

2 (?) رواه البخاري (ح/44)، ومسلم (ح/193).

[illegible] [الزخـرف: 86]، وقـال تعـالى: [illegible] [الأحقاف: 13].

وقال ﷺ : «أمِرتُ أن أقاتلَ النـاسَ حـتى يشـهدوا أن لا إلـهَ إلا اللـه، وأنَّ محمـداً رسـول الله»[1]، وغـير ذلـك من النصوص.

ثالثـاً : عمـل القلب، وهـو النيـة والإخلاص والمحبـة والانقياد والإقبال على اللـه ﷻ والتوكـل عليـه ولـوازم ذلـك وتوابعه، قال تعالى: [illegible] [الأنعام: 52]، وقال تعالى: [illegible] [الليـل: 20]، وقـال تعـالى: [illegible] [الأنفـال: 2]، وقـال تعـالى: [illegible] [المؤمنون: 60].

وغير ذلـك من النصـوص الدالـة على وجـوب التوكـل، والخوف، والرجاء، والخشية، والخضـوع، والإنابـة، وغيرهـا من أعمال القلوب، وهي كثيرةٌ جداً في الكتاب والسنة.

رابعاً : عملُ اللسان، وهـو العمـلُ الـذي لا يـؤدَّى إلا بـه، كتلاوة القرآن، وسائر الأذكار من التسبيح، والتحميد، والتكبـير، والـدعاء، والاسـتغفار، وغـير ذلـك من الأعمـال الـتي تـؤدَّى باللســان، قــال تعــالى: [illegible] [فــاطر: 29]، وقــال تعــالى: [illegible] [الكهف: 27]، قال تعالى: [illegible] [الأحزاب: 41-42]، وقال تعـالى: [illegible] [المزمل: 20]، وغير ذلـك من نصـوص الشـرع الدالَّة على أعمال اللسان والطاعات التي تؤدَّى به.

خامساً : عمل الجوارح، وهـو العمـلُ الـذي لا يـؤدَّى إلا بها، مثل القيام، والركـوع، والسـجود، والمشـي في مرضـاة اللــه، كنقـل الخطـا إلى المسـاجد وإلى الحج والجهـادِ في

---

[1] (?) رواه البخاري (ح/25)، ومسلم (ح/22).

سبيل الله، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدّى بالجوارح، قـال تعالى: [illegible] [البقرة: 238]، وقال تعالى: [illegible] [الحج: 77-78]، وقـــال تعـــالى: [illegible] [الفرقـــان: 63-64].

والنصوصُ في هذا كثيرةٌ جداً.

هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

وهذا الإيمانُ يشملُ : الإيمانَ بكل ما أخبر الله تعالى به في كتابه، أو أخبرَ عنه رسولُه [illegible] من أمـور الغيب والشـهادة جملـةً وتفصـيلاً، ومن ذلـك : الإيمـانُ باللـه تعـالى وتوحيـدُه بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وكذلك بقيـةُ أركـان الإيمان الستة.

المبحث الثاني

زيادة الإيمان ونقصانه :

الإيمانُ يزيدُ بالطاعة، وينقص بالمعصية، وعليه إجماعُ أئمة السنة، نقلَ الإجماعَ عددٌ من الأئمة، كالبخاري – رحمه الله تعالى – وغيره، كما سيأتي.

والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه كثيرةٌ جدا، وهي في القرآن فقط أكثر من عشرة أنواع، كل نوعٍ يضم عدداً من الآيات، وأقتصر هنا على النوع الأول، وهو الآيات التي فيها التصريحُ بزيادة الإيمان :

لقد وردَ التصريحُ بزيادة الإيمانِ في ستة مواضع من القرآن الكريم، منها :

1- قولُـه تعـالى : [illegible] [آل عمران: 173].

2- وقولُه تعالى : [illegible] [الأنفال: 2].

3- [illegible] [التوبة: 124].

4- [illegible] [الأحزاب: 22].

وقد استدلَّ بهـذه الآيـات وغيرهـا على زيـادة الإيمـان ونقصـانه أئمـةُ المسـلمين قـديماً وحـديثاً، والأمـرُ في استعراضِها يطول.

كما أنّ الأحاديث الدالـةَ على زيـادة الإيمـان ونقصـانه كثيرة جداً منها :

1- مـا رواه أبـو هريـرة [illegible] قـال : قـال رسـولُ اللـه [illegible] : «الإيمــانُ بضــعٌ وســبعون – أو بضــعٌ وســتون – شــعبة، فأفضلُها : قول (لا إله إلا الله)، وأدناها : إماطـةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان»[1].

فقـد جعـلَ الحـديثُ القـولَ من الإيمـان، فقـال [illegible] : «أعلاها : قولُ لا إله إلا الله»، كما أنـه [illegible] جعـل العمـلَ من

[1] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/9)، ومسلم (ح/35)، واللفظ له.

الإيمــان فقــال : «وأدناهــا : إماطــة الأذى عن الطريق»، وهذا يدل على أن الإيمان قولٌ وعملٌ، خلافاً للمرجئة.

كما أن قولَه : «أفضلُها» وقولَه : «أدناها» يدل على زيــادة الإيمــان ونقصــانِه صــراحةً، حيث أفــاد أن للإيمــان أفضل وأدنى.

2- مــا رواه أنس بن مالــك عن النــبي أنــه قــال: «يخرجُ من النار مَن قـال (لا إلـهَ إلا اللـه) وفي قلبـه وزنُ شعيرةٍ من خير، ويخرج من النار مَن قال (لا إلـهَ إلا اللـه) وفي قلبه وزنُ بُرَّةٍ من خير، ويخرج من النـار من قـال (لا إله إلا الله) وفي قلبه مثقالُ ذرةٍ من خير»[1].

والــدليل من الحــديث على زيــادة الإيمــان ونقصــانه قولُه : «وفي قلبـه مثقـالُ شـعيرة ... بُـرّة ... ذرّة»، فهـو نصٌّ على نقصانه حتى يصير إلى هذا القـدر الصـغير، وقـد وردَ في بعض روايات الحديث – وهو حديث الشفاعة – أن النبيَّ قال: «فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول : انطلــق فــأخرِجْ مَن كــان في قلبــه أدنى أدنى أدنى مثقــال حبــةِ خردلٍ من إيمان، فأُخْرِجْـه من النـار، فـأنطلقُ فأفعل»[2]، فقولُه : «أدنى أدنى أدنى» دليل صريحٌ على النقصان.

وقد نقلَ كثيرٌ من الأئمة إجماعَ أهل السنة والجماعة على القول بزيادة الإيمان ونقصانه، من ذلك ما قاله الإمام أبو عبيد القاسم بن سلاّم : (ت224هـ) :

«هذه تسميةُ مَن كان يقول : الإيمانُ قولٌ وعمل، يزيد وينقص...»، فسمّى أكثر من مائةٍ وثلاثين رجلاً من أهل العلم، من الصحابةِ وغيرهم، ثم قال : «هؤلاء كلُّهم يقولون : الإيمانُ قولٌ وعمل، يزيد وينقص، وهو قولُ أهل السنة، والمعمولُ به عندنا»[3].

وقال الإمام البخاريُّ : (ت256هـ) : «كتبت عن ألفٍ وثمانين رجلاً، ليس فيهم إلاّ صاحبُ حديث، كانوا يقولون :

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/44)، ومسلم (ح/193/366)، واللفظ للبخاري.

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/7510)، ومسلم (ح/193/367).

3 (?) رواه ابن بطة في (الإبانة) (2/814-برقم/1117)، وذكرَه شيخُ الإسلام في (الإيمان) (ص/242-243).

الإيمانُ قولٌ وعمل، يزيد وينقص»[1].
وقال الإمامان الرازيان : أبو حاتم، وأبو زرعة :
«أدركنا العلماءَ في جميع الأمصار : حجازاً، وعراقاً، ومصراً، وشاماً، ويَمَناً، فكان من مذهبهم : أنّ الإيمانَ قولٌ وعمل، يزيد وينقص...»[2].

1 (?) حكاه الذهبيُّ في (السير) (12/395) عن ورّاق البخاري، وروى اللالكائي عنه بنحوه في (شرح أصول الاعتقاد) (5/959-برقم/1597)، وعنه الحافظ في الفتح (1/61) في شرح ترجمة أول أبواب الإيمان .

2 (?) رواه عنهما ابنُ أبِي حاتم في رسالة (أصل السنة واعتقاد الدين) (ص/16).

المبحث الثالث
الاستثناء في الإيمان

الاستثناءُ في الإيمان هو قولُ الإنسان : أنا مؤمنٌ إن شاء الله تعالى.

وكان السلفُ يكرهون سؤالَ الرجل لغيره : أمؤمنٌ أنت ؟ ويكرهون الجواب عن ذلك؛ لأن هذه بدعةٌ أحدثها المرجئة ليحتجوا بها لقولهم.

ومع أن هذا السؤالَ بدعة، إلا أن الجوابَ عن هذا السؤال يكون بالتفصيل، وهو أنه يجوز الاستثناءُ باعتبار، وتركُه باعتبار[1].

أما ترك الاستثناء : فإن المستثني إن أرادَ الشكَّ في أصل إيمانه : مُنِع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه.

وأما جوازُ الاستثناء – وهو الأصلُ - : فلاعتبارات أخرى، ومُسَوِّغاتُ جوازِ الاستثناء في الإيمان خمسة :

1- أنّ الإيمانَ المطلقَ شاملٌ لكل ما أمرَ الله به، والبُعد عن كل ما نهى عنه، ولا يدَّعي أحدٌ أنه جاءَ بذلك كلِّه على التمام والكمال.
2- أنّ الإيمانَ النافعَ هو المتقبَّل عند الله تعالى.
3- الابتعاد عن تزكية النفس، وليس هناك تزكية لها أعظمُ من التزكية بالإيمان.
4- أنّ الاستثناءَ يَصِحُّ أن يكون في الأمور المتيقَّنة غيرِ المشكوكِ فيها أصلاً، كما جاءت به نصوصُ الكتاب والسنة، منها قولُه تعالى : **﴿لَتدْخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاءَ الله ءامنين﴾** [الفتح: 27]، مع أنّ دخولَهم مكةَ لم يكن فيه شكٌّ. ومن ذلك قولُه ﷺ حين وقفَ على المقابر : «وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون»[2].
5- أن المرءَ المسلمَ لا يدري بمَ يُختم له، وكيف تكون خاتمتُه، فيستثني خوفاً من سوء الخاتمة، ويسأل الله

---

[1] (?) انظر : (الإيمان) لشيخ الإسلام (ص/334)، (شرح العقيدة الطحاوية) لابن أبي العز الحنفي (2/495).

[2] (?) أخرجه مسلم (ح/249) من حديث أبي هريرة ﷺ ، و(ح/974) من حديث عائشة – رضي الله عنها-.

حسنَ الختام، والثباتَ على الإيمان إلى الممات[3].

فالاستثناءُ في الإيمان جائزٌ مشروع؛ لأن الإيمـانَ عنـد أهل السنة والسنة شاملٌ للاعتقادات والأقـوال والأعمـال، فإذا سئل أحدُهم هذا السؤال : استثنى في إيمانـه مخافـةَ عدم تكميل الأعمال والأقوال التي بكمالها يكملُ الإيمــان، فيقول أحدُهم إذا أجاب : أنـا مـؤمنٌ إن شـاء اللـه تعـالى، أو : مؤمنٌ أرجو، أو نحو ذلك.

وليس هذا لأجـل الشـك في أصـل الإيمـان، وإنمـا هـو تركاً لتزكية النفس، والشهادة لها بتكميل الأعمال، وكذلك بقية الاعتبارات السابقة.

---

3 (?) انظر التفصيل في : (الإيمان) لشيخ الإسلام (ص/348-357)، (شرح العقيدة الطحاوية) (2/495-496).

الفصل الثاني
في الإيمان بالله تعالى

الإيمـانُ باللـه تعـالى أسـاسُ قواعـد وأركـان الإيمـان وأصلُها، وهو يعني الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى ربُّ كـل شيء ومليكه، وأنه الخالق وحده، المدبر للكون كله، وأنـه هـو الـذي يسـتحق العبـادةَ وحـده لا شـريك لـه، وأن كـلَّ معبود سواه : فهو باطل، وعبادتُه باطلة، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الحج: 62]، وأنــه ســبحانه متَّصِــفٌ بصفات الكمالِ ونعوتِ الجلال، منَزَّهٌ عن كل نقصٍ وعيب.

وهـذا هـو التوحيـدُ بأنواعـه الثلاثـة : توحيـد الربوبيـة، وتوحيد الألوهيـة، وتوحيـد الأسـماء والصـفات، وفيمـا يلي شرح كل نوع منه في ثلاثة مباحث.

المبحث الأول

الإيمان بربوبية الله تعالى

أولاً : تعريفُه :

الإيمانُ بربوبية الله تعالى هو الإقرار الجازمُ بأن الله تعالى وحده ربُّ كل شيء ومليكه، وأنه الخالقُ للعالَـم، وهو المدبر، المحيي، المميت، وهو الرزاق، ذو القوة المتين.

وكلمة (الرب) في اللغة تطلق على معان : على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم[1].

وأما الرب من حيث كونُه اسماً من أسماء الله تعالى فمعناه : مَن له الخلقُ والأمرُ والملك، فـ«هو ربُّ كلِّ شيء، أي : مالكُه، وله الربوبيّـةُ على جميع الخلق لا شريك له»[2].

ثانياً : أدلة الإيمان بالربوبية :

أدلة الإيمان بالربوبية كثيرةٌ ومتنوعة، تدل على تفرد الله تعالى بالربوبيةِ على خلقه أجمعين، فقد جعل الله تعالى لخلقه أموراً لو تأملوها حق التأمل وتفكروا بها: لَدَلَّتْهم إلى أن هناك خالقاً مدبراً لهذا الكون.

والقـرآن مليءٌ بـذكر الأدلـة على ربوبيـة اللـه تعـالى، فمن ذلـك قولُـه تعـالى: ﴿[illegible]﴾، وقـال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الذاريات: 58]، وقـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [يس: 82-83]، وقـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 164]، وقـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [الروم: 40].

ومن الدلالات على ربوبية الله تعالى على خلقه :

1- دلالة الفطرة : ذلك أن الله سبحانه فطَرَ خلقَه على الإقرار بربوبيته، وأنه الخالقُ الرازقُ المدبر، المحيي المميت، فالإيمانُ بالربوبيةِ أمرٌ جلي مركوزٌ في فطرة

---

[1] (?) قاله ابن منظور في (لسان العرب) (1/399-ربب).

[2] (?) تهذيب اللغة، للأزهري (15/176).

كل إنسان، ولا يستطيع أحدٌ دفعَه ولا رفعَه.

ولهذا فإن المشركين في الجاهلية كانوا مقرين بربوبيةِ الله تعالى مع شركهم بالألوهية، وهذا مبثوثٌ في ثنايا أشعارهم، من ذلك قولُ عنترة[1] :

ياعبلُ أين من المنيةِ * إن كان ربي في

وقول زهير ابن أبي سلمى[2] :

فلا تكتُمُنَّ الله ما في * ليخفى ومهما يُكتمِ اللهُ

يؤخِّر فَيُوضَعْ في كتابٍ * ليوم الحساب أو يُعجَّلْ

وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن، قال تعالى: [العنكبوت: 61]، وقال تعالى: [الزخرف: 87]، وقال تعالى: [الزخرف: 9]، وقال تعالى: [المؤمنون: 86]، وهذا في القرآن كثير، يذكر الله سبحانه عن المشركين أنهم يعترفون لله بالربوبيةِ والانفرادِ بالخلقِ والرزقِ والإحياءِ والإماتة.

2- دلالة الأنفس : فالنفسُ آيةٌ كبيرةٌ من آيات الله تعالى الدالة على ربوبيته، ولو أمعن الإنسانُ النظرَ في نفسه وما فيها من العجائب : لَعلِمَ أن وراء ذلك ربًّا حكيماً عليماً خالقاً قديراً، قال تعالى: [التغابن: 3]، وقال تعالى: [الشمس: 7]، وقال تعالى : [الذاريات: 21].

3- دلالة الآفاق : قال تعالى: [فصلت: 53]، فلو تأمّل الإنسانُ الآفاقَ وما أودع الله تعالى فيها من الغرائب والعجائب : لأدركَ أنّ هناك خالقاً ومدبراً لهذه الأكوان، وأنه عليم

1 (?) ديوان عنترة (ص/74).

2 (?) ديوان زهير بن أبي سلمى (ص/25).

حكيم.

ثالثاً : إنكار الربوبية :

لم ينكــر ربوبيّــةَ اللــه تعــالى إلا شــواذٌّ من البشــر، تظاهروا بإنكار الربِّ – تبارك وتعالى - مع اعترافهم به في باطن أنفسهم وقرارةِ قلوبهم، وإنكارُهم له إنما هو من باب المكابرة؛ كما ذكر الله تعالى عن فرعون أنه قــال: ﴿[illegible]﴾ [القصــص: 38]، وقــد خاطبَه موسى ﷺ بقولــه: ﴿[illegible]﴾ [الإســراء: 102]، وقــال تعــالى: ﴿[illegible]﴾ [النمل: 14].

وهم لم يستندوا في جحودهم إلى حجة، وإنما ذلك مكابرةً منهم، كما قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الجاثيــة: 24]؛ فهم لم ينكـــروا عن علمٍ دلَّهم على إنكاره ولا سمع ولا عقل ولا فطرة.

ولمـا كان هذا الكون وما يجري فيه من الحوادث شاهداً على وحدانية الله تعالى وربوبيَّته؛ إذ المخلوقُ لا بدَّ له من خالق، والحوادثُ لا بد لها من مُحدِث؛ كما قال تعــالى: ﴿[illegible]﴾ [الطــور: 35]، وقال الشاعر :

وفي كل شيءٍ له آيةٌ   *   تدلُّ على أنه واحدُ

لَـمّا كان لا بدَّ من جواب عن هذه الحقيقة : اضــطربَ هؤلاء المنكرون لوجود الخالقِ في أجوبتهم :

فتارةً يقولون : هذا العالَـمُ وُجد نتيجــةً للطبيعــة، الـتي هي عبـــارة عن ذات الأشـــياء من النبـــات والحيـــوان والجمادات؛ فهذه الكائنات عندهم هي الطبيعة، وهي التي أوجدت نفسَها !

أو يقولون : هي عبارة عن صفات الأشياء وخصائصِــها من حـرارة وبـرودة ورطوبـة ويبوسـة وملاسـة وخشـونة، وعن هـذه القابليـات من حركـة وسـكون ونمـوّ وتـزاوج وتوالــد؛ هــذه الصــفاتُ وهــذه القابليــات هي الطبيعــة بزعمهم، وهي التي أوجدت الأشياء !!

وهـذا قـول باطـل على كلا الاعتبـارين؛ لأن الطبيعـةَ بالاعتبـار الأول على حـد قـولهم تكـون خالقـةً ومخلوقـة؛ فالأرضُ خلَقت الأرض، والسماءُ خلقت السماء...وهكـذا ! وهذا مستحيل.

وإذا كـان صـدورُ الخلـق عن الطبيعـة بهـذا الاعتبـار مستحيلاً : فاستحالتُه بالاعتبار الثـاني أشـد اسـتحالة؛ لأنـه إذا عجـز ذاتُ الشـيء عن خلقـه : فعَجـزُ صـفته من بـاب أولى؛ لأن وجود الصفة مرتبطٌ بالموصوف الذي تقوم بـه، فكيـف تخلقُـه وهي مفتقِـرةٌ إليـه ؟! وإذا ثبتَ بالبرهـان حدوثُ الموصوف : لزم حدوث الصفة.

وأيضاً : فالطبيعةُ لا شعورَ لها، فهي آلةٌ محضة، فكيف تصدرُ عنهـا الأفعـالُ العظيمـةُ الـتي هي في غايـة الإبـداع والإتقان، وفي نهاية الحكمة، وفي غاية الارتباط.

ومن هؤلاء الملاحدة مَن يقول : إن هذه الكائنات تنشأ عن طريق المصادفة، بمعنى أن تجميع الذرات والجزئيات عن طريق المصادفة يؤدي إلى ظهور الحياة بلا تـدبيرٍ من خالقٍ مدبِّرٍ ولا حكمة !!

وهـذا قـولٌ باطـل تـردُّه العقـولُ والفِطَـر؛ فإنـك إذا نظـرتَ إلى هـذا الكـون المنظَّم بأفلاكـه وأرضـه وسـمائه وسيرِ المخلوقات فيه بهذه الدقة والتنظيم العجيب : تـبيّن لك أنه لا يمكن أن يصدر إلا عن خالقٍ حكيم.

فـ«سَلِ المعطلَ الجاحد : ماذا تقـول في دولابٍ دائـرٍ على نهر، وقد أُحكِمَت آلاتُه، وأُحكِمَ تركيبُه، وقُدِّرَت أدواتُه أحسن تقـدير وأبلغِـه، بحيث لا يـرى النـاظرُ فيـه خللاً في مادته ولا في صورته، وقد جُعل على حديقةٍ عظيمة، فيهـا من كل أنواع الثمار والـزروع، يسـقيها حاجتهـا، وفي تلـك الحديقةِ مَن يلِمُّ شعثَها، ويُحسن مراعاتها وتعهدها والقيام بجميع مصالحها، فلا يختـلُّ منهـا شـيء، ثم يقسـم قيمتهـا عنــد الجــذاذ على أحســن المخــارج بحســب حاجــاتهم وضروراتهم، فيقسم لكل صنفٍ منهم ما يليقُ به، ويقسمه هكذا على الدوام...

أترى هذا اتفاقاً بلا صانع ولا مختارٍ ولا مدبر، بـل اتفـق وجودُ ذلـك الـدولاب والحديقـةِ وكـل ذلـك اتفاقـاً من غـير

فاعل ولا قيّمٍ ولا مُدبِّر ؟!

أفترى ما يقول لك عقلُك في ذلك لو كان ؟! وما الذي يفتيك به ؟ وما الذي يرشدك إليه ؟!

ولكن من حكمة العزيز الحكيم أن خلقَ قلوباً عمياً لا بصائرَ لها، فلا ترى هذه الآياتِ الباهرة إلا رؤيةَ الحيوانات البهيمية، كما خلقَ أعيناً عمياً لا أبصارَ لها»[1].

[1] (?) من كلام الإمام ابن القيم في (مفتاح دار السعادة) (2/69).

المبحث الثاني
الإيمان بألوهيّة الله تعالى

وفيه أربعةُ مطالب :

المطلب الأول : تعريفُه ومكانتُه :

الإيمانُ بألوهيّة الله تعالى هو : إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة.

ويُسمى باعتبار إضافتِه إلى الله تعالى بتوحيد الألوهية، وباعتبار إضافتِه إلى الخلق بتوحيد العبادة، وتوحيد العبودية، وتوحيد الله بأفعال العباد، وتوحيد العمل، وتوحيد القصد، وتوحيد الإرادة والطلب؛ لأنه مبني على إخلاص القصد في جميع العبادات بإرادة وجه الله تعالى.

وهـذا الـذي من أجلـه خلـقَ اللـه الجنَّ والإنس، قـال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الـذاريات: 56]، ومن أجله أرسلَ الله الرسل وأنزلَ الكتب، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء: 25].

وهـو أول دعـوة الرسـل وآخرهـا، قـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [النحـل: 36]، وهـو أولُ الـدين وآخـرُه، فـأولُ مـا دعـا إليـه الرسولُ ﷺ شـهادةُ أن لا إلـهَ إلاّ اللـه، قـال ﷺ : «أمِـرتُ أن أقاتـلَ النـاسَ حـتى يشـهَدوا أن لا إلـهَ إلاّ اللـه»[1]، وقـال لِمعـاذ ؓ : «إنـك تـأتِي قومـاً أهـلَ كتـابٍ، فليكن أول مـا تدعوهم إليه : شهادةُ أن لا إلهَ إلاّ الله وأنّ محمداً رسـول الله»[2].

وكما أنه أول ما دعا إليه النبيُّ ﷺ : فقد ذكر فضلَ ختمِ العمـلِ بـه، فقـال ﷺ في الصـحيح من روايـة مسـلم عن عثمـان ؓ : «مَن مـات وهـو يعلم أن لا إلـهَ إلاّ اللـه دخـلَ الجنة»[3]، وفي الحديث الصحيح عن أبِي هريرة ؓ : «لَقِّنوا

---

1 (?) متفق عليه عن ابن عمر – رضي الله عنهما -، أخرجه البخاري (ح/25)، ومسلم (ح/22).

2 (?) متفقٌ عليه، أخرجَه البخاريُّ (ح/1458) ومواضع أخرى، ورواه مسلم (ح/29/19-31).

3 (?) أخرجه مسلم (ح/26).

موتاكم لا إلهَ إلاّ الله»[1]، وفـي السـنن من حـديث معـاذ : «مَن كان آخرُ كلامه لا إلهَ إلاّ الله دخـلَ الجنـة»[2]،...وهي الكلمةُ التي عرضَها على عمّه أبي طالب عند الموت [3].

ومن أجل هذا التوحيد قامت الخصومةُ بين الأنبياء وأممِهم، وبين أتباعِ الأنبياءِ من أهل التوحيد وبين أهل الشرك وأهلِ البدعِ والخرافات، ومن أجله جُرِّدت سيوفُ الجهاد في سبيل الله، وهو أولُ الدين وآخرُه، بل هو حقيقةُ دين الإسلام، وهو يتضمن الإيمانَ بربوبية الله تعالى، وبأسمائه وصفاتِه؛ لأن مَن عبدَ الله تعالى وحده، وآمَنَ بأنه المستحقُّ وحده للعبادة : دلَّ ذلك على أنه مؤمنٌ بربوبيَّتِه وبأسمائه وصفاتِه؛ لأنه لم يفعل ذلك إلا لأنه يعتقد بأن الله تعالى وحده هو المتفضِّلُ عليه وعلى جميع عباده بالخلق والرزق والتدبيرِ وغير ذلك من خصائص الربوبية، وأنه تعالى له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العلى التي تدل على أنه المستحقُّ للعبادة وحده لا شريك له.

والحديث عن هذا النوع من التوحيد لن يتم إلا بالحديث عن شهادة أن «لا إله إلا الله»؛ لأن هذا التوحيد هو مضمون تلك الشهادة.

وكذلك بالحديث عن العبادة؛ لأن الألوهية معناها العبادة، وأن الإله معناه المعبود، ولهذا يُسمى هذا النوعُ من التوحيد توحيد العبادة، فمن الضروري معرفة العبادة أيضاً، وسأتحدث عن الموضوعين في المطلبين الآتيَين – الثاني والثالث - :

---

1 (?) أخرجه مسلم (ح/917).

2 (?) أخرجَه أبو داود (3/318-ح/3116) في الجنائز، باب في التلقين، وأحمد (5/233) [36/363-ح/22034 من ط: الرسالة]، والحاكم (1/351)، وابن مندة في (التوحيد) (2/45-ح/187)، والحديثُ صحيح، ولفظ أحمد : «وجبت له الجنة».

3 (?) (مجموع فتاوى شيخِ الإسلام) (34-35).

المطلب الثاني : شهادة أن لا إله إلا الله :

أولاً : معناها وفضلُها :

معنى شهادة أن «لا إله إلا الله» إجمالاً : لا معبود بحق إلا الله تعالى، أي : لا أحد يستحق أن يُعبدَ إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يُدعى إلا الله تعالى، ولا يجوز أن يصلى أو يُنذر أو يُذبح إلا لله تعالى، وهكذا بقية أنواع العبادة، لا يستحقُّ أحدٌ أن تُصرف له سوى الله تعالى.

و«لا» نافية للجنس، و«إلهَ» اسمُها، وخبرُها محذوفٌ تقديرُه «حق».

و«إله» من ألَهَ – بالفتح – يألَهُ إلاَهةً، والمعنى : عبدَ يعبدُ عبادة.

والإلهُ هو المعبودُ المطاع الذي تألهُه القلوبُ بالمحبةِ والتعظيم، والخضوع والخوف، وتوابع ذلك من بقية أنواع العبادة.

واسم «الله» عَلَمٌ على ذات الرب تعالى المقدسة، لا يُطلق إلا عليه سبحانه وتعالى، وأصلُه «إله»، حذفت الهمزة، وعوض مكانها «أل» التعريف.

فهذه الكلمةُ العظيمةُ تشتملُ على ركنين أساسيين :

الأول : النفي، وهو نفيُ الإلهيةِ عن كل ما سوى الله تعالى، ويدل عليه كلمةُ «لا إله»، فهي تنفي أن يكون غيرُ الله تعالى مستحقاً للعبادة.

الركن الثاني : الإثبات، وهو إثباتُ الإلهية لله تعالى، ويدل عليه كلمة «إلا الله»، فهي تُثبِت أن الله تعالى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فالله هو المستحق للعبادة وحده لأنه هو الخالق، الرازق، المالك، المدبر لجميع الأمور، فيجب على جميع العباد أن يُفردوه بالعبادة شكراً له على نعمِه العظيمةِ عليهم.

فهذه الكلمةُ هي حقاً : كلمةُ التوحيد، والعروةُ الوثقى، وكلمةُ التقوى، وفي شأنها تكون السعادةُ والشقاوةُ في الدنيا وفي القبر ويوم القيامة، فبالتزامها والقيامِ بحقوقها تثقل الموازين، وبها تكون النجاةُ من النار بعد الوِرد، والفوزُ بجنات النعيم، وبعدم التزامها أو التفريطِ في حقوقها تخف الموازين، ويكون العذابُ في القبر ويوم

القيامة.
وهي حق الله على جميع العباد، وهي أول واجب وآخر واجب، فهي أول ما يدخل به العبدُ في الإسلام، وآخر ما ينبغي أن يخرج به من الدنيا.
وهي سببٌ لعصمة دم المسلمِ ومالِه وعرضِه إلا بحقها، وبها انقسمت الخليقةُ إلى مؤمنين وكفار، وأبرار وفجار...

ثانياً : شروطُها ونواقضُها :

دلت النصوصُ الشرعيةُ الكثيرةُ على أن الفوائد والفضائلَ العظيمةَ لكلمة التوحيد – التي سبقت الإشارةُ إلى بعضها – والتي من أهمها : الحكم بإسلام صاحبها، وعصمة دمه ومالِه وعرضه، ودخول الجنة، وعدم الخلود في النار...دلَّت النصوصُ على أنّ هذه الفضائلَ لكلمة التوحيد لا تحصل لكل مَن نطق بهذه الكلمة، بل لا بد من توافر جميع شروطها، وانتفاءِ جميع نواقضها، فكما أن الصلاة لا تُقبل ولا تنفع صاحبَها إلا إذا توافرت جميعُ شروطها، وانتفت مبطِلاتُها : فكذلك هذه الكلمة، لا تنفع صاحبَها إلا باستكمال شروطها وانتفاء نواقضها.
ولذلك لما قيل لوهب بن منبه – رحمه الله تعالى - : أليس مفتاحُ الجنة «لا إله إلا الله» ؟ قال: بلى، ولكن ليس مفتاحٌ إلا له أسنان، فإن جئتَ بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك[1].
ولما قيل للحسن البصري : : إن ناساً يقولون : مَن قال لا إله إلا الله دخلَ الجنة؟ قال : مَن قال «لا إله إلا الله» فأدّى حقَّها وفَرْضَها دخل الجنة.
ومن أجل عدم تحقُّق بعض هذه الشروط لم تنفع هذه الكلمةُ جميعَ المنافقين الذين نطقوا بها وفعلَ كثيرٌ منهم بعضَ شعائر الإسلام الظاهرة.
ويدل على وجوب توفُّر شروط هذه الكلمةِ وعلى وجوب انتفاءِ موانعِها على وجه الإجمال قولُه : «أُمِرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا (لا إله

1 (?) رواه البخاري تعليقاً في فاتحة الجنائز، ووصله الحافظ في (تغليق التعليق) (2/453-454).

إلا الله) : عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقها، وحسابُهم على الله»[1]، فيدخل في حقها : الإتيانُ بشروطها، واجتنابُ نواقضها.

أ- شروطُ «لا إله إلا الله» : وقد دلّت النصوصُ الشرعيةُ على أن لهذه الكلمةِ العظيمةِ سبعةَ شروط، وهي:

الشرط الأول : العلمُ بمعناها الذي تدل عليه، فيعلم أنه لا أحدَ يستحق العبادةَ إلا الله تعالى، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [محمد: 19].

الشرط الثاني : اليقين المنافي للشك، فلا بد أن يؤمن إيماناً جازماً بما تدل عليه هذه الكلمةُ من أنه لا يَستحق العبادةَ إلا الله تعالى؛ فإن الإيمانَ لا يكفي فيه إلا علمُ اليقين، لا الظن ولا التردد، قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الحجرات: 15].

فمَن كان غير جازم في إيمانه بمدلول هذه الكلمة، أو كان شاكاً مرتاباً أو متوقفاً في ذلك : لم تنفعه هذه الكلمةُ شيئاً.

الشرط الثالث : القبول المنافي للرد، فيقبل بقلبه ولسانه جميعَ ما دلّت عليه هذه الكلمة، ويؤمن بأنه حق وعدل، قال تعالى عن المشركين: ﴿[illegible]﴾ [الصافات: 35-36].

فمَن نطقَ بهذه الكلمةِ ولم يقبل بعضَ ما دلّت عليه إما كبراً أو حسداً أو لغير ذلك : فإنه لا يستفيدُ من هذه الكلمةِ شيئاً.

الشرط الرابع : الانقيادُ المنافي للترك، فينقادُ بجوارحه بفعل ما دلّت عليه هذه الكلمةُ من عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [لقمان: 22]، ومعنى ﴿[illegible]﴾: ينقاد، ومعنى ﴿[illegible]﴾ : أي موحِّد.

فمَن قالها وعرفَ معناها ولم ينقد بالإتيان بحقوقها

---

[1] (?) أخرجه البخاري (ح/1399) من حديث عمر، ورواه مسلم (ح/20، 21، 22) من حديث عمر، وأبي هريرة، وعبدِ الله بن عمر، وجابر ، واللفظ له.

ولوازمِها من عبادة الله، والعملِ بشرائع الإسلام، ولم يعمل إلا ما يوافقُ هواه أو ما فيه تحصيل دنياه : لم يستفد من هذه الكلمة شيئاً.

الشرط الخامس : الصدق المنافي للكذب، وهو أن يقول هذه الكلمةَ صدقاً من قلبه، يوافقُ قلبُه لسانَه، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت: 1-3].

ولذلك لم ينتفع المنافقون من نطقهم بهذه الكلمة؛ لأن قلوبَهم مكَذِّبَةٌ بمدلولها، فهم يقولونها كذباً ونفاقاً.

الشرط السادس : الإخلاص المنافي للشرك، فلا بد من تصفيةِ العملِ بصالح النيةِ عن جميع شوائبِ الشرك، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الزمر: 2]، فمَن أشرك بالله تعالى في أي نوع من أنواع العبادة: لم تنفعه هذه الكلمة.

الشرط السابع : المحبة، فلا بد أن يحبَّ المسلمُ هذه الكلمةَ ويحبَّ ما دلّت عليه، ويحبَّ أهلَها العاملين بها الملتزمين بشروطها، ويُبغضَ ما ناقضَ ذلك، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 165].

ب- نواقضُ «لا إله إلا الله» : أما نواقضُ لا إله إلا الله - وتسمى نواقض الإيمان ونواقض التوحيد – وهي الخصال التي تحصل بها الردة عن دين الإسلام : فهي كثيرة، وهي تجتمعُ في ثلاثة نواقض رئيسة، وهي : الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الاعتقادي، وهي كلها تناقض أصلَ الإيمان.

وهناك وسائل إلى الشرك الأكبر، وهي وإن لم تكن تناقض أصلَ الإيمان، إلا أنها من منقِصاته، وسيأتي الحديث عنها كلها في الباب السابع إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث : العبادة :

العبادةُ في اللغة : الذل، يُقال : طريقٌ مُعَبَّد؛ إذا كان مذَلَّلاً قد وطأته الأقدامِ.

وأما العبادة شرعاً : فقد اختلفت عباراتُ العلماء في المبنى مع اتفاقهم في المعنى:

فعرفها طائفةٌ منهم بأنها : ما أُمِرَ به شرعاً من غير اطِّرادٍ عرفي ولا اقتضاءٍ عقلي.

وعرّفها بعضُهم بأنها : كمالُ الحب مع كمال الخضوع[1].

وعرّفها بعضُهم بأنها : اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة[2].

وهذا التعريفُ أدقُّ وأشمل؛ فالدينُ كله داخلٌ في العبادة، ومَن عرَّفها بكمال الحب مع كمال الخضوع : فلأن الحبَّ التامَّ مع الذلِّ التام يتضمنان طاعةَ المحبوب والانقيادَ له، فالعبدُ هو الذي ذلَّله الحبُّ والخضوعُ لمحبوبه، فبحسب محبة العبدِ لربِّه وذُلِّه له تكون طاعتُه، فكمال محبة العبد لربه وذلُّه له يتضمنان عبادتَه له وحده لا شريك له.

فالعبادةُ المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، وهي تتضمن ثلاثة أركان هي : المحبة، والرجاء، والخوف، ولا بد من اجتماعها؛ لأن مَن تعلق بواحدٍ منها فقط : لم يكن عابداً لله تمام العبادة :

- فعبادةُ الله تعالى بالحب فقط : هي طريقةُ مُنْحَرِفي الزهاد.
- وعبادتُه بالرجاء وحده : طريقةُ المرجئة.
- وعبادتُه بالخوف فقط : طريقةُ الخوارج.

والمحبةُ المنفرِدةُ عن الخضوع لا تكون عبادة؛ فمَن أحبَّ شيئاً ولم يخضع له : لم يكن عابداً، كما يحب الإنسانُ ولدَه وصديقَه، كما أن الخضوعَ المنفرِدَ عن المحبة لا يكون عبادة، كمَن يخضعُ لسلطانٍ أو ظالِمٍ اتقاءً لشَرِّه.

---

1 (?) قال ابن القيم : :
وعبادة الرحمن غايةُ حبه * معْ ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلكُ العبادةِ دائـرٌ * ما دارَ حتى قامت القطبان

2 (?) قاله شيخ الإسلام في (العبودية) (ص/8).

ولهذا لا يكفي أحدُهما عن الآخر في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله تعالى أحبَّ إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء.

والعبادةُ هي الغاية المحبوبةُ لله تعالى والمرضية له، وهي التي خلَقَ الخلقَ من أجلها، قال تعالى: [الذاريات: 56]، وبها أرسلَ جميعَ الرسل، قال تعالى: [النحل: 36].

والعبادةُ لها أنواعٌ كثيرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبِرُّ الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الحيوان والأيتام والمساكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم، والدعاء، والذكر، والقرآن : كل ذلك من العبادة.

وكذلك حبُّ الله تعالى وحب رسوله ﷺ ، وخشيةُ الله تعالى والإنابةُ إليه : كل ذلك من العبادة، وكذلك الذبح والنذر والاستعاذة والاستعانة والاستغاثة.

فيجبُ صرفُ العبادة بجميع أنواعها لله تعالى وحده لا شريك له، فمَن صرفَ منها شيئاً لغير الله تعالى – كمَن دعا غيرَ الله تعالى، أو ذبحَ أو نذرَ لغير الله تعالى، أو استعانَ أو استغاثَ بميتٍ أو غائبٍ أو بحيٍّ حاضرٍ فيما لا يقدرُ عليه إلا الله تعالى- : فقد أشركَ الشركَ الأكبرَ، وأذنبَ الذنب الذي لا يُغفَر إلا بالتوبة، سواء صرفَ هذا النوعَ من العبادةِ لصنمٍ أو لشجر أو لحجر أو لنبي من الأنبياء أو وليٍّ من الأولياء حيٍّ أو ميت؛ فإن الله تعالى لا يرضى أن يُشركَ معه في عبادته أحد، لا ملَك مقرب ولا نبي مرسل ولا ولي ولا غيرهم، قال تعالى: [النساء: 48]، وقال تعالى : [الجن: 18]، وقال تعالى : [النساء: 36].

المطلب الرابع
أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى الإيمان بألوهيّة الله تعالى

لما كانت ربوبيّةُ الله تعالى قد أقرَّت بها الناسُ بموجب فِطَرِهم ونظرِهم في الكون، وكان الإقرارُ به وحده لا يكفي للإيمان بالله تعالى ولا يُنجي صاحبَه من العذاب : ركّزت دعواتُ الرسل لإ على الإيمان بألوهية الله تعالى، خصوصاً دعوة خاتم الرسل نبينا محمد – عليه وعليهم أفضلُ السلام – فكان يطالب الناسَ بقول «لا إله إلا الله» المتضمِّنة لعبادة الله، وترك عبادة ما سواه، فكانوا ينفرون منه ويقولون: ﴿[illegible]﴾ [ص: 5].

وحاولوا مع الرسول أن يتركَ هذه الدعوةَ ويخلي بينهم وبين عبادة الأصنام، وبذلوا في ذلك معه كلَّ الوسائل : بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى، وهو يقول : والله لو وضعوا الشمسَ بيميني، والقمرَ بشمالي، على أن أتركَ هذا الأمر : لا أتركه حتى يُظهره الله أو أهلك دونه.

وكانت آياتُ الله تعالى تتنزّلُ عليه بالدعوةِ إلى هذا التوحيد، والردِّ على شبهات المشركين، وإقامةِ البراهين على بطلان ما هم عليه.

وقد تنوعت أساليبُ القرآن الكريم في الدعوةِ إلى توحيد الألوهية، ومنها :

1- أمرُه سبحانه بعبادته وتركِ عبادةِ ما سواه، كما في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [النساء: 36]، وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 21].

2- إخبارُه سبحانه أنه خلقَ الخلقَ لعبادته، كما في قوله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الذاريات: 56].

3- إخبارُه أنه أرسلَ جميعَ الرسل بالدعوةِ إلى عبادته والنهيِ عن عبادة ما سواه، كقوله تعالى : ﴿[illegible]

﴿ [illegible] ﴾ [النحل: 36].

4- الاستدلال على توحيد الألوهيةِ بانفرادِه بالرُّبوبيةِ والخلقِ والتدبير، كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: 21]، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ [فصلت: 37]، وقوله: ﴿ [illegible] ﴾ [النحل: 17].

5- الاستدلال على وجوب عبادتِه سبحانه بانفرادِه بصفاتِ الكمال وانتفاءِ ذلك عن آلهة المشركين، كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [مريم: 65]، وقولِه: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: 180]، وقولِه عن خليلِه إبراهيم [illegible] إنه قال لأبيه: ﴿ [illegible] ﴾ [مريم: 42]، وقولِه: ﴿ [illegible] ﴾ [فاطر: 14]، وقولِه: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: 148].

6- ومنها تعجيزُه لآلهة المشركين، كقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأعراف: 191-192]، وقولِه تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الإسراء: 56]، وقولِه تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [النحل: 73]، وقولِه تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الحج: 73].

7- تسفيهُ المشركين الذين يعبدون غيرَ الله، كقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [الأنبياء: 66-67]، وقولِه تعالى: ﴿ [illegible]

[illegible] [الأحقاف: 5].

8- ومنها بيانُ عاقبة المشركين الذين يعبـدون غـيرَ اللـه، وبيـان مـآلهم مـع مَن عبَـدوهم، حيث تتـبرّأ منهم تلـك المعبودات في أحرج المواقف، كما في قولـه تعـالى : [illegible] [البقـــرة: 165-167]، وقولِـــه تعـــالى: [illegible] [فاطر: 14]، وقولِه تعـالى: [illegible] [الأحقـاف: 5-6]، وقولِـه تعـالى: [illegible] [ســـبأ: 40-41]، وقولِـــــه تعـــالى: [illegible] [المائدة: 116].

9- ومنها ردُّه سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسـائطَ بينهم وبين الله تعالى : بأن الشفاعةَ ملـكٌ لـه سـبحانه، لا تُطلبُ إلا منه، ولا يَشفعُ أحدٌ عنده إلا بإذنه بعد رضــاه عن المشفوع له؛ قال تعالى: [illegible] [الزمر: 43-44]، وقال تعـالى: [illegible] [البقرة: 55]، وقـال سـبحانه: [illegible] [النجم: 26]، فـــبيَّنَ ســـبحانه في هذه الآيات أن الشفاعةَ ملكه وحده، لا تُطلب إلا منه، ولا تَحصل إلا بعد إذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

10- ومنها أنه بيّنَ سبحانه أن هؤلاء المعبودين من دونـه لا يحصل منهم نفعٌ لمن عبدَهم من جميع الوجــوه، ومَن هذا شأنه لا يصلُح للعبادة؛ كما في قولـه تعـالى: [illegible]

[سبأ: 22].

11- ومنها أنه سبحانه ضرَبَ أمثلةً كثيرةً في القرآن يتّضحُ بهـا بطلانُ الشـرك، من ذلـك قولُـه سـبحانه :

[الحج: 31] :

- فشـبَّه سـبحانه المشـركَ بألوهيَّتِـه بالسـاقطِ من السماء إلى أسـفل سـافلين؛ لأنـه سـقطَ من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر.
- وشَبَّهَ الشياطينَ التي تلقفـه بـالطير الـتي تمـزّق أعضاءَه.
- وشبَّه هـواه الـذي يُبعِـده عن الحـق بـالريح الـتي ترمي به في مكان بعيد.

هـذا مثـالٌ واحـدٌ من أمثلـةٍ كثـيرةٍ في القـرآن الكـريم ذكرها الله سبحانه لبيان بطلان الشركِ وخسارةِ المشـركِ في الدنيا والآخرة.

وما ذُكر هنا من أسـاليب القـرآن الكـريم في الـدعوة إلى إفراد الله تعالى بألوهيّتِه وإبطال الشرك به قليـلٌ من كثـير، ومـا على المسـلم إلا أن يقـرأ القـرآنَ بتـدبُّرٍ ليجـد الخـيرَ الكثـير والأدلـةَ المُقنِعـة والـبراهين السـاطعة الـتي ترسخ عقيـدةَ التوحيـد في قلب المـؤمن، وتُقلِـعُ منـه كـلَّ شبهة.

المبحث الثالث
الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته

سبق أن ذكرنا أن التوحيدَ ثلاثة أنواع : توحيد الربوبيــة، وتوحيـد الألوهيـة، وتوحيـد الأسـماء والصـفات، وقـد سـبق الحـديث عن النـوعين الأولين، وكـل نـوع من هـذه الأنـواع جحدَه طائفةٌ من البشر :

1- فتوحيـد الربوبيـة : جحـدَه المعطلـةُ الـذين أنكـروا وجــودَ اللــه تعــالى؛ كالدهريــة والملاحــدة، ومنهم الشيوعية في العصر الحاضـر، وإن كـان جحـودهم له إنما هو في الظاهر مكابرةً منهم.
2- أما توحيد الألوهية : فقد جحـدَه أكـثرُ الخلـق، وهـو الذي بعثَ الله تعـالى رسـلَه وأنـزلَ كتبَـه بالـدعوة إليــه، وقــد جحــده المشــركون قــديماً وحــديثاً، وجحودُهم له يتمثـل في عبـادة الأشـجار والأحجـار والأصنام والقبور...
3- وأما توحيد الأسماء والصفات: فقد جحـده الجهميـةُ ومَن تابعهم من المعتزلة وغـيرهم من بعض الفـرق الإسلاميةِ، على تفاوتٍ بينهم في الجحود.

وهذا القسمُ داخـلٌ في توحيـد الربوبيـة، لكن لمـا كثُـرَ منكروه وروّجوا الشبَهَ حوله : أُفرِدَ بالبحث، وجُعـل قسـماً مستقلاً، وأُلِّفَت فيه المؤلفات الكثيرة.

والمرادُ بتوحيد الأسماء والصفات : إثبات مـا أثبتَـه الله تعالى لنفسـه أو أثبتَـه لـه رسـولُه ﷺ من صـفات الكمـال، ونفي ما نفاه الله تعالى عن نفسه أو نفاه عنــه رسـولُه ﷺ من صفات النقص، على حدِّ قول الله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: 11].

ولْيُعلَم أن أسماءَ الله تعالى وصفاتِه من الغيب الــذي لا يَعرفه الإنسانُ على وجـه التفصـيل إلا بطريـق السـمع؛ لأن البشرَ لا يُحيطون بالله تعـالى علمـاً، كمـا قـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [طه: 110]، والكلامُ في الصفات فـرعٌ عن الكلام في الذات.

فلا يمكن للعقل البشريِّ أن يستقِلَّ بـالنظرِ في أسـماء الله تعالى وصفاتِه ومعرفتِها على التفصيل إثباتاً ونفياً، ومَن

فعلَ شيئاً من ذلك فقد ضلَّ عن الصراط المستقيم.

فيجبُ على العبد أن يقفَ عند كلام اللـه تعـالى وكلامِ رسوله □ ، فيؤمن بجميـع مـا ثبتَ في النصـوص الشـرعيةِ من أسماء الله تعالى وصفاتِه، وينفي عنه تعـالى مـا نفـاه عن نفسه أو نفاه عنه رسولُه □ .

وقد دلّت النصوصُ الشرعيةُ الكثيرةُ على إثبـات صـفاتِ الكمال لله تعالى على وجه التفصيل، فيجب إثباتُها له تعـالى على الوجه اللائقِ بجلاله، كما دلّت النصوصُ أيضـاً على نفي صفاتِ النقص عنـه تعـالى، فيجبُ نفيُهـا عنـه وإثبـات كمـال ضدها له سبحانه وتعالى، وهذا هو الحقُّ الواجبُ في أسـماء الله تعالى وصفاتِه على وجه الإجمال.

والحــديث عن هــذا النــوع من التوحيــد ســيكون في المطالب الثلاثة الآتية :

المطلب الأول : طريقةُ أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى وصفاتِه :

طريقةُ أهل السـنة والجماعـة في أسـماء اللـه تعـالى وصفاتِه يمكن تلخيصُها في ثلاثة أمور رئيسة، وهي :

الأول : طريقتُهم في الإثبات :

طـريقتُهم في الإثبـات : إثبـاتُ مـا أثبتـه اللـه تعـالى لنفســه في كتابــه، أو على لســان رســوله □ من غــير تحريف[1]..، ولا

---

[1] (?) التحريفُ معناه : تغييرُ النص لفظاً أو معنى، والتغييرُ اللفظي قد يتغير معه المعنى وقد لا يتغير، فهذه ثلاثةُ أقسام:

1- تحريف لفظي يتغير معه المعنى، كتحريف بعضِهم قولَـه تعـالى : [illegible] بنصب لفظ الجلالةِ ليكون التكليمُ من موسى.

2- وتحريف لفظي لا يتغير معه المعنى، كفتح الدال من قوله تعالى : [illegible]، وهذا في الغالب لا يقع إلا من جاهل؛ إذ ليس فيـه غرضٌ مقصودٌ لفاعله غالباً.

3- تحريف معنوي : وهو صرفُ اللفظِ عن ظاهره بلا دليل، وهـذا كثـيرٌ عنـد المعطلة، من الجهميةِ والمعتزلةِ وغيرِهم، حيث يتأولون نصوصَ الصـفاتِ على غير تأويلها، ويدّعون فيهـا صـرفَ اللفـظ عن الاحتمـال الـراجحِ إلى الاحتمال المرجوحِ بغير دليل سوى آرائهم وشبهاتِهم الفاسدة التي ظنوها بينات، فتأويلُهم لنصوص الصفات حقيقتُه تحريفٌ لكلام الله تعـالى وكلامِ رسوله □ عن مواضـعه، وافـتراءٌ على اللـه تعـالى وعلى رسـوله □ ؛ فـإنَ التأويلَ الصحيح هو الذي يوافقُ ما جـاء في الكتـاب والسـنة، ومـا خـالفَ ذلك فهو باطل؛ فإن كل تأويـل لم يـدل عليـه دليـلٌ من السـياق ولا معـه قرينةٌ تقتضيه : فهذا لا يقصده الهادي المبين بكلامه؛ إذ لو قصـده لَــحَفَّ

تعطيل[1]، ومن غير تكييف[2]، ولا تمثيل[3]، فيؤمنون بأن جميع ما ثبتَ في النصوص الشرعيةِ من صفات الله تعالى : أنها صفاتٌ حقيقيةٌ تليق بجلال الله تعالى، وأنها لا تماثلُ صفاتِ المخلوقين.

ويؤمنون كذلك بجميع أسماء الله تعالى الثابتة في النصوص الشرعية، ويؤمنون بأن كل اسمٍ يتضمن صفةً لله تعالى، فالاسم «العزيز» يتضمن صفةَ العزة لله تعالى، والاسم «القوي» يتضمن صفةَ القوة له سبحانه، وهكذا بقية الأسماء.

وكلُّ ما ثبتَ لله تعالى من الصفات فهي صفاتُ كمال يُحمد عليها، ويُثنى بها عليه، وليس فيها نقصٌ بوجه من الوجوه، بل هي ثابتة له على أكمل وجه.

الأمر الثاني : طريقتُهم في النفي :

طريقتُهم في النفي : نفيُ ما نفاه الله تعالى عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله من صفات النقص، مع اعتقادهم ثبوتَ كمال ضد الصفة المنفيّةِ عن الله جلَّ وعلا.

وكلُّ ما نفاه الله تعالى عن نفسه فهي صفاتُ نقص، تنافي كمالَه الواجب، فجميعُ صفات النقص ممتنعةٌ على الله تعالى لوجوب كماله.

به قرائنَ تدل على المعنى المخالفِ لظاهره؛ حتى لا يوقعَ السامعَ في اللبس والخطأ؛ فإن الله تعالى أنزل كلامَه بياناً وهدًى، فإذا أرادَ به خلافَ ظاهره ولم يُلحق به قرائنَ تدل على المعنى الذي يتبادرُ غيرُه إلى فهم كل أحد : لم يكن بياناً ولا هدى، فالتأويلُ إخبارٌ بمراد المتكلم لا إنشاء، فإذا قيل : «معنى اللفظِ كذا وكذا» : كان إخباراً بالذي عناه المتكلمُ وأراده بكلامه، فإن لم يكن الخبرُ مطابقاً : كان كذباً عليه.

[1] (?) التعطيل معناه : إنكارُ ما يجبُ لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكارُ بعضها، فهو نوعان :
1- تعطيل كلي : كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الأسماءَ والصفات.
2- تعطيل جزئي : كتعطيل المعتزلة الذين ينكرون الصفات دون الأسماء، وكتعطيل بعض الفرق الكلاميةِ الذين ينكرون بعضَ الصفات ويؤولونها، ويثبتون بعضَ الصفات.

[2] (?) التكييفُ معناه : حكايةُ كيفية الصفة، كقول القائل : كيفيّةُ يد الله تعالى كذا وكذا، وكيفيّةُ نزوله تعالى إلى السماء الدنيا كذا وكذا... وقد يُقيّد أو يقرن هذه الكيفيّةَ بمماثلٍ فيقول مثلاً : نزولُ الله تعالى كيفيّتُه : كنزول المطر، تعالى الله عن ذلك، فيجمع بين التكييف والتمثيل.

[3] (?) التمثيل : إثباتُ مثيلٍ للشيء، كأن يقول : يدُ الله تعالى مثل يد الإنسان، تعالى الله عن ذلك.

وما نفاه الله تعالى عن نفسه : فالمرادُ به انتفاءُ تلــك الصفة المنفيةِ وإثباتُ كمال ضدِها، وذلك أن النفيَ لا يـدل على الكمال إلا إذا كان متضمِّناً لصفةٍ ثبوتيةٍ يُحمـد عليهـا؛ فإن مجرد النفي قد يكون سببُه العَجزُ فيكون نقصـاً، كمـا في قول الشاعر:

قُبَيِّلَةٌ لا يَغدرون بذمَّةٍ * ولا يَظلمون الناسَ حَبَّةَ

وقد يكون سببُه عدمُ القابلية فلا يقتضي مدحاً، كما لـو قلت : الجدارُ لا يظلم.

إذا تــبين هــذا : فممــا نفٰى اللــه تعــالى عن نفســه (الظلم)، والمرادُ به انتفاءُ الظلم عن الله تعالى مع ثبـوت كمـال ضـده لـه تعـالى، وهـو (العـدل)، ونفٰى عن نفسـه (اللغوب)، وهو التعبُ والإعياء، والمراد : نفي اللغوب مــع ثبوت كمال ضده له تعالى، وهو القوة، وهكذا بقية ما نفاه الله تعالى عن نفسه.

الأمر الثالث : طريقتُهم فيما لم يَرِد نفيُه ولا إثباتُه في الكتاب والسنة :

طـريقتُهم فيمـا هـذا سـبيلُه ممـا تنـازع النـاسُ فيـه، كالجسم، والحيز، والجهة، ونحو ذلك : التوقفُ في اللفــظ والاستفصالُ في المعنى.

فأما اللفظ : فيتوقفـون فيـه فلا يُثبتونـه لِعَـدَم وُرُودِه، ولا ينفونه؛ لأنه قولٌ على الله بغير علم[1].

وأما معناه : فيستفصـلون عنـه : فـإن أريـد بـه باطـلٌ يُنَزَّه الله تعالى عنه : رَدُّوه، وإن أريد به حق لا يمتنعُ على الله تعالى : قبلوه.

وهـذه الطريقــةُ هي الطريقــةُ الواجبــة، وهي القــولُ الوسـطُ بين أهـل التعطيـل وأهـل التمثيـل، وقـد دلَّ على وجوبها وصحتها العقلُ والسمع :

فأما العقلُ فوجهُ دلالتِـه : أن تفصـيلَ القـول فيمـا يجب ويجوز ويمتنعُ على الله تعالى أمرٌ لا يُـدرك إلا بالسـمع؛ لأنـه من أمر الغيب الذي لا يُحيط به الإنسانُ علماً، فـوجبَ اتبـاعُ

---

1 (?) كلُّ ما يتعلق بصفات الله تعالى لا يجوز إثباتُه ولا نفيُه إلّا بدليل، إلا إذا كان فيه نقص، فَيـُنْفَى عنه سبحانه، كنفي الأسنان والأضراس عنه تعالى؛ لأنها إنما يُحتاجُ إليها لمضغ الأكل، والله سبحانه منَزَّه عن الأكل.

السمع في ذلك بإثبات ما أثبته، ونفيِ ما نفاه، والسكوت عما سكت عنه.

وأما السمع : فمن أدلته قولُه تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: 180]، وقولُه: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: 11]، وقولُه: ﴿[illegible]﴾ [الإسراء: 36].

فالآيةُ الأولى : دلَّت على وجوب الإثبات من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل؛ لأن هذه الأمور الثلاثة من الإلحاد.

والآية الثانية : دلَّت على وجوب نفيِ التمثيل مع وجوب الإثبات.

والآية الثالثة : دلَّت على وجوب نفي التكييف، وعلى وجوب التوقفِ فيما لم يَرِد إثباتُه أو نفيُه.

المطلب الثاني : أقسام الصفات :

تنقسمُ صفاتُ الله تعالى من جهة تعلقها بذاتـه تعـالى وأفعالِه إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صفاتٌ ذاتية :

وهي الـتي لم يـزل ولا يـزال اللـه تعـالى متصـفاً بهـا، كـالعلم، والقـدرة، والحيـاة، والسـمع، والبصـر، والوجـه، واليـدين ... ونحـو ذلـك من الصـفات العُلا الـتي هي من لوازم ذاته تعالى.

القسم الثاني : صفاتٌ فعلية :

وهي الصفاتُ المتعلقةُ بمشيئة الله تعالى وقدرتِه، إن شـاء فعلَهـا، وإن شـاء لم يفعلهـا، كـالمجيء، والـنزول، والغضـب، والفـرح، ونحـو ذلـك، وتسـمى : الصـفات الاختيارية، أو الأفعال الاختيارية.

القسم الثالث : ذاتيةٌ باعتبار، وفعليةٌ باعتبـار آخر :

كصفةِ كلامِه تعالى؛ فـإنّ الكلامَ باعتبـار أصـلِه ونوعِـه صفةٌ ذاتيةٌ؛ لأن الله تعالى لم يزل ولا يزالُ متصـفاً بصـفة الكلام، أمّا باعتبار آحاد الكلام وأفـرادِه فصـفةٌ فعليـة؛ لأنّ الكلام يتعلق بمشيئتِه تعالى، فالله سـبحانه يُكلِّمُ مَن شـاءَ متى شاء كيف شاء، كمـا قـال تعـالى : **إنما أمـرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كُن فيكون** [يس: 82].

المطلب الثالث
قواعد مهمة في توحيد الأسماء والصفات

هناك قواعد مهمة ونقاط رئيسة نبّـه عليهـا العلمـاءُ في هذا الباب وهي باختصار:

القاعدة الأولى : القول في الصفات كالقول في الذات :

القـولُ في الصـفات كـالقول في الـذات يعـني : من حيث الثبوت ونفيُ المماثلة وعدم العلم بالكيفية، فكما أنّ ذات الله تعالى ثابتةٌ حقيقةً : كـذلك صـفاتُه ثابتـةٌ حقيقـةً، وكمـا أنّ ذات اللـه تعـالى لا تُماثِـلُ ذوات خلقـه : فكـذلك صـفاتُه سـبحانه لا تماثـلُ صـفاتِ خلقـه، وكمـا أنّ ذاتـه لا يمكن العلمُ بكيفيّتِهـــا : فكـــذلك صـــفاته؛ إذ العلمُ بكيفيَّةِ الصفات فرعٌ عن العلم بكيفيَّة الذات.

فالله سبحانه ليس كمثلـه شـيء، لا في ذاتـه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كـان لـه ذاتٌ حقيقـةً لا تماثـل الذوات : فالذات متصفةٌ بصفاتٍ حقيقـةً لا تماثـل صـفاتِ سائر الذوات.

فإذا قال القائل : كيف استوى على العرش ؟

قيل له – كما قال ربيعة ومالك رحمهما اللـه تعـالى- : الاسـتواء معلـوم، والكيـف مجهـول، والإيمـانُ بـه واجب، والسؤالُ عنه بدعة؛ لأنه سـؤالٌ عمّـا لا يعلمـه البشـر، ولا يمكنهم الإجابة عنه.

وكذلك إذا قال : كيف ينزل ربُّنا إلى سماء الدنيا ؟

قيل له : كيف هو ؟

فإذا قال : أنا لا أعلم كيفيتَه.

قيل لـه : ونحن لا نعلم كيفيـةَ نزولـه؛ إذ العلمُ بكيفيـة الصفةِ يستلزمُ العلمَ بكيفية الموصوف، وهو فرعٌ له وتابعٌ له، فكيف تطالبني بالعلم بكيفيةِ سـمعه وبصـره وتكليمِـه ونزولِه واستوائه، وأنت لا تعلم كيفيةَ ذاته ؟!

وإذا كنت تقر بأنّ له ذاتاً حقيقةً، ثابتة في نفس الأمر، مسـتوجبةٌ لصـفات الكمـال، لا يماثلهـا شـيء : فسـمعُه وبصرُه وكلامُـه ونزولُـه واسـتواؤه ثـابتٌ في نفس الأمـر، وهو متصـفٌ بصـفات الكمـال الـتي لا يشـابهه فيهـا سـمعُ

المخلوقين وبصرُهم، وكلامُهم ونزولُهم واستواؤهم.

القاعـدة الثانيـة : القـول في بعض الصـفات كالقول في بعضها الآخر :

بهـذه القاعـدة يُـردُّ على الـذين يُثبتـون بعضَ الصـفات وينفون بعضَها، كالـذين يُثبتـون للـه تعـالى الحيـاة، والعلم، والقـدرة، والسـمع، والبصـر، والكلام، والإرادة، ويجعلونهـا صفاتٍ حقيقية، ثم ينازعون في محبة اللـه تعـالى ورضـاه، وغضـبِه وكراهيتِـه، ويجعلـون ذلـك مجـازاً، أو يفسـرونه بالإرادة، أو يفسرونه بالنعم والعقوبات.

فيقال لهؤلاء : لا فرق بين ما أثبتموه وما نفيتموه، بـل القولُ في أحدهما كالقول في الآخر، فـإن كنتم تقولـون : حياتُـه وعلمُـه كحيـاة المخلـوقين وعلمِهم : فيلـزمُكم أن تقولوا في رضاه ومحبتِه كذلك.

وإن قلتم : لـه حيـاةٌ وعلمٌ وإرادة تليـق بـه، ولا تشـبه حيـاةَ المخلـوقين وعلمَهم وإرادتَهم : فيلـزمُكم أن تقولـوا في رضاه ومحبتِه كذلك.

وإن قلتم : إن الغضـــــبَ غليـــــانُ دم القلبِ لطلب الانتقــام؛ فكــذلك يقــال : الإرادةُ ميــلُ النفس إلى جلب مصلحةٍ أو دفع مضرة.

فـإن قلتم : هـذه إرادة المخلـوق، قلنـا : هـذا غضـبُ المخلوق.

وكذلك يُلزَمُ بالقولِ في كلامه، وسمعِه، وبصرِه، وعلمِه، وقدرتِه؛ فيُقال له: إن نفيتَ عن غضبِه تعالى ومحبَّتِه ورضاه ونحوِ ذلك : ما هو من خصائص المخلوقين = فهذا حقٌّ، وهو – أي : ما هو من خصائص المخلوقين – منتَفٍ عن السمع، والبصرِ، والكلام، وجميعِ الصفات.

وإن قلت : إنه لا حقيقةَ للغضبِ والمحبَّةِ والرضا ونحوِه إلّا ما يختصُّ بالمخلوقين، فيجب نفيُه عنه تعالى..

قيل لك : وهكذا السمعُ، والبصرُ، والكلامُ، والعلمُ، والقدرة، فيلزمُكَ نفيُها أيضاً.

فهذا المُفَرِّقُ بين بعض الصفات وبعض : يُقال له فيما نفاه كما يَقولُه هو لِمُنازِعِه فيما أثبتَه، فإذا قال المعتزِليُّ : ليس له إرادةٌ، ولا كلامٌ قائمٌ به؛ لأنّ هذه

الصفاتِ لا تقومُ إلاّ بالمخلوقات : فإنه[1] يُبيِّنُ للمعتزِلي أنّ هذه الصفاتِ يتصفُ بها القديم، ولا تكون كصفاتِ المحـدَثات؛ فهكذا يقولُ له المثبِتون لسائرِ الصفات، من المحبة، والرضا، ونحو ذلك.

وهذه القاعدة تتضح بالقاعدة اللاحقة.

القاعـــدة الثالثـــة : الاتفـــاقُ في الأســـماء لا يقتضي التساوي في المسَمَّيات :

إنّ الاشتراكَ في الأسماء والصفات لا يسـتلزمُ تماثـلَ المسـمَّياتِ والموصـوفات، كمـا دلَّ على ذلـك : السـمعُ، والعقل، والحس.

أمّا السـمع : فقـد قـال تعـالى عن نفسِـه : ﴿[illegible]﴾ [النسـاء: 58]، وقـال عن الإنســـــان : ﴿[illegible]﴾ [الإنسان: 2]، ونفى أن يكـون السـميعُ كالسميع، والبصيرُ كالبصير، فقال : ﴿[illegible]﴾ [الشورى: 11].

وكذلك سـمّى اللـه تعـالى نفسَـه حيـاً، حليمـاً، رؤوفـاً، رحيماً، مَلِكـاً، مؤمنـاً، عزيـزاً، جبـاراً، متكبِّراً، وسـمّى بعضَ عبـاده بتلـك الأســماءِ نفسِـها، ولكن ليس الحيُّ الخـالقُ كـالحي المخلـوق، ولا العليمُ كـالعليم، ولا الحليمُ كـالحليم، وكذلك في بقية الأسماء.

كما أنه تعالى أثبتَ لنفسِه علماً، وللإنسانِ علمـاً، فقـال عن نفسِـــه : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 235]، وقال عن الإنسان: ﴿[illegible]﴾ [الممتحنة: 10]، وليس علمُ الإنسان كعلم اللـه تعـالى، فقد قال تعـالى عن علمـه : ﴿[illegible]﴾ [طـه: 98]، وقـال : ﴿[illegible]﴾ [آل عمران: 5]، وقال عن علم الإنسـان : ﴿[illegible]﴾ [الإسراء: 85].

وكــذلك وصــفَ اللــه تعــالى نفسَــه بــالقوة، والإرادة،

---

[1] (?) أي : مَن يُثبت بعضَ الصفات وينفي بعضَها.

والمحبة، والرضا، والمقت، والغضب، والمنـاداة، والمناجـاة، والتكليم، والتعليم، والاستواء، وبسط اليدين، والإعطاء، ونحو ذلك من الصفات، ووصفَ بعضَ خلقه بهـذه الصـفات أيضـاً، ولكن ليس قـوةُ اللـه كقـوة خلقـه، ولا الإرادة كـالإرادة، ولا المحبة كالمحبة، ولا الرضا كالرضا، وكذلك بقية الصفات.

وأمّـا الـدليل العقلي : فمن المعلـوم بالعقـل أنّ المعانِي والأوصاف تتقيّدُ وتتميّـزُ بحسـب مـا تُضـافُ إليـه، فكما أنّ الأشياءَ مختلفةٌ في ذواتها : فإنهـا كـذلك مختلفـةٌ في صفاتِها، وفي المعانِي المضافةِ إليهـا؛ فـإنّ صـفةَ كـل موصوفٍ تناسِبُه، لا يُفهَمُ منها مـا يقصـرُ عن موصـوفِها أو يتجاوزُه، ولهذا نَصِـفُ الإنسـانَ بـاللِّين، والحديـدَ المنصَـهِرَ باللِّين، ونعلم أنّ اللِّينَ متفاوِتُ المعنى بحسب مـا أضـيفَ إليه.

وأمّـا الحس : فإننـا نشـاهِدُ للفيـل جسـماً، وقَـدَماً، وقوةً، وللبعوضةِ كذلك جسماً، وقدَماً، وقوةً، ونعلم الفرقَ بين جسميهما، وقدَميهما، وقوتَيهما.

فـــإذا عُلِمَ أنّ الاشـــتراكَ في الاســـمِ والصـــفةِ في المخلوقات لا يستلزِمُ التماثـلَ في الحقيقـة، مـع كـون كـلٍّ منهما مخلوقاً ممكِناً : فانتفـاءُ التلازُمِ في ذلـك بين الخـالِقِ والمخلـوقِ أولى وأجلى، بـل التماثـلُ في ذلـك بين الخـالقِ والمخلوقِ ممتنِعٌ غايةَ الامتناع[1].

وهذه القاعدة تتضح بالقاعدتَين السابقتَين.

وقد ضربَ العلماء مَثَلَين مهمين لبيان هـذه القاعـدة وهي : أنّ القـــدرَ المشـــتركَ بين الأســـماء والصـــفاتِ لا يستلزمُ التشبيه وهما :

المثالُ الأول : نعيم الجنة :

قـد أخـبر اللـه تعـالى أنّ في الجنـةِ طعامـاً، وشـراباً، ولباساً، وزوجاتٍ، ومساكن، ونخلاً، ورماناً، وفاكهةً، ولحماً، وخمراً، ولبناً، وعسلاً، وغير ذلـك، وكلُّه حـق على حقيقتِـه، وهو في الاسـم موافـقٌ لِمَـا في الـدنيا من حيث المعـنى، لكنه مخالِفٌ له في الحقيقة :

---

[1] (?) انظر : (تقريب التدمرية) للشيخ ابن عثيمين ضمن فتاواه **(4/117-118)**.

أمّا موافقتُه لِمَا في الـدنيا في المعـنى: فلأنّ اللـه تعـالى قـال عن القـرآن الكـريم: [الزخـرف: 3]، ولـولا موافقتُـه لـه في المعـنى: مـا فهمناه ولا عقلناه.

وأمّا مخالفتُـه لـه في الحقيقـة : فلقولـه تعـالى : [السـجدة: 17]، وقولِـه في الحـديث القدسـي : «أعـددتُ لعبـادي الصـالحين مـا لا عينٌ رأت، ولا أذُنٌ سـمعت، ولا خطَرَ على قلب بشـر»[1]، وقـال ابن عبـاس رضـي اللـه عنهما : «ليس في الدنيا مما في الجنةِ إلاّ الأسماء»[2].

فإذا كانت هذه الأسـماءُ دالـةً على مسـمّياتِها حقيقـةً، وكان اتفاقُها مع ما في الدنيا من الأسماء لا يستلزمُ اتفاقَ المسمَّياتِ في الحقيقة، بل بينهما من التبايُنِ مـا لا يعلمـه إلاّ الله تعالى : فإنّ مباينةَ الخالقِ للمخلوقِ أعظمُ وأظهـرُ من مباينة المخلوقِ للمخلوق؛ لأنّ التبايُنَ بين المخلوقـات تبايُنٌ بين مخلـوقٍ ومخلـوقٍ مثلِـه، فـإذا ظهـرَ التبـايُنُ بين المخلوقات : كانَ ما بينها وبين الخالق أظهرُ وأولى.

المَثَلُ الثانِي : الروح التي فينـا، والـتي بهـا الحيـاة، وهي أقربُ شيءٍ إلى الإنسان، بل هي قوام الإنسان، وقد وُصِـفت في النصـوص بأنهـا تَعـرُجُ وتَصعَد من سـماء إلى سـماء، وأنهـا تُقبَضُ من البـدن، وتُسَـلُّ منـه كمـا تسَـلُّ الشعرةُ من العجين، كما في روح المؤمن، أما روحُ الكافر : فتُنزَعُ من بدنه كما يُنتَزَعُ السفودُ من الصوف المبلول[3]، ولا يُنكِرُ أحدٌ وجودَها حقيقةً، وقـد عجَـزَ النـاسُ عن إدراكِ كنهها وحقيقتها إلاّ ما علموه عن طريق الوحي، واضطربوا فيهـا فلاسـفةً، ومتكلمين، وغـيرهم اضـطراباً كثـيراً، لكونهم لا يُشاهدون لها نظيراً.

---

[1] (?) متفق عليه من حديث أبِي هريرة ، أخرجه البخاريُّ (ح/3244)، ومسلم (ح/2824/2-4).

[2] (?) أخرجَه ابنُ جرير في تفسيره (1/416) في تفسير قول الله تعالى : [البقـرة : 25]، وكـذلك ابنُ أبِي حـاتم في تفسـيره (1/66-برقم/260)، والبيهقي في (البعث والنشور) (368) وغيرُهم، وصححه الشيخ الألبانِيُّ في (الصحيحة) (5/219-220-برقم/2188).

[3] (?) كما وردَ في حديث البراء بن عازبٍ الطويل، وسيأتي في الباب الخامس.

فإذا كانت الروحُ حقيقة، واتصافُها بما وُصِـفَت بـه في الكتـاب والسـنة حقيقـة، مـع أنهـا لا تماثِـلُ الأجسـامَ المشهودة : كان اتصافُ الخالق بمـا يسـتحقُّه من صـفات الكمال مـع مبايَنَتِـه للمخلوقـات من بـاب أولى، وكـان عَجزُ أهل العقولِ عن أن يحدّوا الله تعالى أو يُكيِّفـوه أبينَ من عَجزِهم عن حدِّ الروح وتكييفِها.

وإذا كـان مَن نفى صـفاتِ الـروح جاحـداً معطِّلاً، ومَن مَثَّلَها بما يُشاهد من المخلوقاتِ جاهلاً بها ممثلاً : فالخـالقُ سبحانه أولى أن يكون مَن نفى صفاتِه جاحداً معطِّلاً، ومَن قاسَه بخلقه جاهلاً به ممثلاً[1].

---

1 (?) انظر : (تقريب التدمرية) (4/141-144).

الباب الثاني
الإيمان بالملائكة

الإيمــانُ بالملائكــة ركن من أركــان الإيمــان، لا يتم الإيمــانُ إلا بــه، قــال تعــالى : ﴿ .. ﴾ [البقــــرة: 177]، وقــال النــبيُّ ﷺ عن الإيمــان – في حــديث جبريــل ؑ المشهور - : «أن تـؤمن باللـه، وملائكتِـه، وكتبـه، ورسـلِه، واليوم الآخر، والقدرِ خيرِه وشرِّه»[1].

والإيــمانُ بالملائكة يكون بالتصديق بوجودهم، وأنهم عالَـمٌ غيبيٌّ لا يُشاهَدون، وقد يُشاهَدون ولكن الأصل أنهم عالَم غيبي، وأنهم عبادٌ مكرمون، خلقهم الله لعبادته وتنفيذِ أوامره، والإيمان بأصنافهم وأوصافِهم وأعمالِهم التي يقومون بها حسبما وردَ في الكتاب والسنة، والإيمان بفضلهم ومكانتهم عند الله ﷻ ، وأنهم مأمورون مكلفون لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه.

وقد خلقهم الله تعالى من نور، كما في حديث عائشة أمِّ المؤمنين – رضي الله عنها - أن رسولَ الله ﷺ قال : «خُلِقَت الملائكةُ من نور، وخُلِقَ الجانُّ من مارجٍ من نار، وخُلِقَ آدمُ مما وُصِفَ لكم»[2].

ولا ندري متى خُلقوا، فالله سـبحانه لم يُخبرنـا بـذلك، ولكننـا نعلم أن خلقَهم سـابقٌ على خلــق آدم أبي البشــر، فقد أخبرنـا اللـه تعـالى أنـه أعلمَ ملائكتَـه أنـه جاعـلٌ في الأرض خليفــة: ﴿ ﴾ [البقــرة: 30]، والمــرادُ بالخليفــةِ آدمُ ؑ ، وأمــرَهم بالسجود لـه حين خلقِـه: ﴿ ﴾ [الحجر: 29].

من أهم الصفات الخَلْقية :

عِظَمُ خلقهم : قال تعالى في ملائكة النار : ﴿ ﴾

---

1. (?) متفق عليه من حديث أبي هريرة ؓ ، أخرجه البخاري (ح/50)، ومسلم (ح/9)، ومن أفراد مسلم من حديث ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما - وهو أول حديثٍ فيه.
2. (?) رواه مسلم (ح/2996).

ﮋ [التحـــريم: 6]، وممـــا يـــدل على عظم خلقهم :

 أن النبيَّ رأى جبريلَ على صورته الحقيقيةِ الـتي خلقه الله تعالى عليها مرتين، وهما المـذكورتان في قولـه تعـــالى : ﮋ ﮊ [التكـــوير: 23]، وفي قولــــه: ﮋ ﮊ [النجم: 13-15]، عنــدما عُــرِجَ بــه إلى السماوات العلى.

وسـألت عائشـةُ-رضـي اللـه عنهـا-رسـولَ اللـه عن هــاتين الآيتَين فقــال : «إنمــا هــو جبريــل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيتُـه منهَبِطـاً من الســماء، ســادّا عظم خلقـــه مـــا بين الســـماء إلى الأرض»[1].

وسُئلت عائشةُ – رضي اللـه عنهـا - عن قولـه : ﮋ ﮊ فقالت : «إنما ذلك جبريـل ، كـان يأتيـه في صورة الرجال، وإنه أتاه في هذه المـرة في صـورته الـتي هي صورتُه، فسَدَّ أفقَ السماء»[2].

وفي صـحيح البخــاري عن ابن مســعود أنــه قــال : «رأى محمد جبريلَ له ستمائة جناح»[3].

 وفي حديث جابر عن رسول الله أنه قال : «أُذِنَ لي أن أحدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكة اللهِ من حَمَلَة العرش : إن ما بين شحمة أذُنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعمائة عام»[4].

وسأذكر هنا بعضاً من أهم صفات الملائكة الخَلْقية، وهي :

1- أجنحة الملائكة : للملائكة أجنحة كما أخبرنـا اللـه تعالى، فمنهم مَن له جناحان، ومنهم مَن له ثلاثة، أو أربعـة،

---

1 (?) رواه مسلم (ح/177/287).

2 (?) رواه مسلم (ح/177/290).

3 (?) صحيح البخاري (ح/4856، 4857).

4 (?) رواه أبو داود (ح/9353)، والحديث صحيح.

ومنهم مَن له أكثر من ذلك، قال تعالى : [illegible] [فاطر: 1]، وقد سبق أن لجبريل ﷺ ستمائة جناح.

2- جمال الملائكة : خلقَهم الله على صور جميلةٍ كريمة، كما قال تعالى في جبريل : [illegible] [النجم: 5-6]. قال ابنُ عباس ب : [illegible]: ذو منظرٍ حسن، وقال قتادة : : ذو خلق حسن، وقيل : [illegible] : ذو قوة، ولا منافاة بين القولين، فهو قوي وحسن المنظر.

3- تفاوتُهم في الخَلق والمنزلة : تقدم الحديث عن تفاوت أجنحة الملائكة، وهذا يدل أيضاً على تفاوتهم في الخلق.

وكذلك يتفاوتون في المنزلة عند الله تعالى، فلهم عند ربهم ﷻ مقاماتٌ متفاوتة معلومة : [illegible] [الصافات: 164]، وقال تعالى في جبريل : [illegible] [التكوير: 19-20]، أي : له مكانةٌ ومنزلةٌ عاليةٌ عند الله تعالى.

ومن أفضلِ الملائكة : الذين شهدوا معركةَ بدر، ففي الحديث عن رفاعة ابن رافع ﷺ أن جبريل ﷺ جاء النبيَّ ﷺ فقال : «ما تعدُّون أهلَ بدر فيكم ؟ قال: من أفضل المسلمين، أو كلمة نحوها، قال: وكذلك مَن شهدَ بدراً من الملائكة»[1].

4- لا يملّون ولا يتعبون : والملائكةُ يقومون بعبادة الله وطاعتِه وتنفيذ أوامره بلا كَلَل ولا ملل، ولا يُدركُهم ما يُدركُ البشرَ من ذلك، قال تعالى في وصف ملائكتِه : [illegible] [الأنبياء: 20]، ومعنى [illegible]: لا يضعفون، وقال تعالى : [illegible] [فصلت: 38]، ومعنى [illegible] أي : لا يملون.

5- أعداد الملائكة : الملائكة خلقٌ كثير لا يَعلم

---

1 (?) رواه البخاري (7/312ح3992).

عـــددَهم إلا الـــذي خلقَهم : ﴿[illegible]﴾ [المـدثر: 31]، وممـا يـدل على كـثرتهم : أن النـبيَّ سـألَ جبريلَ عن الـبيت المعمـور ليلـة الإسـراء فقـال : «هـذا البيتُ المعمورُ، يصلي فيه في كل يوم سبعون ألف ملَـك، لا يعودون إليه، آخرُ ما عليهم»[1].

---

[1] (?) رواه البخاري (6/103ح/2207)، ومسلم (1/146ح/162)، واللفظ للبخاري.

الصفات الخُلُقية :

من صفات الملائكة الخُلُقية أنهم :

1- كرامٌ بَرَرة : وقد وصفهم الله تعالى بذلك في قولهم : ﴿ [illegible] ﴾ [عبس: 15-16]، وفي حديث عائشة – رضي الله عنها - قالت : قال رسولُ الله ﷺ : «مَثَلُ الذي يقرأ القرآنَ وهو حافظٌ له : مع السفرة الكرام، ومَثَلُ الذي يقرأ القرآنَ وهو يتعاهَدُه وهو عليه شديد : فله أجران»[1].

2- استحياء الملائكة : روت أمُّ المؤمنين عائشةُ – رضي الله عنها - أن الرسولَ ﷺ كان مضطجعاً في بيتها، كاشفاً عن فخذَيه أو ساقَيه، فاستأذنَ أبو بكر، فأذنَ له وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذنَ له وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذنَ عثمان، فجلس الرسولُ ﷺ وسوّى ثيابَه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهش له ولم تُبَالِه، ثم دخل عمر فلم تهش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلستَ وسوَّيتَ ثيابَك ؟ فقال: «ألا أستحيي من رجلٍ تستحيي منه الملائكة ؟!»[2].

من قدراتهم :

1- قدرتُهم على التشكل : أعطى الله تعالى الملائكةَ القدرةَ على أن يتشكلوا بغير أشكالهم، فقد أرسلَ الله تعالى جبريلَ ﷺ إلى مريم في صورة بشر، كما أن إبراهيم ﷺ جاءته الملائكةُ في صورة بشر، ولم يَعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له عن حقيقة أمرهم، وكل ذلك مذكورٌ في القرآن، كما أن جبريلَ ﷺ كان يأتي الرسولَ ﷺ في صفاتٍ متعددة، فتارةً يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي ﷺ (صحابي كان جميل الصورة)، وتارة في صورة أعرابي، وقد شاهده كثير من الصحابة – رضي الله عنهم - عندما كان يأتي كذلك، كما في حديث جبريل ﷺ المعروف.

---

[1] (?) متفق عليه، رواه البخاري (ح/4937)، ومسلم (ح/798)، واللفظ للبخاري.

[2] (?) رواه مسلم (ح/2401).

2- عظمُ سرعتِهم : أعظمُ سـرعةٍ يعرفهـا البشـرُ هي سرعةُ الضوء، فهو ينطلق بسـرعة (186) ألـف ميـل في الثانية الواحدة.

أما سرعةُ الملائكة : فهي فـوق ذلـك، وهي سـرعةٌ لا تُقاس بمقاييس البشر، كان السـائلُ يـأتي إلى الرسـول فلا يكاد يفرغ من سؤاله حـتى يأتيـه جبريـلُ بـالجواب من ربِّ العزة – سبحانه وتعالى – واليوم لو وُجـدت المـراكبُ التي تسيرُ بسرعة الضوء : فإنها تحتـاجُ إلى (مليـار) سـنة ضوئية حتى تبلغ بعضَ الكـواكب الموجـودة في آفـاق هـذا الكون الواسع.

3- مُنَظَّمون في كل شؤونهم : الملائكةُ مُنَظَّمون في عبادتهم، وقد حثنا الرسولُ على الاقتداءِ بهم في ذلك فقال : «ألاَ تصُفُّون كما تصُفُّ الملائكةُ عند ربها ؟»، قالوا : يـا رسـول اللـه، وكيـف تصُـفُّ الملائكـةُ عنـد ربهـا ؟ قـال : «يتمـون الصـفوف، ويتراصـون في الصف»[1]، وفي يـوم القيامة يأتون صفوفاً منتظمة : [الفجر: 22]، ويقفون صفوفاً بين يـدي اللـه تعـالى : **[النبأ: 38]**، والروحُ هو جبريل .

مما يدل على شرفهم :

- أن الله يُضيفُهم إليه إضافةَ تشـريف، كقولـه تعـالى : [البقـــرة: 285]، وقولِـــه: [النسـاء: 136]، وقولِـه: [البقرة: 98].

- ويقرن سبحانه شهادتَهم مـع شـهادته، وصـلاتَهم مـع صـــلاته، كقولـــه تعـــالى: [آل عمـــران: 18]، وقولِـــه تعـــالى: [الأحزاب: 56]

- ويصفهم سبحانه بالكرم والإكرام، قال تعالى : [عبس: 15]، وقـال تعـالى : [الانفطـــار: 10]، وقـــال تعالى : [الأنبياء: 26].

---

[1] (?) أخرجه مسلم (ح/430) عن جابر بن سمرة – رضي الله عنه -.

ويصـفُهم بـالعلو والقُـرب، كمـا في قولـه تعـالى : [illegible] [الصافات: 8]، وفي قوله : [illegible] [المطففين: 21].

- ويذكر سـبحانه أنهم عنـده، ويعبدونـه ويسـبحونه، كمـا في قولـــــه تعـــــالى: [illegible] [الأعـراف: 206]، وقولِـه: [illegible] [فصلت: 38].

الأعمال التي يقوم بها الملائكة :

الملائكةُ رسُلُ الله تعالى في خلقه وأمرِه، واسمُ الملَكِ يتضمن أنه رسول؛ لأنه من الألوكـة، بمعـنى الرسـالة، قـال تعـــــالى: [illegible] [فــــاطر: 1]، وقـــــال تعـالى: [illegible] [المرسـلات: 1]، فهم رسُـلُ اللـه تعالى في تنفيذ أمره الكوني الذي يدبر به السماءَ والأرض، وهم رسُـلُه في تـدبير أمـره الـديني الـذي تـنزل بـه على الرسـلِ من البشـر، قـال تعـالى: [illegible] [النحــل: 2]، وقــال تعــالى: [illegible] [الحج: 75].

والخلاصــة : أن اللـــه تعــالى وكَّلَ بالعــالَم العلــوي والسـفليِّ ملائكـةً تـدبِّرُ شـؤونَهما بإذنـه وأمـرِه ومشـيئتِه سـبحانه وتعـالى، كمـا قـال تعـالى : [illegible] [الأنبياء: 27]، وقولِــه: [illegible] [التحـــريم: 6]، فلهـــذا يُضـــيف سبحانه التدبيرَ إلى الملائكةِ تارةً لكـونهم المباشـرين لـه، كقولـه تعـالى: [illegible] [النازعـات: 5]، ويُضـيفُ إليـــه التـــدبيرَ تـــارةً، كقولـــه: [illegible] [[illegible]: 5]، وقولِه: [illegible] [يونس: 3].

فالملائكــةُ بالنســبة إلى الأعمــال الــتي يقومــون بهم أصناف :

فمنهم حَمَلــةُ العــرش، قــال تعــالى: [illegible] [غافر: 7]، وقال تعــالى: [illegible] [الحاقة: 17].

ومنهم الموكلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها.

ومنهم الموكلـون بالنـارِ وتعـذيبِ أهلِهـا، وهم الزبانيـة، ومُقَدَّموهم تسعة عشر، وخازنُها مالكُ، وهو مُقَدَّم الخزنــة، كما قال تعالى : [illegible] [المـدثر: 30]، وقولـه : [illegible] [الزخـرف: 77]، وقولــه : [illegible] [غـافر: 49]، وقـال تعـــالى : [illegible] [التحريم: 6].

ومنهم الموكلون بحفظ بني آدم في الدنيا، قال تعـالى : [illegible]... [الرعد: 11]، أي: معه ملائكةٌ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى : تخلّوا عنه.

ومنهم الموكلون بحفـظ أعمـال العبـاد وكتابتِهـا، قـال تعـــــالى: [illegible] [ق: 18-19]، وقـــــال تعـــــالى: [illegible] [الانفطار: 10-11]، وقال [illegible]: «يتعـاقبون فيكم ملائكـةٌ بالليـل وملائكـة بالنهـار»[1]، فَمَـعَ الإنسـان ملائكـةٌ يحفظونـه من المُؤذيات، وملائكةٌ يحفظون عليه أعمالَه وما يصدر منه.

ومن الملائكة مَن هـو موكَـلٌ بـالرحِمِ وشـأن النطفـة، كما في حديث ابن مسعود [illegible] : «إن أحدَكم يُجمَعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علَقةً مثل ذلـك، ثم يكـون مضغةً مثل ذلك، ثم يبعث اللهُ ملَكاً فيـؤمَرُ بـأربع كلمـات، ويُقال له: اكتُب عملَه، ورزقَـه، وأجلَـه، وشـقيٌّ أو سعيد»[2].

---

1 (?) متفق عليه من حديث أبي هريرة [illegible] ، أخرجه البخاري (ح/555) ومواضع أخرى، ومسلم (ح/632).

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري في مواضع منها (ح/3208)، ومسلم (ح/2643).

ومنهم ملائكةٌ موكلون بقبض الأرواح، قال تعالى : [illegible] [الأنعام: 61]، وقال تعالى : [illegible] [السجدة: 11]، وملَكُ الموت له أعوانٌ من الملائكة، إذا قبضَ الروحَ وأخذَها : تأخذُ منه ملائكةُ الرحمةِ أو ملائكةُ العذاب، ويتولّونها بعده.

الباب الثالث
الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب الإلهية هو أحدُ أصول الإيمان وأركانه، وهو الركن الثالث من أركان الإيمان، قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [النساء: 136].

والإيمانُ بها هو : التصديق الجازمُ والإقرارُ بأنها حق وصدق، وأنها كلام الله ، فيها الهدى والنور، والكفاية لمن أنزلت عليهم.

نؤمن بما سمى الله تعالى منها، وهي التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم، وصحف موسى[1]، والقرآن العظيم المنزل على محمد ، كما نؤمن بما لم يسمّ منها؛ فإن لله تعالى كتباً لا يعلمها إلا هو سبحانه.

قال تعالى : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: 136].

وإنزالُ الكتب من رحمة الله تعالى بعباده لحاجة البشرية إليها؛ لأن عقلَ الإنسانِ محدود، لا يُدرِكُ تفاصيلَ النفع والضرر، وإن كان يُدرِكُ الفرقَ بين الضارِّ والنافع إجمالاً.

كما أن العقلَ الإنسانيَّ تغلبُ عليه الشهوات، وتلعبُ به الأغراضُ والأهواء، فلو وُكلت البشريةُ إلى عقولها القاصرة : لَضلّت وتاهَت، فاقتضَت حكمةُ الله ورحمتُه أن يُنزلَ هذه الكتبَ على المصطَفين من رسله؛ ليبينوا للناس ما تدل عليه هذه الكتبُ وما تتضمنه من أحكامه العادلة، ووصاياه النافعة، وأوامره ونواهيه الكفيلة بإصلاح البشرية.

قال تعالى حين أهبَطَ آدمَ أبا البشريةِ من الجنة : ﴿ [illegible] ﴾ [البقرة: 38]، وقال

---

[1] (?) بعضُهم يقول : إن صحف موسى هي التوراة، وبعضُهم يقول : غيرها، فإن كانت هي التوراة : فهي خمسة، وإن كانت غيرها فهي ستة.

تعــالى: [illegible] [الأعراف: 35].

وقـد انقسـم النـاسُ حيـال الكتب السـماويةِ إلى ثلاثـة أقسام :

1- قسم كذب بها كلها، وهم أعـداء الرسـل من الكفـار والمشركين والفلاسفة.

2- وقسـم آمنَ بهـا كلهـا، وهم المؤمنـون الـذين آمنـوا بجميع الرسل وما أنزل إليهم، كما قال تعالى : [illegible] [البقرة: 285].

3- وقسم آمنَ ببعض الكتب وكفَرَ ببعضـها، وهم اليهـود والنصارى ومَن سارَ على نهجهم، الذين يقولون : [illegible] [البقــرة: 91]، بــل هــؤلاء يؤمنــون ببعض كتابهم ويكفرون ببعضه، كما قال تعالى فيهم: [illegible] [البقرة: 85].

ولا شـــك أن الإيمـــانَ ببعض الكتـــاب أو ببعض الكتب، والكفرَ بالبعض الآخر: كفرٌ بـالجميع؛ لأنـه لا بـد من الإيمـان بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل؛ لأن الإيمان لا بد أن يكـون مؤتلفـاً جامعـاً لا تفريـقَ فيـه ولا تبعيض ولا اختلاف، والله تعالى ذمَّ الذين تفرقوا واختلفوا في الكتاب، كما قـال تعــــالى : [illegible] [البقرة: 176].

وسببُ كفر مَن كفـرَ بـالكتب أو كفَـرَ ببعضـها أو ببعض الكتاب الواحد: هو اتباعُ الهـوى والظنـون الكاذبـة، وزعمُهم أن لهم العقل والرأي والقيـاس العقلي، ويسـمون أنفسَـهم بالحكمـاء والفلاسـفة، ويسـخرون من الرسـلِ وأتبـاعِهم، ويصفونهم بالسفه، كما قـال تعـالى : [illegible] [غافر: 83].

وأما أتباعُ الرسل فإنهم يؤمنون بكـل كتـابٍ أنزلَـه اللـه تعالى، لا يفرقون بينها.

والإيمانُ بالكتب السابقةِ إيمانٌ مجمـل، يكـون بـالإقرارِ به بالقلب واللسان.

وأما الإيمانُ بالقرآن : فإنه إيمانٌ مفصَّل، يكون بالإقرار به بالقلب واللسان، واتباعِ مـا جـاء فيـه، وتحكيمِـه في كـل كبيرةٍ وصغيرة، والإيمـان بأنـه كلام اللـه تعـالى منَـزَّل غـير مخلوق، منه بدا وإليه يعود.

وقد اقتضت حكمـةُ اللـه تعـالى أن تكـون الكتب السـابقة لآجــالٍ معَيَّنــةٍ ولأوقــاتٍ محــددة، ووكــلَ حفظَهــا إلى الــذين استُحفِظوا عليهـا من البشـر، كمـا قـال تعـالى : [illegible] [المائدة: 44]، أما القـرآنُ الكـريم : فقـد أنزله الله تعالى لكـل الأجيـالِ من الأمم في كـل الأوطـان إلى يوم القيامة، وتولى حفظَه بنفسـه؛ لأن وظيفـةَ هـذا الكتـاب لا تنتهي إلا بنهاية حياة البشر على الأرض، قال تعالى: [illegible] [الحجـر: 9]، قال تعـالى: [illegible] [فصلت: 42].

الباب الرابع
الإيمان بالرسل – عليهم السلام -

وفيه خمسةُ فصول :

الفصل الأول : معنى الإيمان بالرسل – عليهم السلام -.

الفصل الثاني : دلائل النبوة.

وفيه أربعةُ مباحث :

المبحث الأول: أوّل وأعظم دلائل النبوة، وهي المعجزات، مع شيء من التفصيل في معجزة القرآن الكريم.

المبحث الثاني : ذكر بقية دلائل النبوةـ

المبحث الثالث : الفرقُ بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان.

المبحث الرابع : الفرق بين كرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والمشعوذين.

الفصل الثالث : عصمة الأنبياء.

الفصل الرابع : دين الأنبياء واحد.

الفصل الخامس : خصائص الرسول .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ما اختُصَّ به عن غيره من الأنبياء – عليهم السلام-

المبحث الثاني : الخصائص التي اختص بها دون أمته.

الفصل الأول
معنى الإيمان بالرسل – عليهم السلام -.

أولاً : كيفية الإيمان بالرسل – عليهم السلام - :

الإيمان بالرسل والأنبياء – عليهم السلام - عموماً أحد أركان الإيمان الستة؛ لأنهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقِه في تبليغ رسالاته وإقامةِ حجتِه على خلقه، فيجب الإيمانُ بهم جميعاً بكونهم صادقين في جميع ما أخبروا به عن الله تعالى، وأنه سبحانه بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمرَه ونهيَه، ووعدَه ووعيدَه، وأيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات البينات، فمن ثبت تعيينُه وجب الإيمانُ به تفصيلاً، ومن لم يثبت تعيينُه وجب الإيمانُ به إجمالاً.

وكما يجب الإيمانُ بجميع الأنبياء والرسل بذواتهم : يجب أيضاً الإيمانُ بأنهم أرسلهم الله تعالى لهداية خلقه، وتكميل معاشهم ومعادهم، وأنهم بلغوا رسالةَ ربهم، وبينوا للمكلفين ما أُمِروا ببيانه، وأنه يجب احترامُهم جميعهم، لا نفرق بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم.

والأدلة على وجوب الإيمان بالرسل – عليهم السلام - كثيرةٌ، منها :

قولـه تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [البقـــرة: 177]، وقولـــه تعـــالى: ﴿[illegible]﴾ [البقـــرة: 285]، وقولـــه تعـــالى: ﴿[illegible]﴾ [النسـاء: 150-151].

ففي هذه الآيات الكريمات – وكثير غيرها – قرن اللــه تعالى الإيمانَ بالرسل بالإيمانِ به سبحانه وبملائكتِه وكتبِه، وحكَمَ بكفر مَن فرّقَ بين الله تعالى ورسُله؛ فـآمَن ببعض وكفَرَ ببعض.

ثانياً : الفرق بين النبي والرسول :

ذكر بعضُ أهل العلم ثلاثة فروقٍ بين النبي والرسول، وهي :

1- الرسولُ مَن بُعث إلى قوم كافرين، والنبيُّ مَن بُعِث إلى قومٍ مسلمين.
2- الرسولُ مَن جاء بشريعةٍ جديدة، والنبيُّ مَن جاء بشريعةِ مَن قبله من الرسل، كأنبياء بني إسرائيل.
3- الرسولُ مَن أنزِلَ عليه كتاب، والنبيُّ مَن حَكَم بكتاب مَن قبله من الرسل.

ثالثاً : تفاضل الرسل :

الرسلُ يتفاضلون، كما قال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 253].

وأفضلُ الرسل : أولو العـزم من الرسـل، وهم خمسـة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسـى، ومحمـد – عليهم السـلام -، وهم المـــذكورون في قولـــه تعـــالى : ﴿[illegible]﴾ [الأحزاب: 7]، وفي قولـه: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: 13].

وأفضل أولي العزم : الخليلان إبراهيم ومحمد – عليهمـا وعليهم جميعاً أفضل الصـلاة والسـلام -، وأفضـلُ الخليلَين : خاتَمُهم محمد ﷺ .

رابعاً : النبوةُ تفضُّلٌ واصطفاءٌ واختيار من الله تعالى :

النبوةُ تفضّلٌ واختيارٌ واصـطفاءٌ من اللـه تعـالى، قـال تعــــالى: ﴿[illegible]﴾ [الحج: 75].

وليست النبوةُ كسباً ينالُه العبدُ بالجدّ، والاجتهاد، وتكلف أنواع العبادات، واقتحام أشَقِّ الطاعات، والدأبِ في تهذيب النفس وتنقيةِ الخاطرِ وتطهيرِ الأخلاق ورياضة النفس؛ كما يقول الفلاسفة : إنه يجوز اكتسابُ النبوة؛ حيث يزعمون أن مَن لازمَ المشاهدةَ بعد كمال ظاهره

وباطنه بالتهذيب والرياضة : فإنه تنصَقِلُ مرآةُ باطنه، وتفتح له بصيرةَ لبه، ويتهيأ له ما لا يتهيأ لغيره !

وهذا قولٌ باطل يرد عليه قولُ الله تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 124]، وقولُه تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الحج: 75]، فالنبوةُ اصطفاءٌ من الله تعالى حسب حكمتِه وعلمِه بمن يصلحُ لها، وليست اكتساباً من قبل العبد.

ولا شك أن الأنبياء لإ اختصّوا بفضائل يمتازون بها عن غيرهم، ولكن ليست على النحو الذي يقولُه الفلاسفةُ الضُّلّال.

الفصل الثاني
دلائل النبوة

المبحث الأول
أول وأعظم دلائل النبوة وهي المعجزات، مع شيء من التفصيل في معجزة القرآن الكريم :

دلائل النبوة هي الأدلة التي تُعرفُ بها نبوةُ النبي الصادق، ويُعرف بها كذبُ المدّعي للنبوة من المتنبئين الكَذَبة.

ودلائل النبوة كثيرةٌ ومتنوعةٌ وغيرُ محصورةٍ، ومنها : المعجزة.

والمعجِزَةُ : اسم فاعل من العجز المقابِل للقدرة، ومعجِزةُ النبي : ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاءُ فيها للمبالغة، وهي : أمرٌ خارقٌ للعادة، يُجريه الله تعالى على يد مَن يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحةِ رسالتِه.

ومعجزاتُ الرسل – عليهم السلام - كثيرة؛ منها : الناقةُ التي أوتِيَها صالح حجةً على قومه، وقلبُ العصا حيةً آيةً لموسى ، وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى آيةً لعيسى .

ومنها معجزاتُ نبينا محمد ، وهي كثيرةٌ؛ منها: الإسراءُ والمعراج، وانشقاقُ القمر، وتسبيحُ الحصا في كَفِّه، وحنينُ الجذع إليه، وإخبارُه عن حوادث المستقبل والماضي، وغيرها من معجزاته – صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

وأعظمُ معجزاتِ نبينا : القرآن الكريم؛ لأن كل نبي تكون معجزتُه مناسبة لحال قومه، ولذلك : لما كان السحرَ فاشياً في قوم فرعون : جاء موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقّفت ما صنعوا، فاحتاروا وانفجعوا، وعلموا أن ما جاء به موسى هو الحق وليس من السحر، كما قال تعالى:

[illegible] [الشعراء: 46-48]، ولم يقع ذلك بعينه لغير موسى [illegible] .

ولما كان الزمنُ الذي يعيش فيه عيسى [illegible] قد فشَا فيه الطب : جاء المسيحُ بما حيَّرَ الأطباءَ من إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرصِ من الداء العضال القبيح، وخلَقَ من الطين كهيئة الطير، فنفخَ فيه فكان طيراً بإذن الله تعالى، فطاشَت عقولُ الأطباء، وأذعنوا أن ذلك من عند الله [illegible] .

ولما كانت العربُ أربابُ الفصاحة والبلاغة وفرسانُ الكلام والخطابة : جعلَ الله سبحانه معجزةَ نبينا [illegible] هي القرآن الكريم، الذي [illegible] [فصلت: 42]، وهي المعجزةُ الباقيةُ الخالدةُ على مَرِّ العصور، والتي تحدّى الله تعالى بها الجنَّ والإنس.

وقد اختارَ الله تعالى هذه المعجزةَ الباهرةَ لخاتمة الرسالات السماوية العامة للناس أجمعين؛ فالقرآنُ الكريم معجزةٌ يطلع عليها الأجيالُ في كل زمانٍ ويتلونه، فيعلمون أنه كلامُ الله تعالى حقّاً، وليس كلام البشر، وقد تحدّى الله تعالى الإنسَ والجنَّ أن يأتوا بمثله، أو بعشر سورٍ مثلِه، أو بسورةٍ منه؛ فما استطاعَ أحدٌ منهم منذ بعثة محمد [illegible] إلى عصرنا وإلى الأبد أن يأتي أحدٌ بكتابٍ مثلِه، أو بمثل سورةٍ منه، على الرغم من وجود أعداء كثيرين للرسول [illegible] ولدين الإسلام في عصور التاريخ.

قال تعالى: [illegible] [البقرة: 23-24]، فالتحدِّي لا يزال قائماً إلى قيام الساعةِ في قوله تعالى : [illegible] .

وقال تعالى: [illegible] [الطور: 33-34].

وهذا التحدِّي كان بمكة؛ فإن سورة يونس وهود والطور من المكي، ثم أعاد التحدِّي في المدينةِ بعد الهجرة، فقال في سورة البقرة – وهي مدنية - : [illegible]

[illegible] [البقرة: 23-24]، فذكر أمرين :

أحـدُهما : قولُـه : [illegible] يقول : إذا لم تفعلوا؛ فقد علمتم أنـه حـق، فخـافوا الله أن تكذبوه، فيحيق بكم العذابُ الذي وعده المكذبين.

والثـــانـي : قولــــه : [illegible]، [illegible] لنفي المستقبل، فثبتَ أنهم فيما يسـتقبل من الزمـان لا يـأتون بسورةٍ من مثله، كما أخبرَ بذلك.

وأمر الله تعالى نبيَّه [illegible] أن يقول في سورة (سبحان) – وهي مكية – افتتحها بـذكر الإسـراء وهـو كـان بمكـة بنص القـرآن والخـبر المتـواتر - : [illegible] [الإسـراء: 88]؛ أمـره أن يُخـبر بـالخبر جميعَ الخلق؛ معجزاً لهم، قاطعاً بأنهم إذا اجتمعـوا كلهم لا يأتون بمثل هذا القرآن ولـو تظـاهروا عليـه وتعـاونوا على ذلك، وهذا التحدِّي لجميع الخلق، وقد سمعَه كلُّ مَن سمع القـرآن، وعرفـه الخـاصُّ والعـام، وعلمَ مـع ذلـك أنهم لم يعارضوه ولا أتوا بسورةٍ من مثله.

ومن حين بعث النبيُّ [illegible] إلى اليوم والأمرُ على ذلك، مع ما عُلم من أن الخلقَ كانوا كلهم كفاراً قبل أن يُبعث، ولما بُعث إنما تبعه قليل، وكان الكفارُ من أحـرص النـاس على إبطال قوله، مجتهـدين بكـل طريـق ممكن؛ تـارةً يـذهبون إلى أهل الكتاب فيسألونهم عن أمور الغيب حتى يسـألوه عنهـا، كمـا سـألوه عن قصـة يوسـف وأهـلِ الكهـف وذي القرنين، ويجتمعون في مجمع بعد مجمع ليتفقـوا على مـا يقولونه فيه، وصاروا يضـربون لـه الأمثـال فيشـبِّهونه بمن ليس بمثلـه مـع ظهـور الفـرق؛ فتـارةً يقولـون : مجنـون، وتـارة : سـاحر، وكـاهن، وشـاعر... إلى أمثـال ذلـك من الأقوال التي يعلمون هم وغيرُهم من كـل عاقـل يسـمعُها أنها افتراءٌ عليه.

فإذا كان قد تحدّاهم بالمعارضـة مـرةً بعـد مـرة، وهي تبطـل دعـواهم - فمعلـومٌ أنهم لـو كـانوا قـادرين عليهـا لفعلوها؛ فإنه مع وجود هذا الداعي التام المؤكد إذا كـانت القدرةُ حاصلة : وجب وجودُ المقدور، ثم هكذا القــولُ في

سائر أهل الأرض - : فهذا يوجبُ علماً مبيناً لكل أحد بعجز جميع أهل الأرض عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن بحيلة وبغير حيلة، وهذا أبلغ من الآيات التي تكرر جنسُها؛ كإحياء الموتَى؛ فإن هذا لم يأت أحدٌ بنظيره.

فإقدامُه في أول الأمر على هذا التحدي وهو بمكة وأتباعُه قليل على أن يقول خبراً يقطع به أنه لو اجتمع الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله في ذلك العصر وفي سائر الأعصار المتأخرة : لا يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقُّنِه له، وإلا فمع الشك والظن لا يقول ذلك مَن يخاف أن يظهرَ كذبُه فينفضح فيرجع الناسُ عن تصديقه، وإذا كان جازماً بذلك متيقناً له : لم يكن ذلك إلا عن إعلام الله تعالى له بذلك، وليس في العلوم المعتادة أن يَعلم الإنسانُ أن جميعَ الخلق لا يقدرون أن يأتوا بمثل كلامه إلا إذا عَلِمَ العالم أنه خارجٌ عن قدرة البشر، والعلمُ بهذا يستلزمُ كونَه معجِزاً.

والقرآنُ الكريمُ معجِزةٌ من وجوه متعددة :

- من جهة اللفظ.
- ومن جهة النظم.
- ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى.
- ومن جهة معانيه التي أمرَ بها، ومعانيه التي أخبرَ بها عن الله تعالى وأسمائِه وصفاتِه وملائكتِه وغيرِ ذلك.
- ومن جهة معانيه التي أخبرَ بها عن الغيب المستقبل وعن الغيب الماضي.
- ومن جهة ما أخبرَ به عن المعاد.
- ومن جهة ما بيّنَ فيه من الدلائل اليقينية. وغيرها من الوجوه.

المبحث الثاني
ذكرُ بقية دلائل النبوة

دلائلُ النبوة ليست محصورةً في المعجزة كمـا يقولـه جمهورُ المتكلمين، بل هي كثيرةٌ متنوعة؛ فمنها :

1- إخبـارُهم الأممَ بمـا سـيكون من انتصـارهم وخـذلانِ أعـدائهم وبقـاءِ العاقبـةِ لهم، فوقـعَ كمـا أخـبروا، ولم يتخلف منه شـيء؛ كمـا حصـل لنـوح، وهـود، وصـالح، وشعيب، وإبـراهيم، ولـوط، وموسـى، ونبينـا محمـد – صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين – ممـا قصَّـه اللـه تعالى علينا في كتابه.

2- ومنها : أن ما جاؤوا به من الشرائع والأخبـار في غايـة الإحكام والإتقانِ وكشفِ الحقائقِ وهـدي الخلـق، ممـا يُعلم بالضـرورة أن مثلَـه لا يصـدر إلا عن أعلم النـاس وأبَرِّهم.

3- ومنها : أن طريقتَهم واحدةٌ فيما يأمرون به من عبـادة الله والعملِ بطاعته والتصديقِ بـاليوم الآخـرِ والإيمـان بجميـع الكتبِ والرسـل، ولا يمكن خـروجُ واحـدٍ منهم عمـا اتفقـوا عليـه، فهم يُصـدِّقُ متـأخرُهم متقـدِّمَهم، ويُبَشِّرُ متقـدمُهم بمتـأخرِهم؛ كمـا بشَّـرَ المسـيحُ ومَن قبله لإ بمحمد ﷺ ، وكمـا صـدَّق محمـدٌ ﷺ جميـعَ النبـيين قبله – عليهم السلام -.

4- ومنها : أن الله تعـالى يؤيـد الأنبيـاءَ لإ تأييـداً مسـتمراً، وقد عُلم من سنتِه سبحانه وعادتِه أنه لا يؤيـد الكـاذبَ بمثل ما يُؤيِّدُ به الصادق، بل يفضحُ الكاذبَ ولا ينصره، وقد يمهِلُـه اللـه تعـالى ثم يُهلِكُـه. أمـا إذا نصـرَ ملِكـاً ظالِماً مسلَّطاً : فهو لم يـدَّعِ النبـوةَ ولم يكـذب عليـه، بل هو ظالم سلّطه تعالى الله على ظـالمٍ مثلـه، كمـا قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 129]، بخلاف مَن قال : إن الله تعالى أرسلَه، وهو كاذب؛ فهذا لا يؤيده تأييـداً مسـتمرّاً، لكن قد يُمهِلُه مدة ثم يُهلِكُه.

والتمييزُ بين الصادقِ والكاذبِ له طرقٌ كثيرةٌ فيما هـو دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة ؟!

فمعلومٌ أن مدَّعي الرسالة : إما أن يكـون من أفضـل الخلقِ وأكملِه، وإما أن يكون من أنقص الخلق، ولهذا قال أحدُ أكابرِ ثقيف للنبي - لما بلغهم ودعاهم إلى الإسلام - : والله لا أقولُ لك كلمةً واحـدة : إن كنتَ صـادقاً؛ فـأنتَ أجـلُّ في عيـني من أن أردَّ عليـك، وإن كنتَ كاذبـاً؛ فـأنتَ أحقـرُ من أن أردَّ عليـك ، فكيـف يشـتبه أفضـلُ الخلـق وأكملُهم بأنقص الخلقِ وأرذلِهم ؟!

وما من أحـدٍ ادَّعى النبـوةَ من الكـذابين إلا وقـد ظهَـرَ عليه من الجهـل والكـذب والفجـور واسـتحواذِ الشـياطين عليه ما ظهَرَ بـه كذبُـه لمن لـه أدنى تميـيز، ومـا من أحـد ادعى النبوةَ من الصـادقين إلا وقـد ظهَـرَ عليـه من العلمِ والصدقِ والبرِّ وأنواعِ الخيراتِ ما ظهَر بـه صـدقُه لمن لـه أدنى تميـيز؛ فـإن الرسـولَ لا بـد أن يُخـبرَ النـاسَ بـأمور ويأمرَهم بأمور، ولا بد أن يفعل أموراً، والكاذبُ يظهـرُ من نفس ما يأمرُ به ويُخبر عنه ويفعلُه ما يَظهَـرُ بـه كذبُـه من وجوه كثيرة.

المبحث الثالث
الفرقُ بين دلائل النبوة وخوارق السحرة والكهان

هناك فوارقُ كثيرةٌ بين دلائل النبوة وخوارقِ السحرةِ والكهان وكذلك عجائب المخترعات التي ظهرت اليوم؛ منها :

1- أن أخبارَ الأنبياء لا يقع فيها تخلُّفٌ ولا غلط، بخلاف أخبار الكَهَنةِ والمنجمين؛ إذ الغالبُ عليها الكذب، وإن صدقوا أحياناً في بعض الأشياء بسبب ما يحصل عليه الكهان من استراق شياطينهم للسمع.

2- ومنها أن السحرَ والكهانةَ والاختراعَ أمورٌ معتادةٌ معروفةٌ ينالُها الإنسانُ بكسبه وتعلُّمِه؛ فهي لا تخرج عن كونها مقدورةً للجن والإنس، ويمكن معارضتُها بمثلها، بخلاف آيات الأنبياء؛ فإنها لا يَقدرُ عليها جنٌّ ولا إنس، كما قال تعالى : [illegible] [الإسراء: 88]، فآياتُ الأنبياء لا يَقدرُ عليها الخلق، بل الله تعالى هو الذي يفعلُها آيةً وعلامةً على صدقهم؛ كانشقاق القمر، وقلبِ العصا حيةً، وتسبيحِ الحصا بصوتٍ يُسمع، وحنينِ الجذع، وتكثيرِ الماء والطعام القليل... فهذا لا يَقدرُ عليه إلا الله تعالى.

3- ومنها : أن الأنبياءَ مؤمنون مسلمون يعبدون الله تعالى وحده بما أمر، ويصدقون جميعَ ما جاءت به الأنبياء، وأما السحرةُ والكُهان والمتنبئون الكذبة : فلا يكونون إلا مشركين مكذبين ببعض ما أنزل الله تعالى.

4- ومنها : أن الفِطَرَ والعقولَ توافقُ ما جاء به الأنبياءُ لإ ، وأما السحرةُ والكهان والدجالون الكذابون : فإنهم يُخالفون الأدلةَ السمعيةَ والعقليةَ والفطرية.

5- ومنها : أن الأنبياءَ جاؤوا بما يُكَمِّلُ الفِطَرَ والعقول، والسحرةُ والكهانُ والكَذَبَةُ يجيئون بما يُفسِدُ العقولَ والفِطَر.

6- ومنها: أن معجِزاتِ الأنبياء لا تحصلُ بأفعالهم هم، وإنما يَفعلُها الله [illegible] آيةً وعلامةً لهم؛ كانشقاقِ القمر، وقلبِ العصا حيةً، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختص الله تعالى به ... فأمرُ الآيات إلى الله تعالى لا إلى اختيار المخلوق، كما قال الله لنبيِّه عندما طلبوا منه أن يأتي بآية : ﴿[illegible]﴾ [العنكبوت: 50]، وأما خوارقُ السحرة والكهان والمخترعات الصناعية : فإنها تحصلُ بأفعال الخلق.

المبحث الرابع
الفرق بين كرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والمشعوذين

هناك ارتباط وثيق بين كرامات الأولياء وآياتِ الأنبياء، ولذلك سأتطرق هنا إلى الحديث عن كرامات الأولياء، وكذلك إلى بيان الفرق بينها وبين خوارق السحرة والمشعوذين.

أولاً : كرامات الأولياء :

أولياءُ الله تعالى هم المؤمنون المتقون، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾ [يونس: 62-63]، فكلُّ مؤمنٍ تقي هو من أولياء الله بقدر إيمانه وتقواه، وقد يُظهرُ الله على يديه شيئاً من خوارق العادات، وهي التي تسمى بالكرامات.

فالكرامةُ أمرٌ خارقٌ للعادةِ يُجريه اللهِ تعالى على يد بعض الصالحين من أتباع الرسلِ لإ إكراماً من الله تعالى له، ببركة اتباعِه للرسل – عليهم السلام -.

وليس كلُّ ولي تحصلُ له كرامة، وإنما تحصل لبعضهم؛ إما لتقوية إيمانه، أو لحاجتِه، أو لإقامةِ حجةٍ على خصمه المعارضِ في الحق.

والأولياءُ الذين لم تظهر لهم كرامة لا يدل ذلك على نقصهم، كما أن الذين وقعت لهم الكرامةُ لا يدل ذلك على أنهم أفضلُ من غيرهم.

وكراماتُ الأولياء حقٌّ بإجماع أئمة الإسلام والسنةِ والجماعة، وقد دلَّ عليها القرآنُ الكريمُ والسنةُ الصحيحة، وإنما ينكرُها أهلُ البدعِ من الجهميةِ والمعتزلةِ ومَن تابعَهم، وهذا إنكارٌ لما هو ثابتٌ في القرآن والسنة، ففي القرآنِ الكريم : قصةُ أصحاب الكهف، وقصةُ مريم، وفي السنة الصحيحة : حديثُ نزولِ الملائكةِ كهيئة الظلةِ فيها أمثالُ السرجِ لاستماع قراءة أسيد بن حضير ، وحديثُ سلام الملائكةِ على عمران بن حصين ، ولها أمثلة كثيرة.

وقد حصل في موضوع كرامات الأولياء التباسٌ وخلطٌ عظيمٌ بين الناس :

فطائفةٌ أنكروا وقوعَها ونفوها بالكلية، وهم الجهميةُ والمعتزلةُ ومَن تبعهم، فخالفوا النصوصَ وكابروا الواقع.

وطائفةٌ غَلَت في إثباتها، وهم العوامُّ وعلماءُ الضلال، فأثبتوا كراماتٍ للفجَرَةِ والفساق ومَن ليسوا من أولياء الله بل من أولياء الشيطان، واعتمدوا في إثبات ذلك على الحكايات المكذوبةِ والمناماتِ والخوارق الشيطانية، فادّعوا الكراماتِ للسَّحَرَةِ والمشعوذين والدجالين، حتى عبدوهم من دون الله تعالى أحياءً وأمواتاً، وبنوا الأضرحةَ على قبور مَن يزعمون لهم الولايةَ ممن حيكت لهم الدعايات العريضة، ونُسِبَ إليهم التصرفُ في الكون وقضاءُ حوائج مَن دعاهم وطلبَ منهم المددَ واستغاثَ بهم، وسموهم الأقطابَ والأغواثَ بسبب تلك الكرامات المزعومة والحكايات المكذوبة.

فقد اتخذت دعوى الكرامات ذريعة لعبادة مَن نُسِبَت إليه، وربما سموا الشعوذةَ والتدجيلَ والسحرَ كرامة؛ لأنهم لا يفرقون بين الكرامة والأحوال الشيطانية، ولا يُفرقون بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وإلا؛ فمن المعلوم أنه حتى مَن ثبتَ أنه ولي الله تعالى بنصٍّ من القرآن أو السنة، وإن جرى على يده كرامةٌ من الله تعالى : فإنه لا يجوز أن يُعبد من دون الله تعالى، ولا أن يتبرك به أو بقبره؛ لأن العبادةَ حق لله تعالى وحده.

ثانياً: الفرق بين كرامات الأولياء وبين خوارق السحرَةِ والمشعوذين والدجالين:

هناك فروق بين كرامات الأولياء وبين خوارق السحرة والمشعوذين؛ منها:

1- أن كرامات الأولياءِ سببُها التقوى والعملُ الصالح، وأعمالُ المشعوذين سببُها الكفرُ والفسوقُ والفجور.

2- ومنها : أن كراماتِ الأولياء يُستَعانُ بها على البر والتقوى، أو على أمورٍ مباحة، وأعمالُ المشعوذين والدجالين يُستَعانُ بها على أمورٍ محرَّمةٍ؛ من الشرك، والكفر، وقتل النفوس.

3- ومنها: أن كراماتِ الأولياء تقوى بذكر الله تعالى وتوحيده، وخوارقُ السحرة والمشعوذين تبطُل أو تضعُفُ عند ذكر الله تعالى وقراءةِ القرآن والتوحيد.

فتبين بهذا أن بين كراماتِ الأولياء وتهريجاتِ المشعوذين والدجالين فروقاً تميّز الحقَّ من الباطل.

وأولياءُ الله تعالى حقّاً لا يستغلون ما يُجريه الله تعالى عـلى أيديهم من الكراماتِ للنصب والاحتيال ولفت أنظار الناس إلى تعظيمهم، وإنما تزيدُهم تواضعاً ومحبةً لله تعالى وإقبالاً على عبادته، بخلاف المشعوذين الدجالين؛ فإنهم يستغلون هذه الأحوال الشيطانيةَ التي تجري على أيديهم لجلب الناس إلى تعظيمهم والتقرُّبِ إليهم وعبادتِهم من دون الله .

وخلاصة موضوع كرامات الأولياء : أن الناسَ انقسموا فيه إلى ثلاثة أقسام:

- **قسم** غلوا في نفي كرامات الأولياء حتى أنكروا ما هو ثابتٌ في الكتاب والسنةِ من الكرامات الصحيحةِ التي تجري على وفق الحق لأولياء الله تعالى المتقين.
- **وقسم** غلوا في إثبات الكرامات حتى اعتقدوا أن السحرَ والشعوذةَ والدجلَ من الكرامات، واستغلوها وسيلةً للشرك والتعلقِ بأصحابها من الأحياء والأموات، حتى نشأ عـن ذلك الشركُ الأكبرُ بعبـادة القبورِ وتقديسِ الأشخاص والغلوِّ فيهم؛ لِـمَا يزعمون فيهم من الكرامات.
- **والقسم الثالث :** وهم أهلُ السنة والجماعة؛ توسطوا في موضوع الكراماتِ بين الإفراط والتفريط، فأثبتوا منها ما أثبتَه الكتابُ والسنة، ولم يغلوا في أصحابها، ولم يتعلقوا بهم من دون الله تعالى، ولا يعتقدون فيهم أنهم أفضلُ من غيرهم، بل هناك من أولياء الله تعالى مَن هو أفضلُ منهم ولم تَجرِ على يديه كرامة، ونفوا ما خالفَ الكتابَ والسنةَ من الدجل والشعوذةِ والنصب والاحتيال، واعتقدوا أنه من عمل الشيطان، وليس هو من كرامات الأولياء، وهذا واضحٌ بحمد الله تعالى.

الفصل الثالث
عصمة الأنبياء – عليهم السلام -

العصمة : المنعة، والعاصم : المانع الحامي، والاعتصام : الامتساك بالشيء، والمراد بالعصمة هنا : حفظ الله تعالى لأنبيائه من الذنوب والمعاصي.

عصمة الأنبياء – عليهم السلام - منها ما هو مجمعٌ عليه بدايةً ونهايةً، ومنها ما هو مختلفٌ فيه بدايةً لا نهاية، وبيان ذلك :

أجمعـوا على عصـمة الأنبيـاء فيمـا يُخـبرون عن اللـه تعـالى وفي تبليـغ رسـالاته؛ لأن هـذه العصـمة هي الـتي يحصل بها مقصودُ الرسالة والنبـوة، ولـذلك يجب الإيمـانُ بكـل مـا أوتـوه، قـال تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾ [البقـــرة: 136-137].

أما المعاصي : فقد اختلفوا في عصمة الأنبياء منهـا على قولين مشهورين :

القــول الأول : أن الأنبيــاء معصــومون عن المعاصــي مطلقـاً كبائرهـا وصـغائرها؛ لأن منصـب النبـوة يجـل عن مواقعتها ومخالفةِ الله تعالى عمـداً، ولأننـا أُمِرنـا بالتأسـي بهم، وذلك لا يجـوز مـع وقـوع المعصـيةِ في أفعـالهم؛ لأن الأمرَ بالاقتداءِ بهم يلزم منه أن تكون أفعالُهم كلها طاعة.

وأصحابُ هـذا القـول تـأولوا الآيـات والأحـاديث الـواردةِ بإثبات شيءٍ من ذلك.

القول الثاني : إن الأنبياءَ – عليهم السلام - معصومون من الكبائر وليسوا معصومين من الصغائر، واسـتدلوا بمـا ورد في القرآن والأخبار، لكنهم لا يصرون عليهـا، فيتوبـون منها ويرجعـون عنهـا، فالعصـمةُ من الإقـرار على الـذنوبِ مطلقاً.

وهذا القولُ هو قول الجمهور، وهو الذي تؤيـده الأدلـة من الكتاب والسنة.

«وفي الكتابِ والسنةِ الصحيحةِ والكتبِ التي أنزلت قبل القرآن مما يوافقُ هذا القولَ ما يتعذر إحصاؤه، والرادّون لذلك تأولوا بمثل تأويلات الجهمية والقدريةِ والدهرية لنصوص الأسماء والصفات ونصوصِ القدَر ونصوص المعاد، وهي من جنس تأويلات القرامطة الباطنية التي يُعلم بالاضطرار أنها باطلة، وأنها من باب تحريف الكَلِمِ عن مواضعه، وهؤلاء يقصدُ أحدُهم تعظيمَ الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمانَ بهم فيقع في الكفرِ بهم...» [1].

---

[1] (?) (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية) (2/373).

الفصل الرابع
دين الأنبياء واحد

إن دين الأنبياء لا دين واحدٌ وإن تنوعت شـرائعُهم، قـال تعـالى: [illegible] [الشورى: 13]، وقال تعالى: [illegible] [المؤمنون: 51-52].

وقال النـبيُّ [illegible] : «الأنبيـاءُ إخـوةٌ لِعلات، أمهـاتُهم شـتى ودينُهم واحد»[1].

ودينُ الأنبياء هو دينُ الإسلام الذي لا يَقبل اللـه غـيرَه، وهو الاستسلام لله تعالى بالتوحيد، والانقيـاد لـه بالطاعـة، والخلوص من الشرك وأهلِه :

قـال تعـالى عن نـوح: [illegible] [النمل: 91].

وقال تعالى عن إبــراهيم: [illegible] [البقرة: 131].

وقــال تعــالى عن موســى: [illegible] [يونس: 84].

وقال تعالى عن المســيح: [illegible] [المائدة: 111].

وقال تعالى فيمَن تقدم من الأنبياء وعن التوراة: [illegible] [المائدة: 44].

وقال تعالى عن ملكـة سـبأ: [illegible] [النمل: 44].

فالإسلامُ هو دينُ الأنبياء جميعـاً، وهـو الاستسـلامُ للـه وحـده، فمن استسـلمَ لـه ولغـيره كـان مشـركاً، ومَن لم يستسلم له : كان مستكبراً، وكلٌّ من المشرك والمستكبِرِ عن عبادة الله : كافر.

---

[1] (?) متفق عليه من حديث أبي هريرة [illegible] ، أخرجه البخاري (ح/3443)، ومسلم (ح/2365).

والاستسلامُ لله يتضمن عبادتَه وحده، وأن يُطاع وحده، وذلك بأن يُطاع في كل وقتٍ بفعل ما أُمِرَ به في ذلك الوقت؛ فإذا أُمِرَ في أول الإسلام بأن يستقبل بيتَ المقدس، ثم أُمِرَ بعد ذلك باستقبال الكعبة : كان كلٌّ من الفعلين حين أُمِرَ به داخلاً في الإسلام؛ فالدين هو الطاعة، وكلٌّ من الفعلين عبادة لله تعالى، وإنما تنوع بعضُ صور الفعل، وهو توجُّه المصلي؛ فكذلك الرسلُ دينُهم واحد وإن تنوعت الشرعةُ والمنهاج والوجه والمنسك؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدينُ واحداً، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد.

فدينُ الأنبياء واحدٌ وإن تنوعت شرائعُهم؛ فقد يشرعُ الله في وقتٍ أمراً لحكمة، ثم يشرع في وقتٍ آخر أمراً لحكمة، فالعملُ المنسوخُ قبل نسخه طاعةٌ لله تعالى، وبعد النسخ يجب العملُ بالناسخ، فمَن تمسك بالمنسوخ وتركَ الناسخ : فليس هو على دين الإسلام، ولا هو متبِعٌ لأحدٍ من الأنبياء، ولهذا كفر اليهودُ والنصارى؛ لأنهم تمسكوا بشرع مبدلٍ منسوخ.

والله تعالى يشرع لكل أمةٍ ما يناسبُ حالَها ووقتَها، ويكون كفيلاً بإصلاحها، متضمناً لمصالحها، ثم ينسخ الله تعالى ما يشاءُ من تلك الشرائع لانتهاءِ أجلها، إلى أن بعثَ نبيَّه محمداً خاتمَ النبيين إلى جميع الناسِ على وجه الأرض، وعلى امتداد الزمَن إلى يوم القيامة، وشرعَ له شريعةً شاملةً لكل زمانٍ ومكان، لا تبدل ولا تنسخ، فلا يسع جميعَ أهل الأرض إلاَّ اتباعه والإيمان به [illegible] .

قال تعالى: [illegible] [سبأ: 28]، وقال تعالى: [illegible] [الأنبياء: 107]، وقال تعالى: [illegible] [الأحزاب: 40].

والآياتُ التي أنزلها الله سبحانه على رسوله محمد [illegible] فيها خطابٌ لجميع الخلق: الجن والإنس وعلى اختلاف أجناسهم، ولم يخص العربَ بحكمٍ من الأحكام، بل علّق الأحكامَ باسم : كافر ومؤمن، ومسلم ومنافق، وبرّ

وفــاجر، ومحســن وظــالم... وغــير ذلــك من الأســماء المــذكورة في القــرآن والحــديث، فليس في القــرآن والحـديث تخصـيصُ العـرب بحكم من الأحكـام الشـرعية، وإنما علّق الأحكامَ بالصفات المؤثرة فيما يحبه الله وفيمـا يبغضه الله.

ونزولُ القرآن بلسان العرب إنما هو لأجل التبليغ؛ لأنه بلّغَ قومَه أولاً، ثم بواسطتهم بلّغَ سـائرَ الأمم، وأمـره اللـه بتبليغ قومه أولاً، ثم تبليغ الأقرب فالأقرب، كما أمر بجهـاد الأقـرب فـالأقرب، وليس هـذا تخصيصـاً، وإنمـا هـو تـدرجٌ بالتبليغ.

فدينُ الأنبيـاء واحـد، وهـو إخلاصُ العبـادة للـه، والنهي عن الشــرك والفســاد، وإن تنــوعت شــرائعُهم حســب الظروف والحاجات، إلى أن ختمـوا بمحمـد الـذي عمّت رسالتُه الخلق، وامتدت إلى آخر الدنيا، لا تبدل ولا تغير ولا تنسخ، وهي صالحة ومصلحة لكل زمـان ومكـان، ولا نـبي بعده إلى آخر الزمان.

الفصل الخامس
خصائص الرسول :

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : ما اختُصَّ به عن غيره من الأنبياء لإ .

للنبي خصائص اختصَّ بها عن غيره من الأنبياء – عليهم السلام -، وخصائص اختص بها عن أمته.

والخصائص التي اختُصَّ بها عن غيره من الأنبياء – عليهم السلام - كثيرة؛ منها :

1- أنه خاتَم النبيين: قـال تعـالى: [illegible] [الأحـــزاب: 40]، وقـال : «أنـا خـاتَمُ النبـيين» [1]، وقـال : «وإنـه لا نـبيَّ بعدي» [2].

وهذا مجمعٌ عليه بين أمة الإسلام، فمَن ادّعى النبوةَ بعـده فهو كذّابٌ ليس من الإسـلام في شـيء، وهـذا من بـدَهيات دين الإسلام.

وكونُـه خـاتَم النبـيين يعـني أن الـوحيَ قـد انقطـعَ من السماء، فعن أنسٍ قال : «قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله لعمر : انطَلِقْ بناً إلى أمِّ أيمنَ نزورُها كما كان رسولُ اللــه يزورُها، فلَمَّا انتَهيَا إليها بكَت، فقالا لهـا : مـا يُبكيـكِ ؟ مـا عنـد الله خيرٌ لرسوله ، فقالت : ما أبكي أن لا أكون أَعلمُ أنّ مــا عند الله خيرٌ لرسوله ، ولكن أبكي أنّ الوحيَ قد انقطـعَ من السماء، فهَيَّجَتْهما على البكاءِ فجعلا يبكيان معها» [3].

فمَن اعتقد أن الله تعالى يـوحي بعـد مـوت محمـد إلى أحدٍ – كائناً مَن كان - : فقد كذّبَ الكتابَ والسنةَ والإجماع.

---

1 (?) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (ح/3535)، ومسلم (ح/2286).

2 (?) متفق عليه من حديث أبي هريرة ، أخرجه البخاري (ح/3455)، ومسلم (ح/1842).

3 (?) رواه مسلم (ح/2454).

2- المقـام المحمـود، وهـو الشـفاعة العظمى، كمـا في قولـه تعـالى : [illegible] [الإســراء: 79]، وكما في حديث الشفاعة الطويل المتفق على صحته : أن اللــه تعـالى يجمـع الأولين والآخــرين في صـعيد واحــد، فيقـول بعضُ النـاس لبعض : ألا تـرون إلى مـا أنتم فيـه، ألا ترون إلى ما قد بلغكم، ألا تنظرون مَن يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيــأتون إلى آدم، ثم نوحــاً، ثم إبــراهيم، ثم موســى، ثم عيسى، ثم إلى محمد – صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين – فكلهم يقول : اذهبوا إلى غيري، إلا محمـداً فإنـه يقـول: أنا لهـا، فيَخِـرُّ سـاجداً إلى أن يـؤذن لـه بالشـفاعة[1]. وبهـذا يظهرُ فضلُه على جميع الخلق، واختصاصُه بهذا المقام.

3- عمومُ بعثته إلى الثقلين الجن والإنس، قال تعالى: [illegible] [الأعــراف: 158]، [illegible] [سبأ: 28]، [illegible] [الفرقان: 1]، [illegible] [الأنبياء: 107]، [illegible] [الأحقاف: 29]، وهذا مجمع عليه.

والآياتُ التي أنزلها الله تعالى على محمد فيها خطابٌ لجميع الخلق الجن والإنس؛ إذ كانت رسالتُه عامــةً للثقلين، وإن كان من أسباب الـنزول مـا كـان موجـوداً في العـرب، فليس شيءٌ من الآيات مختصاً بالسـبب المعين الـذي نـزل فيه باتفـاق المسـلمين، فلم يقـل أحـدٌ من المسـلمين : إن آيات الطلاق أو الظهار أو اللعان أو حدّ السرقة والمحاربين وغير ذلك : يختص بالشخص المعين الذي كان سبب نــزول الآية.

وكما كان مبعوثـاً إلى الإنس : فهـو مبعـوثٌ أيضـاً إلى الجن، فقد استمعَ الجنُّ لقراءته، وولّوا إلى قومهم منذرين، كما أخبر الله ، وهذا متفق عليه بين المسلمين، وقد ذكــر اللـه تعـالى في القـرآن من خطـاب الثقلين مـا يـبين هـذا

[1] (?) حديث الشفاعة متفق عليه من حديث أنس ، أخرجــه البخاري (ح/7510)، ومسلم (ح/193).

الأصل، كقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 130]، وقد أخبر الله تعالى عن الجن أنهم قالوا : ﴿[illegible]﴾ [الجن: 11]، أي: مذاهب شتى: مسلمون وكفار، وأهل سنة وأهل بدعة، وقالوا: ﴿[illegible]﴾ الآية [الجن: 14]، والقاسط: الجائر، يُقال : قسط، إذا جار، وأقسط: إذا عدل.

4- ومن خصائصه ﷺ : القرآن العظيم، الذي أذعنَ لإعجازه الثقلان، وأحجمَ عن معارضته بلغاءُ الإنس والجان، واعترف بالعجز عن الإتيان بأقصر سورةٍ من مثله أهلُ الفصاحة والبلاغةِ من سائر الأديان، كما سبق تفصيل ذلك.

5- ومن خصائصه ﷺ : المعراج إلى السماوات العلى، إلى سدرة المنتهى، إلى مستوى سمعَ فيه صريفَ الأقلام، فكان قابَ قوسين أو أدنى.

المبحث الثاني
الخصائص التي اختص بها دون أمته

خص الله تعالى رسولَه [illegible] من أحكام الشريعةِ بمعانٍ لم يشاركه فيها أحدٌ في باب الفرض والتحريم والتحليل؛ مزيةً على الأمة، وهبةً له، ومرتبة خص بها؛ ففرضت عليه أشياء ما فرضت على غيره، وحرمت عليه أشياء لم تحرم عليهم، وحللت له أشياء لم تحلل لهم، منها متفق عليه، ومنها مختلف فيه، ومن هذه الخصائص :

- التهجد بالليل، يُقال : إن قيام الليل كان واجبـاً عليـه إلى أن مات؛ لقولـه تعـالى: [illegible] [المزمل: 1]، والمنصوصُ أنه كان واجباً عليــه، ثم نســخ بقولــه تعــالى : [illegible] [الإسراء: 79].
- أنه إذا عَمِلَ عملاً أثبتَه.
- تحريم الزكاة عليه وعلى آله.
- أنه أُحِلَّ له الوصال في الصيام.
- أنه أُحِلَّ له الزيادة على أربع نسوة.
- أنه أُحِلَّ له القتال بمكة.
- أنه لا يورث.
- بقاءُ زوجيَّتِه بعد الموت، وإذا طلق امرأةً : تبقى حرمتُه عليها فلا تُنكَح.

إلى غير ذلك من الخصائص النبوية عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

الباب الخامس
في الإيمان باليوم الآخر :

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإيمان باليوم الآخر.

الفصل الثاني : الإيمان بأشراط الساعة.

الفصل الثالث : القيامة الكبرى والقيامة الصغرى.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : القيامة الصغرى.

المطلب الثاني : القيامة الكبرى.

الفصل الأول
الإيمان باليوم الآخر

المراد باليوم الآخر هنا هـو يـوم القيامـة، ويـدخل فيـه كـل مـا كـان مقدمـة إليـه، كالحيـاة البرزخيـة، وأشـراط الساعة.

فمبتـدأُه من المـوت، ومنتهـاه إلى آخـر مـا يقـع يـوم القيامة، أي : إلى ما لا نهاية له، وعليـه فمـدة الـبرزخ من يوم القيامة، وهذا هو المشهور عند العلماء.

والإيمـان بـاليوم الآخـر هـو الـركن الخـامس من أركـان الإيمان، والـذي لا يصـح إيمـانُ العبـد إلا بـه، كمـا في حـديث جبريل [illegible] - وقد تقدمت الإشارة إليه – وقـال تعـالى: [illegible] [التوبة: 29]، والآيات في ذلك كثيرة جداً.

ويكـون الإيمـانُ بـاليوم الآخـر : بالإيمـان بأنـه كـائن لا محالة، والتصـديق بكـل مـا بعـد المـوت من عـذاب القـبر ونعيمه، وبالبعث بعد ذلك، والحساب، والمـيزان، والثـواب والعقاب، والجنة والنار، وبكل ما وصف الله تعالى به يـوم القيامة.

واليوم الآخر قد أخبر الله تعالى عنه في كتابه العزيـز، وأقام عليه أدلةً كثـيرة، وردَّ على المنكـرين لـه في غـالب سور القرآن الكريم.

وقد تنوعت أدلةُ البعث في القرآن الكريم :

- فتارةً يُخبر عمن أمـاتهم ثم أحيـاهم في الـدنيا، كمـا أخبر عن قوم موسـى الـذين قـالوا : [illegible] [البقـرة: 55]، قـال تعـالى: [illegible] [البقرة: 55-56].

وأخـــــبر عن [illegible] [البقـرة: 143]، وعن إبراهيم [illegible] إذ قال: [illegible]... [البقـرة: 260] القصـة، وكمـا أخـبر عن المسـيح [illegible] أنـه كـان يحـيي الموتى بإذن الله تعالى، وعن أصـحاب الكهـف أنهم بُعثـوا بعد ثلاث مئة سنةٍ وتسعِ سنين.

وتارةً يستدل على ذلك بالنشأة الأولى؛ فإن الإعـادةَ أهونُ من الابتداء، كما في قولِه تعـالى : ... الآيـة [الحج: 5]، وقولـه تعـالى : [يس: 79]، وقولِـه تعـالى : [الإسـراء: 51]، وقولِـه تعـالى : [الروم: 27].

وتارةً يستدل على ذلـك بخلـق السـماوات والأرض؛ فـإن خلقَهمـا أعظمُ من إعـادة الإنسـان، كمـا في قولـه تعالى : [الأحقاف: 33].

وتـارةً يسـتدل سـبحانه وتعـالى على البعث بتنزيـه نفسه المقدسـة عن العبث، كمـا قـال تعـالى : [المؤمنـــــون: 115]، [القيامة: 36-40].

فالنـــاسُ في هـــذه الـــدنيا منهم المحســـن، ومنهم المسيء، وقد يموتون ولا ينالُ أحدُهم جزاءَ عملـه؛ فلا بـد من دار أخرى يُقام فيها العدلُ بين الناس، وينالُ كلٌّ منهم جزاءَ عمله.

الفصل الثاني
الإيمان بأشراط الساعة

أشراط الساعة هي علاماتُها التي تدل على اقترابها ومجيئها.

وهي تنقسم إلى قسمين :

1- أشراط صغرى : وهي التي تتقدّم الساعةَ بأزمان متطاولة، وتكون من نوع المعتاد، كقبض العلم،

وظهور الجهل، وشرب الخمر، ونحوها، وقد يظهر بعضُها مصاحباً للأشراط الكبرى، أو بعدها.

2- أشراط كبرى : وهي الأمورُ العظام التي تظهرُ قربَ قيام الساعة، وتكون غير معتادة الوقوع؛ كظهور الدجال، ونزول عيسى ، وخروج يأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها.

وقسّم بعضُ العلماء أشراطَ الساعة من حيث ظهورها إلى ثلاثة أقسام :

1- قسمٌ ظهرَ وانقضى.
2- وقسمٌ ظهرَ ولا يزال يتتابعُ ويكثر.
3- وقسم لم يظهر حتى الآن.

فأما القسمان الأولان : فهما من أشراط الساعة الصغرى، وأما القسمُ الثالث: فيشتركُ فيه الأشراط الكبرى وبعض الأشراط الصغرى.

أما القسم الأول – وهو الذي ظهر وانقضى - :

فمن هذه الأمارات : بعثة النبي ، وموتُه ، وفتحُ بيت المقدس. ومنها : قتلُ أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، ومنها : ذكر الحروب التي وقعت بين المسلمين بعد قتل عثمان .

وأما القسم الثاني، وهو الأمارات المتوسطة، وهي التي ظهرت ولم تنقض، بل تتزايد وتكثر : فهي كثيرةٌ جداً، منها :

قولُه : «لا تقوم الساعةُ حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لكع» [1]، واللكع : العبدُ والأحمق واللئيم.

- ومنها : قولُه : «يأتي على الناس زمانٌ الصابرُ فيهم على دينه كالقابضِ على الجمر» [2].
- ومنها قولُه : «إن من أشراط الساعة أن يُرفعَ العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنى، ويكثر شربُ الخمر،

---

1 (?) رواه الإمام أحمد (5/389)، وهو صحيح.

2 (?) رواه الترمذي (ح/2186) عن أنس ، وهو صحيح.

ويقل الرجال، ويكثر النساءُ حتى يكون لخمسين امرأةً القِيِّمُ الواحد»[1].

- ومنها قولُه للسائلِ عن الساعة : «إذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظر الساعة»، قال – أي : السائل - : كيف إضاعتُها ؟ قال : «إذا وُسِّد الأمرُ إلى غير أهله : فانتظر الساعة»[2].

أما القسم الثالث من أمارات الساعة : فهي العلامات العظام والأشراط الجسام التي تعقبها الساعة، وأولُها : ظهورُ المهدي، ثم خروج الدجال، ثم نزول المسيح ، ثم تتتابع.

وهذه العلامات جاء ذكرُها في النصوص، ومنها : حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطلع النبيُّ علينا ونحن نتذاكر، فقال : «ما تذاكرون ؟»، قالوا : نذكر الساعة، قال : «إنها لن تقوم حتى ترون قبلَها عشرَ آيات»، فذكر : الدخان، والدجال، والدابة، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى ابن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف : خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب، وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطردُ الناسَ إلى محشرهم»[3].

وسأذكر هنا بعضَ هذه العلامات الواردة في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى بإيجاز :

1- ظهور المهدي[4] :

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسولُ الله : «لا تنقضي الأيام ولا يذهبُ الدهرُ حتى يملك العربَ رجلٌ من أهل بيتي، يواطئ اسمُه اسمي»[5].

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/5231)، ومسلم (ح/2671).

2 (?) رواه البخاري (ح/59، 6496) من حديث أبي هريرة .

3 (?) رواه مسلم (ح/2901).

4 (?) تحدثت عن المهديِّ قبل العلامات العشر التي وردَ ذكرُها في حديث حذيفة لأن ظهورَه يكون سابقاً لها، فهو الذي يجتمعُ عليه المؤمنون لقتال الدجال، ثم يَنزِلُ عيسى بنُ مريم – عليه السلام – ويصلي خلفه، كما سيأتي.

5 (?) رواه أحمد (5/199ح/3573) – تحقيق الشيخ أحمد شاكر،

وقد تواترت الأحاديثُ واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته ، وأنه يملك سبعَ سنين، وأنه يملأ الأرضَ عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويكون ظهورُه من بلاد المشرق، ويُبايَع له عند الكعبة، وينزلُ عيسى ابنُ مريم وأميرُ المسلمين هو المهدي، فيقول لعيسى : تعال صلِّ بنا، فيقول : لا؛ إن بعضَهم أميرُ بعض.

وقد انقسم الناسُ في أمر المهدي إلى طرفين ووسط :

فالطرف الأول : مَن ينكر خروجَ المهدي، مثل بعض الكتّاب المعاصرين الذين ليس لهم خبرة بالنصوص وأقوال أهل العلم، وأحاديثه قد بلغت حدَّ التواتر المعنوي بشهادة كثيرة من أهل العلم[1].

والطرف الثاني : مَن يُغالي في أمر المهدي من الطوائف الضالة، حتى ادعَت كلُّ طائفةٍ لزعيمهم أنه المهدي المنتظر.

وأما الوسط : فهم أهل السنة والجماعة، الذين يُثبتون خروجَ المهدي على ما وردت به النصوصُ الصحيحةُ في اسمه، واسم أبيه، وصفاتِه، ووقتِ خروجه.

2- خروج الدجال :

تواترت الأحاديثُ من وجوه متعددة في إثبات خروج الدجالِ وبيانِ فتنتِه والاستعاذة منه، وأجمع أهلُ السنة على خروجه في آخر الزمان، وفتنةُ الدجال أعظم الفتن منذ خلق الله آدمَ إلى قيام الساعة، وذلك بسبب ما يخلق الله تعالى معه من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول، وتُحيِّر الألباب.

ولذلك فإن المسيحَ الدجال قد أنذرت به الأنبياءُ لإ أقوامَها، وحذَّر منه نبيُّنا أكثر، وبين أوصافَه لأمته،

وقال : إسناده صحيح، ورواه الترمذي (ح/2345) وقال : هذا حديث حسن صحيح.

1 (?) مما أُلِّف في المهدي : رسالة (الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح والتعديل) للباحث عبد العليم عبد العظيم، وهي رسالة الماجستير، و(عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر) للشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر.

وخلاصةُ ما وردت فيه من الأحاديث : أنه يؤذنُ له في الخروج في آخر الزمان، فيخرج من جهة المشرقِ من خراسان، من يهودية أصبهان، يظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدّعي الربوبية، فيتبعُه على ذلك الجهلةُ من بني آدم، ويُخالفُه ويرد عليه مَن هداه الله تعالى من الصالحين، ويتدنى فيأخذ البلادَ بلداً بلداً، ولا يبقى من البلدان إلا وطئه بخيله ورجله غير مكة والمدينة.

وقد خلقَ الله تعالى على يديه خوارقَ كثيرةً يضل بها مَن يشاءُ من خلقه، ويَثبتُ معها المؤمنون فيزدادون إيماناً مع إيمانهم، وهدى إلى هداهم.

ويكون نزولُ عيسى بن مريم مسيحِ الهدى في أيام مسيح الضلالة، فيجتمعُ عليه المؤمنون، فيسير بهم المسيحُ عيسى بنُ مريم قاصداً نحو الدجالِ وقد توجّه نحو بيت المقدس، فينهزمُ منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة (لدّ)، فيقتله بحربتِه وهو داخلٌ إليها، ويقول له : إن لي فيك ضربة لن تفوتني، وإذا واجهه الدجال : فإنه يذوبُ كما ينحلُّ الملحُ في الماء، ويكون وفاتُه هناك لعنه الله تعالى.

«ومن فتنته أيضاً : أن يقول للأعرابي : أرأيتَ إن بعثتُ لك أباك وأمَّك؛ أتشهد أني ربُّك ؟ فيقول : نعم، فيتمثَّلُ له شيطانان في صورة أبيه وأمِّه، فيقولان: يا بني، اتْبَعْه؛ فإنه ربُّك»[1].

وسيكون أكثرُ أتباعه الأعراب لغلبة الجهل عليهم، وأما النساء : فحالُهن أشد من الأعراب؛ لسرعة تأثرهن وغلبة الجهل عليهن، فعن ابن عمر م قال : قال النبيُّ : «ينزل الدجالُ في هذه السبخةِ بمرقناة، فيكون أكثرُ مَن يخرج إليه النساء، حتى إن الرجلَ يرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنتِه وأختِه وعمَّتِه فيوثقُها رباطاً؛ مخافةَ أن تخرج إليه»[2].

ومن الأحاديث الواردةِ فيه : حديث أنس بن مالك

---

1 (?) أخرجه ابنُ ماجه (1359/2-1363)، والحديث صحيح.

2 (?) رواه أحمد (190/7ح/5353) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر، وقال : إسنادُه صحيح.

عن النبي □ : عنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهِ عَلَيْه وَسَلِم : قال : «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إلا أَنْذَرَ قَوْمَه الْأَعْوَرَ الْكَذَّاب، إِنَّهُ أَعْوَر - وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَر - مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِر»[1].

زاد في رواية حذيفة □ : «مكتوبٌ بين عينيه (كافر)، يقرؤه كلُّ مؤمن، كاتبٍ وغير كاتب»[2].

وكذلك حديثُ النوّاس بن سمعان □ قال :

ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ[3] حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَقَالَ □ : «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِه، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِم، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ[4] كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَن، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْف ...

قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْض؟ قَالَ □ : «أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ □ : «لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَه».

قُلْنَا : يَا رَسُولَ الله، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْض؟ قَالَ □ : «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَه؛ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِت، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا[5]،

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/7131)، ومسلم (ح/2933).

2 (?) رواه مسلم (ح/2934).

3 (?) أي : أكثرَ من الكلام فيه، فتارةً يرفع صوتَه ليُسمِعَ مَن بَعُد، وتارةً يخفضُ ليستريح من تعب الإعلان، وهذه حالةُ المُكثِرِ من الكلام.

4 (?) **القطَط** : الشديد الجعودة، ومعنى **(عينه طافئة)** : اسم فاعل من طُفِئت النارُ تُطفأ فهي طافئة، أي: ذهبَ نورُها.

5 (?) **تروح :** ترجع آخرَ النهار. و**السارحة :** الماشيةُ التي تسرح، أي : تذهب أول النهار إلى المرعى. و**الذرا :** الأعالي.

وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَه، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ[1] لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِم، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَك، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْل، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَض[2]، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَك.

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ... فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ[3] فَيَقْتُلُه، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمْ اللهُ مِنْه، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّة [4].

وقد أمرَ النبيُّ أمتَه بالاستعاذةِ من فتنته في آخر كل صلاة، فعن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله : إذا فرغ أحدُكم من التشهد الآخر: فليتعوّذ بالله من أربع : من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ المسيح الدجال[5].

3-4= نزولُ عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج :

أكتفي في خبر نزول عيسى وفي خبر يأجوج ومأجوج بما ورد في حديث النوّاس السابق، وفيه – بعد الحديث عن الدجال - :

 فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَم، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ

---

1 (?) من المَحْل، وهو القحطُ والجدب. و**يعاسيبُ النحل :** فحولُها، واحدُها يعسوب.

2 (?) الجزلةُ – بفتح الجيم على المشهور، وحكى ابنُ دريد كسرَها - : القطعة، أي : يقطعُه قطعتَين. و **رميةَ الغرض**: منصوبٌ نصبَ المصدر، أي : كرمية الغرضِ في السرعة والإصابة.

3 (?) اللُّدُّ بلدةٌ قرب بيت المقدس في فلسطين.

4 (?) رواه مسلم (ح/2937).

5 (?) رواه مسلم (ح/588).

مَهْرُودَتَيْنِ[1]، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَر، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إلَّا مَات، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُه، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَه بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُه ...

فبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إذْ أَوْحَى اللهُ إلَى عِيسَى إنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إلَى الطُّور[2]، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّة[3]، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمْ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ الله عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ[4] فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى[5] كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَة، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ[6] وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إلَى الله، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ[7] فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ الله، ثُمَّ يُرْسِلُ الله مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ[8] بَيْتُ مَدَرٍ

---

1. (?) المهرودتان : الثوبان المصبوغان بورس ثم بزعفران.
2. (?) أي : ضمَّهم واجعله لهم حرزاً. ومعنى «**من كل حدَب ينسلون**» : الحدب: النشز، أي : المكان المرتفع، وينسلون : يمشون مسرِعين.
3. (?) طبرية : بحيرة ومدينةٌ في شمال فلسطين، غربُها موقع حطين، ويخرج منها نهرُ الأردن ليصبَّ بالبحر الميت.
4. (?) **النغَفُ** جمعُ نغفة، وهي دودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم، وهي وإن كانت محتقَرة : إلا أن إتلافَها شديد.
5. (?) أي : هلكى قتلى، من فرسَ الذئبُ الشاة : إذا قتلها، ومنه الفريسة.
6. (?) **الزّهَمُ** : النتنُ والرائحة الكريهة، وأصلُه : ما يعلقُ باليد من ريح اللحم.
7. (?) **البُخت** : إبلٌ غلاظ الأعناق، عظام الأسنان.
8. (?) **لا يَكنُّ منه** : لا يستتر من ذلك المطر لكثرته بيتٌ مبني بالطين، ولا بيتُ شَعر ولا وبر.

وَلَا وَبَر، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ[1]، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَك، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنْ الرُّمَّانَةِ وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا[2]، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ[3] مِنْ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِن النَّاس، وَاللِّقْحَةَ مِن الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِن النَّاس، وَاللِّقْحَةَ مِن الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِن النَّاسِ.

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إذْ بَعَثَ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِم، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ[4] فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»[5].

وقد أنكرَ بعضُ الكُتّاب العصريين وجودَ يأجوج ومأجوج ووجودَ السدّ، وبعضُهم يؤول النصوص بما لا تحتملُه،
وليس لهم شبهة يستندون إليها إلا قولهم: إن الأرضَ قد اكتُشِفَت كلها، فلم يوجد ليأجوج ومأجوج ولا للسدِّ مكان فيها!

والجواب عن ذلك : أن كونَ المكتشفين لم يعثروا على يأجوج ومأجوج وسدِّهم لا يدل ذلك على عدم وجودهم، بل يدل على عَجز البشر عن الإحاطةِ بملكوت الله ، وقد يكون الله صَرَفَ أبصارَهم عن رؤيتهم، أو جَعلَ أشياءَ تمنعُ من الوصولِ إليهم، والله تعالى قادرٌ على كل شيء، وكلُّ شيءٍ له أجل، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 66-67].

---

1 (?) **الزلَفة**: قيل : المرآة، شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتِها، وقيل : كمصانع الماء، أي : أن الماءَ يستنقعُ فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمعُ فيه الماء.

2 (?) **القِحفُ** : أعلى الجمجمة، وهي المحتوية على الدماغ، واستعاره هنا للرّمّانة للشبَه الذي بينهما.

3 (?) **اللقحة** - بكسر اللام وفتحها، وهي القريبةُ العهد بالولادة.

4 (?) **يتهارَجون فيها تهارج الحمر :** أي : يجامعُ الرجلُ النساءَ علانيةً بحضرة الناس، كما يفعل الحَمير، ولا يكترثون لذلك، والهَرْجُ – بإسكان الراء - : الجماع.

5 (?) رواه مسلم (ح/2937).

وما الذي أعمى أبصارَ الأوائل وأعجزَ قدراتِهم عن كنوز الأرض التي اكتشفَها المعاصرون، كالنّفطِ وغيره، إلا أن الله [illegible] جعلَ لذلك أجلاً ووقتاً؟! فيجب الإيمانُ بكل ما وردَ في الكتاب والسنة من ذكر يأجوج ومأجوج وغير ذلك من الغيبيات.

5- خروج الدابة :

هذه الدابةُ آيةٌ من آيات اللـه تخـرج في آخـر الزمـان، عنـدما يكـثر الشـر، ويعم الفسـاد، وقـد وردَ ذكرُهـا في القرآن الكريم في قوله تعـالى : [illegible] [النمل: 82].

ولم يأتِ في القـرآن الكـريم ولا في السـنة المطهـرة ذكرُ كيفية هذه الدابة، وإنما أثرها المقصود منها، وأنها من آيات الله تعالى، ولا شك أنها مخالفـة لمعهـود البشـر من الدواب، ومن ذلك أنها تكلم الناسَ وتخاطبُهم.

6-8= الخسوفات الثلاثة :

سبق في حديث حذيفـة بن أسـيد [illegible] أن رسـولَ اللـه [illegible] قـال : «إن السـاعةَ لن تقـومُ حـتى تـروا عشـرَ آيـاتٍ... (فذكر منها :) وثلاثة خسوف : خسفٌ بالمشـرق، وخسـفٌ بالمغرب، وخسفٌ بجزيرة العرب»[1].

والصـحيح أن هـذه الخسـوفات الثلاثـة لم تقـع بعـدُ كغيرها من الأشراط الكبرى التي لم يظهر شيءٌ منها.

9- طلوع الشمس من مغربها :

قــال تعــالى : [illegible] [الأنعام: 158].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة أن المـرادَ ببعض الآيـات المذكورة في الآيـة هـو طلـوعُ الشـمس من مغربهـا، وهـو قولُ أكثر المفسرين، ومما وردَ فيه من الأحاديث : ما رواه أبو هريرة [illegible] أن رسولَ الله [illegible] قال : «لا تقوم الساعةُ حـتى تطلـع الشـمسُ من مغربهـا، فـإذا طلعت فرآهـا النـاس : آمنـوا أجمعـون، فـذاك حين [illegible]

1 (?) رواه مسلم (ح/2901).

[الأنعـــــــــــام: 158]»[1].

10- النار التي تحشر الناس :

وآخر الآيات التي تكون قبل قيام الساعة: نارٌ تخرج من قعـر عـدن، تحشـر النـاسَ إلى محشـرهم، ومن الأحـاديث الواردة في ذلك: حديث حذيفة في ذكر أشـراط السـاعة الكبرى – الذي سبق ذكرُه - وفيـه: «وآخـرُ ذلـك نـارٌ تخـرج من اليمن، تطرد الناسَ إلى محشرهم»[2].

والأرض التي تحشر النارُ الناسَ إليها : هي بلادُ الشام، وقد ذهبَ بعضُ أهل العلم إلى أن هـذا الحشـرَ يكـون في الآخرة، ولكن الجمهورَ من أهل العلم على أن هذا الحشرَ يكـون في آخـر عمـر الـدنيا، وهـذا هـو الـذي تـدل عليـه الأحاديث.

وقد وردَ في الحديث بيـانُ كيفيـة حشـر النـار للنـاس، فعن أبي هريرة عن النـبي قـال : «يُحْشَـرُ النَّاسُ عَلى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِين، وَاثْنَانِ عَلى بَعِـيرٍ وَثَلَاثَـةٌ عَلى بَعِيرٍ وَأَرْبَعَةٌ عَلى بَعِيرٍ وَعَشَـرَةٌ عَلى بَعِـير، وَيَحْشُـرُ بَقِيَّتَهُمْ النَّارُ، تَقِيـــلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَـــالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَـــاتُوا، وَتُصْـــبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْـــبَحُوا، وَتُمْسِـــي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا»[3].

---

1 (?) رواه البخاري (ح/6506)، ومسلم (ح/157).

2 (?) رواه مسلم (ح/2901).

3 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6522)، ومسلم (ح/2861).

الفصل الثالث
القيامة الصغرى والقيامة الكبرى

المبحث الأول : القيامة الصغرى :

وسأتحدث فيه عن الموت، والروح، وفتنة القبرِ وعذابِه ونعيمِه.

أولاً : الموت :

من مقدمات اليوم الآخر : الموت، وهو القيامة الصغرى، وهي وفاة كل شخصٍ عند انتهاء أجله، وبها ينتقل من الدنيا إلى الآخرة.

وقد ذكّر الله تعالى العبادَ بالموت؛ ليستعدوا له بالأعمال الصالحةِ والتوبةِ من الأعمال السيئة؛ لأنه إذا جاء : خَتَمَ عملَ الإنسان، وهو لا يقبل التأخير، قال تعالى: [illegible] [المنافقون: 9-11]، وقال تعالى: [illegible] [آل عمران: 185].

والموتُ هو القيامةُ الصغرى، وقيامُ الساعة هو القيامة الكبرى.

واللهُ سبحانه وتعالى في السورة الواحدة يذكر القيامةَ الكبرى والصغرى؛ كما في سورة الواقعة؛ فإنه ذكر في أولها القيامةَ الكبرى، وأن الناسَ يكونون أزواجاً ثلاثة، كما قال تعالى : [illegible] [الواقعة: 1-7].

ثم إنه في آخرها ذكر القيامةَ الصغرى بالموت، وأنهم يكونون ثلاثة أصناف بعد الموت، فقال: [illegible] [الواقعة: 83-94].

وعند الموت تُقبضُ روحُ الإنسان من جسده بأمر اللــه تعالى.

وقد أسندَ اللـه تعـالى قبضَ الأنفسِ إليـه سـبحانه في قولــه تعــالى : ﴿[illegible]﴾ [الزمــر: 42]، وأسـنده إلى ملَـكِ المـوتِ ﴿ في قولـه : ﴿[illegible]﴾ [السجدة: 11]، وأسندَه إلى الملائكـةِ في قولــــه تعـــــالى : ﴿[illegible]﴾ [الأنعام: 61]، وفي قوله : ﴿[illegible]﴾ [الأنفـــــال: 50]، ولا تعـارضَ بين الآيـات، والإضـافةُ في هـذه الآيـات إلى كـلٍّ بحسبه :

- فالله تعالى هـو الـذي قضـى بـالموتِ وقـدَّره؛ فهـو بقضائه وقدَره وأمـره، فأضـيف إليـه التـوفي لأجـل ذلك.
- وملَكُ الموت يتولى قبضَها واستخراجَها من البدن.
- ثم تأخذُها منـه ملائكـةُ الرحمـة أو ملائكـةُ العـذاب، ويتولونها بعده.

فصحّت إضافةُ التوفي إلى كلٍّ بحسبه.

التوفي بالنوم والتوفي بالموت :

الروحُ المدبِّرةُ للبدن التي تفارقُه بالموت : هي الروحُ المنفوخةُ فيه، وهي النفسُ التي تفارقُه بالنوم، قال النبيُّ ﷺ لَـمّا نام عن الصلاة : «إن الله قبضَ أرواحَكم حين شاء، وردَّها عليكم حين شاء»[1].

وقـــال تعـــالى : ﴿[illegible]﴾ [الزمر: 42].

قال ابنُ عباس ب وأكثرُ المفسرين: يقبضُها قبضـتَين : قبض الموت، وقبض النوم، ثم في النوم يقبض التي تموتُ ويرسلُ الأخـرى إلى أجـلٍ مسـمى حـتى يـأتي أجلُهـا وقت الموت.

---

[1] (?) أخرجه البخاري (ح/595)، وأخرجه مسلم (ح/681) مطولاً بدون هذه الجملة، كلاهما من حديث أبي قتادة ﷺ .

وقد ثبتَ في الصحيحين عن النبي : أنه كان يقول إذا نام : «باسمكَ ربِّي وضعتُ جنبي، وبك أرفعُه، إن أمسكتَ نفسي؛ فاغفر لها، وإن أرسلتَها؛ فاحفظها بما تحفظ به عبادكَ الصالحين»[2].

وهذا أحدُ القولين في الآية، وهو أن الـمُمْسَكة والمرسَلة كلاهما متوفى وفاة النوم؛ فمَن استكمَلت أجلَها : أمسكَها عنده فلا يردُّها إلى جسدها، ومَن لم تستكمل أجلَها : ردَّها إلى جسدها لتستكملَه.

والقول الثاني : أن الـمُمسَكَة : مَن توفيت وفاةَ الموت أولاً، والـمُرسَلَة : مَن توفيت وفاةَ النوم، والمعنى على هذا : أن الله تعالى يتوفى نفسَ الميت فيمسكُها ولا يُرسلُها قبل يوم القيامة، ويتوفّى سبحانه نفسَ النائم ثم يرسلُها إلى جسده إلى بقية أجلِها، فيتوفاها الوفاة الأخرى؛ قال تعالى: [الأنعام: 60].

ثانياً : الروح والنفس :

أ- حقيقة الروح : مذهبُ أهل السنة أن الروح عينٌ قائمةٌ بنفسها، تفارقُ البدن، وتنعم، وتعذب، ليست هي البدن، ولا جزء من أجزائه، وليست من جنس الأجسام المتميزات المشهودة المعهودة، وأما الإشارة إليها : فإنه يُشار إليها، وتصعد، وتنزل، وتخرج من البدن، وتسيل منه، كما جاءت بذلك النصوص.

ولا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هيساريةٌ في الجسد كما تسري الحياةُ التي هي عَرَضٌ في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطةٌ بالروح، فإذا كانت الروحُ في الجسد : كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح : فارقته الحياة.

وروح الآدمي مخلوقةٌ مُبدَعةٌ باتفاق سلف الأمة وأئمتِها وسائرِ أهل السنة، ولم يُخالف في ذلك إلا الفلاسفة ومَن تبعهم ممن لا خبرة له بالنصوص الشرعية.

ب- كيفية قبض روح المتوفى ومآلُها بعد وفاته :

---

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6320، 7393)، ومسلم (ح/2714).

قـد جـاءَ بيـانُ كيفيـة التـوفي ومـآل الـروح بعـده في حديث البراء بن عازب الطويل – رضي الله عنهما – حيث يقول :

كنا في جنـازةٍ في بقيـع الغرقـد، فأتانـا النـبيُّ فقعـدَ وقعدنا حوله كأنّ على رؤوسنا الطير وهو يُلحَدُ له، فقال : «أعوذ بالله من عذاب القبر» ثلاث مرات.

ثم قـال : «إن العبـدَ المـؤمنَ إذا كـان في إقبـالٍ من الآخرةِ وانقطاعٍ من الدنيا: نزلت إليـه الملائكـة، كـأن على وجـوههم الشـمس، معهم كفنٌ من أكفـان الجنـة، وحَنـوطٌ من حنوط الجنة، فجلسوا منـه مَـدَّ البصـر، ثم يجيءُ ملَـكُ المـوت حـتى يجلس عنـد رأسـه فيقـول : يـا أيتهـا النفسُ الطيبة، اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان».

قـال : «فتخـرج تسـيلُ كمـا تسـيلُ القطـرةُ مِن في السقاء، فيأخذُها، فإذا أخـذها: لم يَـدَعوها في يـده طرفـة عين حـتى يأخـذوها فيجعلوهـا في الكفنِ وذلـك الحنـوط، ويخــرج منهــا كــأطيبِ نفحــةِ مســكٍ وُجِــدَت على وجــه الأرض».

قـال : «فيصـعدون بهـا، فلا يمـرون بهـا على ملأٍ من الملائكةِ إلا قالوا : ما هذه الروحُ الطيبة ؟ فيقولون : فلانُ ابنُ فلان؛ بـأطيبِ أسـمائه الـتي كـانوا يسـمونه بهـا في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيسـتفتحون لـه، فيُفتَح له، فيُشَيِّعُه من كل سماءٍ مُقَرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء الـتي فيهـا الله[1]، فيقـول اللـه : اكتبـوا كتـابَ عبـدي في علـيين، وأعيـدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتُهم، وفيهـا أعيـدُهم، ومنهـا أخـرجتُهم تـارةً أخرى».

قــال : «فتُعــاد روحُــه في جســده، فيأتيــه ملَكــان، فيُجلِســانه فيقــولان لــه : مَن ربُّك؟ فيقــول : ربي اللــه، فيقولان له : ما دينُك؟ فيقول : ديني الإسلام. فيقولان له:

---

1 (?) قال شيخُ الإسلام ابن تيميـة : : «وقولُـه : «فيهـا الله»: بمنزلـة قوله تعـالى : [illegible]».

ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول : هو رسـولُ اللـه. فيقولان له : ما عِلمُك؟ فيقول : قرأتُ كتابَ اللـه فـآمنتُ به وصدقت. فينادي منـادٍ من السـماء : أن صـدق عبـدي؛ فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة».

قال : «فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قــبره مَدَّ بصره».

قال: «ويأتيه رجلٌ حَسَنُ الوجه، حسَـنُ الثيـاب، طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك، هـذا يومـك الـذي كنتَ توعَد. فيقـول لـه: مَن أنت؟ فوجهُـك الـذي يجيء بـالخير. فيقول: أنا عملُـك الصـالح. فيقـول: يـا رب ! أقم السـاعةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال : وإن العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطـاعٍ من الـدنيا وإقبالٍ من الآخـرة : نـزل إليـه من السـماءِ ملَائكـةٌ سـودُ الوجوه، معهم المسـوح[1]، فيجلسـون منـه مَـدَّ البصـر، ثم يجيءُ ملَكُ الموت حتى يجلس عنـد رأسـه فيقـول : أيتهـا النفسُ الخبيثة ! اخرجي إلى سخطٍ من الله وغضب».

قال : «فتفرَّقَ روحُه في جسده، فينتزعُها كمـا ينـتزعُ السفود من الصـوف المبلـول، فيأخـذها، فـإذا أخـذها : لم يــدَعوها في يــده طرفــة عين حــتى يجعلوهــا في تلــك المسوح، ويخرج منها كـأنتن ريح خبيثـةٍ وُجِـدَت على وجـه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان؛ بأقبح أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهي بها إلى السماء الدنيا، فيُستَفتَحُ له، فلا يُفتَح له».

ثم قرأ رسولُ الله : [الأعــــراف: 40] فيقــول اللــه : اكتبــوا كتابَــه في سـجينٍ في الأرض السفلى، فتُطرح روحُه طرحاً».

ثم قرأ : [الحج: 31]، فتُعــــاد روحُه في جسده، ويأتيه ملَكـان، فيُجلِسـانه، فيقـولان لـه:

---

1 (?) المسوح جمعُ مِسْح وهو الكساءُ من الشَّعر.

مَن ربك؟ فيقول : هاه هاه ! لا أدري. فيقولان له : ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكم؟ فيقول : هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماءِ : أن كذب عبدي، فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حَرِّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعُه.

ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، منتِنُ الريح، فيقول : أبشر بالذي يسوءُك، هذا يومك الذي كنتَ توعَد. فيقول : مَن أنت؟ فوجهُك الوجهُ الذي يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملُك الخبيث. فيقول : ربِّ لا تُقِمِ الساعة»[1].

«وذهبَ إلى موجب هذا الحديث جميعُ أهل السنة والحديث، وله شواهدُ في الصحيح»[2].

ج- هل الروحُ والنفسُ شيءٌ واحدٌ أو شيئان متغايران ؟

اختلف الناسُ في ذلك : فمن قائل : إنهما شيءٌ واحد، وهم الجمهور، ومن قائل : إنهما متغايران.

والتحقيق : أن لفظ الروح والنفس يُعبَّر بهما عن عدة معان، فيتحد مدلولُهما تارة، ويختلف تارة؛ فالنفسُ تطلق على أمور :

- منها : الروح، يقال: خرجت نفسُه، أي : روحُه، ومنه قولُه تعالى : ﴿ ﴾ [الأنعام: 93].
- ومنها : الذات، يُقال : رأيت زيداً نفسَه وعينَه، ومنه قولُه تعالى : ﴿ ﴾ [النور: 61].
- ومنها : الدم، يُقال : سالت نفسُه، ومنه قولُ الفقهاء : ما له نفسٌ سائلة، وما ليس له نفس سائلة، ومنه يُقال : نفَسَت المرأة : إذا حاضت، ونفست: إذا نفسها ولدُها، ومنه النفساء.

والروحُ أيضاً تطلق على معان :

---

[1] (?) أخرجه أحمد (4/287، 295-296)، وأبو داود (ح/4753)، والطيالسي (ح/753)، وهو حديث صحيح.

[2] (?) قاله ابنُ أبي العز الحنفي في (شرح العقيدة الطحاوية) (2/607).

- منها : القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسله لإ ؛ قال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [الشورى: 52].
- ومنهــا : جبريــل [illegible] ، قــال تعــالى: ﴿[illegible]﴾ [الشعراء: 193].
- ومنها : الوحي الذي يوحيـه إلى أنبيائـه ورسُـلِه لإ ، قـال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [غافر: 15]، سمي روحـاً لمـا يحصـل بـه من الحيـاة النافعـة؛ فـإن الحيـاةَ بدونـه لا تنفـع صـاحبَها البتة، وسميت الروحُ روحاً لأن بها حياة البدن.
- وتُطلق الـروح أيضـاً على الهـواء الخـارج من البـدن والهواءِ الداخلِ فيه.
- وتُطلق أيضـاً على مـا سـبق بيانُـه، وهـو مـا يحصـل بفراقه الموت.

وهي بهــذا الاعتبـــار الأخـــير تـــرادفُ النفسَ ويتحـــد مدلولُهما، ويفترقان في أن النفسَ تُطلق على البدن وعـلـ الدم، والروحُ لا تُطلق عليهما. والله تعالى أعلم.

ثالثاً : فتنة القبر وعذابه ونعيمه :

سبق أن الإيمانَ بـاليوم الآخـر يعـني الإيمـان بكـل مـا أخبرَ به النبيُّ [illegible] مما يكون بعد المـوت، ومن ذلـك الإيمـانُ بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمِه.

وذلك أن بين الموت الذي تنتهي به الحياة الأولى وبين البعث الذي تبتدئ به الحياة الثانية – وبعبـارة أخـرى : بين القيامة الصغرى والقيامة الكبرى – فـترة جـاءت تسـميتُها في القـرآن الكـريم بـالبرزخ، قـال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [المؤمنون: 99-100].

والـبرزخ لغـةً : الحـاجز بين الشـيئين، وفي هـذا الـبرزخ نموذجٌ من العـذاب أو النعيم الأخـروي؛ فهـو أول مـنزلٍ من منازل الآخرة، ففيه سؤال الملَكين ثم العذاب أو النعيم.

أولاً : سؤال الملَكين :

ويسمى بفتنة القبر، وهي الامتحـان والاختبـار للميت حين يسأله الملَكان.

وقد تواترت الأحاديثُ عن النبي في هـذه الفتنـةِ من حـديث الـبراء بن عـازب، وأنس بن مالـك، وأبي هريـرة، وغيرهم .

وهي عامـةٌ للمكلفين إلا النبـيين، فقـد اختُلِـف فيهم، وكـذلك اختُلـف في غـير المكلفين كالصـبيان والمجـانين، فقيل : لا يُفتنون، وقيل : يُفتنون، ولعل الراجح هـو أنهم لا يُفتنون؛ لأن المحنةَ إنما تكون للمكلفين.

واختلفــوا : هــل الســؤالُ في القــبر عــام في حــق المســـلمين والمنـــافقين والكفـــار أو يختص بالمســـلم والمنافق ؟

فقيـل : يختص ذلـك بالمسـلم والمنـافقِ دون الكـافر الجاحد المعطل.

وقيل : السؤال في القبرِ عام للكافر والمسـلم. وهـذا هو الذي يدل عليـه الكتـاب والسـنة، واسـتثناءُ الكـافرِ من هذا لا وجهَ له.

صفة سؤال الملَكين :

سبق في حديث البراء بن عازب – رضي الله عنهمـا - قولُه : «فتُعاد روحُه (يعني : الميت) في جسـده، ويأتيـه ملَكان... ».

وفي الصحيحين من حديث قتادة عن أنس أن النـبيَّ قــال : «إن الميت إذا وُضــع في قــبره، وتــولى عنــه أصحابُه؛ إنه ليَسمعُ خفقَ نِعالِهم : أتـاه ملَكـان، فيُقعِدانـه، فيقولان له : ما كنتَ تقول في هذا الرجل محمد ؟

فأما المؤمنُ فيقول: أشهدُ أنه عبدُ الله ورسولُه. قال: فيقول : انظـر إلى مقعـدك من النـار؛ قـد أبـدلكَ اللـه بـه مقعداً من الجنة. قال رسولُ الله : «فيراهما جميعاً ».

قال : فأمـا الكـافرُ والمنـافق : فيقـولان لـه : مـا كنتَ تقـول في هـذا الرجـل؟ فيقـول: لا أدري ! كنتُ أقـول مـا يقـول النـاس. فيقـولان لـه : لا دريت ولا تليت. ثم يُضـرب بمطارق من حديدٍ بين أذنيه، فيصيح صـيحةً، فيسـمعُها مَن عليها غير الثقلين»[1].

---

[1] (?) أخرجه البخاري (ح/1374)، وأخرجه مسلم (ح/2870) مختصراً.

وفي حديث آخر : «أتاه ملَكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما : المنكر، والآخرُ : النكير»[2].

فهذه الأحاديث وما جاء بمعناها تدل على مسائل منها :

1- أن السؤال يحصل حين يوضعُ الميتُ في قبره، وفيه ردٌّ على مَن زعم من أهل البدع من المعتزلة أن السؤال يقع بين النفختَين.
2- تسميةُ الملَكين منكر ونكير، وفيه ردٌّ على مَن زعم من المعتزلة أنه لا يجوز تسميتُهما بذلك.
3- أن روحَ الميت تُرَدُّ إليه في قبره حين السؤال، وأنه يُجلس، ويُستنطَق، وفيه ردٌّ على مَن نفى ذلك إلا إن كان يريد نفيَ الحياة المعهودة في الدنيا؛ فهذا صحيح؛ فإن عَود الروح إلى بدن الميت ليس مثل عَودها إليه في هذه الحياة الدنيا، وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة، وإن كانت أكمل منها، بل كلُّ موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكمٌ يخصه، ولهذا أخبرَ النبيُّ أن الميتَ يُوسَّعُ له في قبره ويُسأل، ونحو ذلك، وإن كان الترابُ قد لا يتغير؛ فالأرواحُ تُعاد إلى بدن الميتِ وتفارقُه.

وللروح بالبدن خمسةُ أنواع من التعلق متغايرة الأحكام إليك بيانَها :

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

الثالث : تعلقها به حالَ النوم؛ فلها به تعلقٌ من وجه، ومفارقة من وجه.

الرابع : تعلقها به في البرزخ؛ فإنها وإن فارقته وتجردت عنه : فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى إليه التفاتٌ البتة؛ فقد دلَّت الأحاديثُ على ردِّها إليه عند سؤال الملَكَين وعند سلامِ المسلِّم، وهذا الردُّ إعادةٌ خاصة لا توجِبُ حياةَ البدن قبل يوم القيامة.

---

[2] (?) أخرجه الترمذي (ح/1083)، وابن حبان في صحيحه (ح/3117)، وهو حديث حسن.

الخامس : تعلُّقُها به يوم يُبعث الأجساد، وهو أكملُ تعلقاتها بالبدن، ولا نسبةَ لما قبله من أنواع التعلق إليه؛ إذ هو تعلقٌ لا يَقبلُ البدنُ معه موتاً ولا نوماً ولا فساداً.

ثانياً : عذاب القبر ونعيمُه :

مذهبُ أهل السنة والجماعة أن الميتَ إذا ماتَ يكون في نعيمٍ أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروحَ تبقى بعد مفارقة البدن مُنَعَّمةً أو معَذَّبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيمُ أو العذاب.

فأهلُ السنة والجماعة يتفقون على أن النفسَ تنعم وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلةً بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيمُ والعذابُ عليهما في هذه الحال مجتمعَين؛ كما يكون ذلك على الروح منفردةً عن البدن.

أدلة عذاب القبر ونعيمِه من القرآن الكريم والسنة النبوية :

أولاً : من القرآن الكريم :

1- قال الله تعالى : [illegible] [الأنعام: 93]، وهذا خطابٌ لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة – وهم الصادقون – أنهم حينئذ يُجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا : لَما صَحَّ أن يُقال لهم : [illegible]، فدلَّ على أن المرادَ به عذاب القبر.

2- وقال تعالى: [illegible] [الطور: 45-47]، وهذا يحتمل عذابَهم بالقتل وغيرِه في الدنيا، وأن يُراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يُعذَّب في الدنيا. وقد يُقال – وهو أظهر - : إن مَن مات منهم : عُذِّب في البرزخ، ومَن بقي منهم : عُذب في الدنيا بالقتل وغيره؛ فهو وعيدٌ بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ.

3- وقال تعالى: [illegible]

﴿[illegible]﴾ [غافر: 45-46]، فذكرَ عذابَ الدارين ذكراً صريحاً لا يَحتملُ غيرَه، فدل على ثبوت عذاب القبر.

4- وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الواقعة: 94]، فذكرَ هنا أحكامَ الأرواح عند الموت، وذكرَ في أول السورة أحكامَها يوم المعاد الأكبر، وقدَّمَ ذلك على هذا تقديمَ الغاية؛ للعناية بأحكامها؛ إذ هي أهم وأولى بالذكر، وجعلَهم عند الموت ثلاثة أقسام، كما جعلَهم في الآخرة ثلاثة أقسام.

5- ومن الإشارات القرآنية الواضحة، الدالة على فتنة القبرِ وعذابِه: قولُه تبارك وتعالى: ﴿[illegible]﴾ [إبراهيم: 27]، ففي الحديث الذي يرويه البراء بن عازب – رضي الله عنهما - عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا أُقعِدَ المؤمنُ في قبره: أُتِيَ ثم شَهِد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسولُ الله: فذلك قولُه: ﴿[illegible]﴾»، وفي رواية أخرى: وزاد: ﴿[illegible]﴾ نزلت في عذاب القبر»[1].

ثانياً: أدلة عذاب القبر ونعيمِه من السنة النبوية:

إذا تأملت أحاديثَ عذاب القبر ونعيمه: وجدتَها تفصيلاً وتفسيراً لما دلَّ عليه القرآن الكريم.

وأحاديث عذاب القبر كثيرةٌ متواترةٌ عن النبي ﷺ ومنها:

1- ما في الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أن النبيَّ ﷺ مَرَّ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يُعذبان في كبير: أما أحدُهما: فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة ﷺ، ثم دعا

[1] (?) رواه البخاري (ح/1369).

بجريدة، فشقَّها نصفين، فقال: «لعله يُخفف عنهما ما لم ييبسا»[1].

2- عن زيد بن ثابت قال: بينما رسولُ الله في حائطٍ لبني النجار على بغلةٍ له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، فإذا أقبُرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعة، فقال: «مَن يعرف أصحابَ هذه القبور؟»، فقال رجل: أنا. قال: «متى مات هؤلاء؟» قال: ما توا في الإشراك. فقال: «إن هذه الأمةَ تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تَدَافَنُوا: لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر الذي أسمعُ منه...»[2] الحديث.

3- وعن أبي هريرة أن النبيَّ قال : «إذا فرغ أحدُكم من التشهد الأخير : فليتعوذ بالله من أربع : من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»[3].

4- وعن أبي أيوب قال : خرج النبيُّ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتاً فقال : «يهود تُعذَّبُ في قبورها» [4].

5- وعن عائشة – رضي الله عنها - قالت : دخلت عليَّ عجوزان من عجوز يهود المدينة، فقالتا لي: إن أهلَ القبور يُعذبون في قبورهم، فكذّبتُهما، ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا، ودخلَ عليَّ النبيُّ فقلت له: يا رسول الله، إن عجوزين – وذكرتُ له – فقال : «صدقتَا؛ إنهم يُعذبون عذاباً تسمعُه البهائمُ كلُّها»، فما رأيتُه بعدُ في صلاةٍ إلا يتعوذ من عذاب القبر[5].

6- ولعظم هذا الأمر وخطورتِه : كان الرسولُ يعلمُه لأصحابه، بل وخطبَ فيهم مرةً به، ففي صحيح البخاري

---

[1] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/218)، ومسلم (ح/292).

[2] (?) أخرجه مسلم (ح/2867).

[3] (?) أخرجه مسلم (ح/588)، وأخرجه البخاريُّ (ح/1377) بنحوه.

[4] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/1375)، ومسلم(ح/2869).

[5] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6366) ومواضع أخرى، ومسلم (ح/586).

عن أسماء بنت أبي بكر – رضي الله عنها - قالت: «قام رسولُ الله ﷺ خطيباً فذكر فتنةَ القبر التي يفتَتِنُ فيها المرء، فلما ذكرَ ذلك : ضجّ المسلمون ضجة»[1].

وزاد النسائي من الوجه الذي أخرجه منه البخاري: «حالت بيني وبين أن أفهم كلامَ رسول الله ﷺ ، فلما سكنت ضجتُهم قلتُ لرجلٍ قريبٍ مني : أي باركَ الله لك، ماذا قال رسولُ الله ﷺ في آخر كلامه؟ قال: قال : «قد أوحي إليّ أنكم تُفتنون في القبور قريباً من فتنة المسيح الدجال»[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وهي متواترة كما أسلفت.

تنبيه :

عذابُ القبر أو نعيمُه وسؤال الملكَين ينالان كلَّ مَن مات ولو لم يُدفن؛ فهو اسمٌ لعذاب البرزخ ونعيمِه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [المؤمنون: 100]، وسمي عذاب القبر باعتبار الغالب؛ فالمصلوب والمحرق والمغرق وأكيل السباع والطيور: له من عذاب القبر ونعيمِه قسطُه الذي تقتضيه أعمالُه، وإن تنوعت أسبابُ النعيم والعذاب وكيفياتُهما.

وقد ظن بعضُ الأوائل أنه إذا حرق جسدَه بالنار، وصار رماداً، وذرى بعضَه في البحر، وبعضَه في البر في يومٍ شديدِ الريح : أنه ينجو من ذلك، فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك، فأمرَ الله البحرَ فجمع ما فيه، وأمرَ البَرَّ فجمع ما فيه، ثم قال : قم، فإذا هو قائم بين يدي الله، فسأله : ما حملك على ما فعلت؟ فقال : خشيتُك يا رب! وأنتَ أعلم، فغفرَ الله له[3]. فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التي صارت في هذه الحال.

حتى لو عُلِّقَ الميتُ على رؤوس الأشجار في مهابِّ الريح : لأصاب جسدَه من عذاب البرزخ حظّه ونصيبُه، ولو

---

1 (?) أخرجه البخاري (ح/1373).

2 (?) سنن النسائي (ح/2062)، في كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر.

3 (?) أخرجه البخاري (ح/7506)، ومسلم (ح/2756).

دُفن الرجلُ الصالحُ في أتونٍ من النار : لأصابَ جسـدَه من نعيم البرزخ ورَوْحِه نصيبُه وحظُّه، فيجعلُ اللـه تعـالى النـارَ على هذا برداً وسلاماً، والهواءَ على ذلك ناراً أو سموماً.

فعناصـرُ العالَـم ومـوادُّه منقـادةٌ لربهـا وفاطرهـا وخالقِهـا، يصـرفها كيـف يشـاء، ولا يستعصـي منهـا شـيء أراده، بل هي طوع أمرِه ومشيئتِه، منقـادة لقدرتـه، فغـيرُ ممتنـع أن تُـرد الـروح إلى المصـلوب والغريـق والمحـرق ونحن لا نشعر بها؛ لأن ذلك الـرد نـوع آخـر غـير المعهـود؛ فهذا المغمى عليه والمسـكور والمبهـوت أحيـاءُ وأرواحُهم معهم ولا تشـعر بحيـاتهم، ومَن تفـرقت أجـزاؤه لا يمتنـعُ على مَن هو على كل شيءٍ قدير أن يجعل للـروح اتصـالاً بتلك الأجزاء على تباعد مـا بينهـا وقربـه، ويكـون في تلـك الأجزاء شعورٌ بنوعٍ من الألم واللذة.

وإذا كان اللـه تعـالى قـد جعـلَ في الجمـادات شـعوراً وإدراكـاً تسـبِّحُ ربَّهـا بـه، وتسـقط الحجـارةُ من خشـيتِه، وتسـجد لـه الجبـالُ والشـجر، وتسـبحه الحصـى والميـاه والنبـات، كمـا قـال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [الإسـراء: 44]؛ فـإذا كـانت هـذه الأجسام فيها الإحساسُ والشعورُ : فالأجسـامُ الـتي كـانت فيها الأرواح والحياة أولى بذلك.

وقد أشهد الله سبحانه عبادَه في هذه الدار إعادةَ حياة كاملـةٍ إلى بـدنٍ قـد فارقتـه الـروحُ، فتكلم ومشـى وأكـل وشرب وتزوج وولد له، قـال سـبحانه : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 243].

وقال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 259].

وكقبيل بني إسرائيل الـذين قـالوا لموسـى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 55]، فأماتهم اللـه تعـالى ثم بعثهم من بعد موتهم، وكأصحاب الكهف، وكقصة إبراهيم [illegible] في الطيور الأربعة.

فإذا أعادَ الحياةَ التامةَ إلى هذه الأجساد بعـدما بـردت

بالموت : فكيف يمتنع على قدرته الباهرة أن يُعيد إليها بعد موتها حياةً ما غيرَ مستقرة، يقضي بها أمرَه فيها، ويستنطقُها بها، ويعذبها أو ينعمها بأعمالها؟! أليس إنكارُ ذلك مجرد تكذيبٍ وعناد وجحود؟!

المنكرون لعذاب القبر ونعيمِه، وشبهتُهم والرد عليهم :

أنكرت الملاحدةُ والزنادقةُ عذابَ القبر ونعيمَه، وقالوا : إنا نكشف القبرَ فلا نجد فيه ملائكةً يضربون الموتى، ولا حيّات، ولا ثعابين، ولا نيران تأجج ! وكيف يُفسَح له مَدَّ بصره أو يضيق عليه ونحن نجده بحاله، ونجد مساحتَه على حد ما حفرناه له، ولم يزد ولم ينقص ؟ وكيف يصير القبرُ روضةً من رياض الجنة أو حفرةً من حفر النار؟

والجواب على ذلك من وجوه :

أولاً : أن حال البرزخ من الغيوب التي أخبرت بها الأنبياء لإ، ولا يكون خبرُهم محالاً في العقول أصلاً، فلا بد من تصديق خبرهم.

ثانياً : أن النارَ والخضرةَ في القبر ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا، فيُشاهِدَ ذلك مَن شاهَدَ نارَ الدنيا وخضرَها، وإنما هي من نار الآخرة وخضرها، وهي أشد من نار الدنيا، فلا يحسُّ بها أهلُ الدنيا؛ فإن الله سبحانه وتعالى يُحمي عليه ذلك التراب والحجارةَ التي عليه وتحته، حتى تكون أعظم حرّاً من جمر الدنيا، ولو مسَّها أهلُ الدنيا : لم يحسّوا بذلك، وقدرةُ الرب أوسع من ذلك وأعجب.

وإذا شاء الله تعالى أن يُطلِعَ بعضَ العباد على عذاب القبر : أطلَعَه، وغَيَّبَه عن غيره؛ إذ لو اطلع العبادُ كلهم : لزالت حكمةُ التكليف والإيمان بالغيب، ولَمَا تدافنَ الناس، كما في الصحيحين في الحديث الذي مَرَّ من قوله : لولا أن لا تدافَنوا : لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر ما أسمع ، ولَمّا كانت هذه الحكمةُ منتفيةً في حق البهائم: سمعت ذلك وأدركته، كما حادت برسول الله بغلتُه وكادت تلقيه لَمّا مرَّ بمن يُعذّب في قبره.

فرؤيةُ هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن؛ تقع أحياناً لمن شاء الله تعالى أن يُريه ذلك.

وكيف يستنكرُ مَن يَعرف الله سبحانه ويُقِرُّ بقدرتـه أن يحدث حوادث يصرف عنها أبصارَ بعض خلقه؛ حكمـةً منـه ورحمـةً بهم؛ لأنهم لا يطيقـون رؤيتَهـا وسـماعَها، والعبـدُ أضعفُ بصراً وسمعاً من أن يَثبُتَ لمشاهدة عذاب القبر.

وسِـرُّ المسـألة : أن هـذه السـعةَ والضـيقَ والإضـاءةَ والخضرةَ والنارَ ليس من جنس المعهـود في هـذا العـالَم، والله سبحانه إنما أشهَدَ بـني آدمَ في هـذه الـدار مـا كـان فيها ومنها، فأما ما كان من أمر الآخرة : فقد أسـبلَ عليـه الغطاء؛ ليكون الإقرارُ به والإيمانُ به سبباً لسعادتهم، فإذا كشف عنهم الغطاء : صار عياناً مشاهَداً، فلـو كـان الميتُ بين الناس موضوعاً : لم يمتنع أن يأتيـه الملَكـان ويسـألاه من غير أن يشعر الحاضرون بذلك، ويجيبَهمـا من غـير أن يسمعوا كلامَه، ويضـربانه من غـير أن يشـاهد الحاضـرون ضربَه.

وهـذا الواحـدُ منـا ينـامُ إلى جنب صـاحبه المسـتيقظ، فيُعذَّبُ في النوم، ويُضرب ويتألم، وليس عنـد المسـتيقظِ خبرٌ من ذلك البتة.

المبحث الثاني : القيامة الكبرى :

وسأتحدث فيه عن: البعث والنشور، وما سيكون في الموقف من: الحساب، وإعطاء الصحائف، ووزن الأعمال، والصراط والمرور عليه، والحوض، والشفاعة، ثم الجنة والنار.

أولاً : البعث والنشور :

المراد بالبعث: المعاد الجسماني، وإحياء العباد في يوم المعاد، والنشور: مرادفٌ للبعث في المعنى، يُقال: نشر الميت نشوراً: إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله تعالى: أحياه.

فإذا شاء الحقُّ تبارك وتعالى إعادةَ العباد وإحياءَهم: أمرَ إسرافيلَ فنفخ في الصور، فتعود الأرواحُ إلى الأجساد، ويقومُ الناسُ لرب العالمين، ﴿[illegible]﴾ [الزمر: 68]، وحدثنا الحقُّ تبارك وتعالى عن مشهد البعث العجيب فقال: ﴿[illegible]﴾ [يس: 51-53].

وقد جاء في الأحاديث أنه يسبق النفخةَ الثانيةَ في الصورِ نزولُ ماءٍ من السماء، فتنبت منه أجسادُ العباد، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما - قال : قال رسولُ الله: «ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتاً[1].

قال : وأول مَن يسمعه رجلٌ يلوطُ حوضَ إبله، قال : فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله – أو قال : ينزل الله – مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ فتنبتُ منه أجسادُ الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون»[2].

وإنباتُ الأجساد من التراب بعد إنزال الله تعالى ذلك الماء الذي يُنبتُها : يماثلُ إنباتَ النبات من الأرضِ إذا نزل عليها الماء من السماء في الدنيا، ولذا فإن الله تَعالى قد أكثرَ في كتابه من ضرب المثل للبعث والنشور بإحياء

---

1 (?) اللِّيت : صفحةُ العنق، وهما لِيْتان، وأصغى : أمالَ.

2 (?) أخرجه مسلم (4/2259-ح/2940).

الأرض بالنبات بعـد نـزول الغيث، قـال تعـالى: [illegible]

[الأعـراف: 56]، وقــال في موضــع آخــر: [illegible] [فاطر: 9].

ولاحِـــظ في كلا الموضـــعين قولـــه : [illegible]؛ فإنهمــا يــدلان على المماثلــة والمشابهةِ بين إعادة الأجسامِ بإنباتِها من الترابِ بعد إنزال الماء قبيل النفخ في الصور، وبين إنبات النبـات بعـد نـزول الماء من السماء.

ومن المعلوم أن النباتَ يتكوّنُ من بذورٍ صغيرةٍ تكـون في الأرض ساكنةً هامدة، فـإذا نـزل عليهـا المـاءُ تحـركت الحيــاةُ فيهــا، وضــربت بجــذورها في الأرض، وبســقت بسوقها إلى السماء، فإذا هي نبتةٌ مكتملةٌ خضراء.

والإنسـانُ يتكـون في اليـوم الآخـر من عظمٍ صـغيرٍ هـو عَجَبُ الذَّنَب[1]، عندما يصيبه الماءُ ينمو نمـوَّ البقـل، فعن أبي هريــرة [illegible] قــال : قــال رســولُ اللــه [illegible] : «مــا بين النفخــتين أربعون ... ثم يُنزِلُ الله من السماء ماءً، فيَنْــبُتُون كمـا ينبُت البقلُ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلَى، إلا عظماً واحـداً وهـو عَجْبُ الذنب، ومنه يُركَّبُ الخلقُ يوم القيامة»[2].

أدلة البعث والنشور :

وقوعُ البعث من القبـور قـد دلَّ عليـه الكتـابُ والسـنة والعقل والفطرةُ السليمة؛ أخبرَ الله تعـالى عنـه في كتابـه العزيـز، وأقـام عليـه الـدليل، وردَّ على منكريـه في آيـاتٍ كثيرةٍ من القرآن العظيم، وقد أخـبرت عنـه جميـعُ الأنبيـاء أمَمَها، وطالبت المنكرين بالإيمان به، ولما كان نبيُّنا محمــد [illegible] خاتَمُ الأنبياء، وكان قُربُ بعثتِه من الساعة كقُرب أُصبُعَي السبّابة والوسطى من بعضِها البعض : بيّن تفاصيل الآخـرة تفصيلاً لا يوجد في شيءٍ من كتب الأنبياء لا قبله.

---

1 (?) وهو العظمُ في أسفل الصُّلب عند العَجُز.

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/4935)، ومسلم (ح/2955)، واللفظ للبخاري.

والقرآن الكريمُ كله من فاتحته إلى خاتمته مملـوءٌ بـذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصـيل مـا فيـه، وتقريـر ذلـك بالأخبـار الصـادقة والأمثـال المضـروبةِ للاعتبـار والإرشـاد، وكمـا ذكـر القـرآنُ الكـريمُ الأدلـة عليـه: ردًّا على منكريـه، وبين كـذبَهم وافتراءَهم.

ولما استبعد المشركون إعادةَ الناس في حيـاةٍ أخـرى بعد الموت، فأنكروا البعثَ والنشور : أمر الله تعالى نبيَّــه [illegible] أن يُقسـم بـه على وقوعـه، وأنـه كـائن لا محالـة، فقـال تعـالى: [illegible] [سبأ: 3]، وقال تعالى: [illegible] [يونس: 53]، وقال تعالى: [illegible] [التغابن: 7].

وأخبر عن اقتراب ذلـك فقـال: [illegible] [القمـر: 1]، [illegible] [الأنبياء: 1].

وذم المكــذِّبين بــالبعث فقــال: [illegible] [يـونس: 45]، [illegible] [الشورى: 18]، [illegible] [الإسراء: 97-99].

والأدلـة على البعث والنشـور كثـيرةٌ جـداً في الكتـاب والسنة، وقد سبقت بعضُها في بداية الفصل الأول.

وليوم القيامـة أهـوالٌ عظيمـة وشـدائد جسـيمة تـذيب الأكباد، وتُذهِل المراضع وتشيب الأولاد، وقد وصف سبحانه أهوالَ ذلك اليوم في آياتٍ كثيرة، من ذلك قولُه : [illegible] [الحج: 1-2].

وبعد بعث الخلائق أحيـاء : يُجمعـون في سـاحة واحـدة تُدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء فيما بينهم.

ويواجه الناسُ في هذا الموقف أموراً عظيمةً يأتي ذكـرُ بعضها في الفقرات الآتية.

ثانياً : الحساب : وهو تعريفُ اللـه سـبحانه الخلائـقَ مقاديرَ الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم بما قد نسوه.

قـــال تعـــالى: ﴿ ... ﴾ [المجادلة: 6]، وقال تعالى: ﴿ ... ﴾ [الكهـــف: 49]، وقـــال ســـبحانه: ﴿ ... ﴾ [الزلزلة: 7-8].

ومن الحسـاب : إجـراء القصـاص بين العبـاد، فيُقتصُّ للمظلـوم من الظـالم، كمـا في حـديث أبي هريـرة : أن رسولَ الله قال : «لتؤدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها يوم القيامةِ حتى يُقاد للشاة الجَلحاء[1] من الشاة القرناء»[2].

والحساب متفاوت؛ فمنه العسير، ومنه اليسـير، ومنـه التكريم، ومنـه التـوبيخ والتبكيت، ومنـه الفضـل والصـفح، ومتولي ذلك أكرم الأكرمين.

فـ«يُحاسِب الله تعالى الخلائق، ويخلُو بعبـده المـؤمن، فيُقَرِّرُه بذنوبه؛ كما وُصِفَ ذلك في الكتـاب والسـنة، وأمـا الكفار : فلا يُحاسَبون محاسبةَ مَن توزَنُ حسناتُه وسـيئاتُه؛ فـــإنهم لا حســـنات لهم، ولكن تُعَـــدُّ أعمـــالُهم فتُحصـــى، فيوقَفون عليها ويُقَرَّرون بها، ويُجزَون بها»[3].

وأول ما يُحاسَب عنه العبدُ صلاتُه، وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء، كما صحَّ بذلك الحديث.

ثالثاً : إعطاء الصحائف :

الصحائف : هي الكتب التي كتبتهـا الملائكـة، وأحصـوا فيها مـا فعلَـه كـلُّ إنسـان في الحيـاة الـدنيا من الأعمـال القوليةِ والفعلية.

قـــال تعـــالى: ﴿ ...

---

[1] (?) وهي التي لا قرن لها.

[2] (?) رواه مسلم (ح/6479).

[3] (?) قاله شيخ الإسلام في (العقيدة الواسطية) (ص/139، 143).

﴿[illegible]﴾ [الإسراء: 13-14]، قال العلماء: طائره : عمله.

ومنهم مَن يُعطى كتابه بيمينه، ومنهم مَن يُعطى كتابه بشماله، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ إلى قوله : ﴿[illegible]﴾، ثم قال سبحانه : ﴿[illegible]﴾ إلى قوله : ﴿[illegible]﴾ [الحاقة: 19-31].

رابعاً : وزن الأعمال :

مما يكون في هذا اليوم : وزن الأعمال، قال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأعراف: 8-9]، وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾ [الأنبياء: 47]، فالأعمالُ توزن بميزانٍ حقيقي له لسانٌ وكفتان.

خامساً : الحوض :

وهو مما يُكرم الله تعالى به عبدَه ورسولَه محمداً [ﷺ] في ذلك الموقف العظيم، وقد اختلف أهلُ العلم في موضعه : هل هو قبل الصراط أو بعده؟ والراجحُ أنه يكون قبل المرور على الصراط في عرصات القيامة، ومما يدل على ذلك أن بعضَ وارديه يؤخذ إلى النار، ففي الصحيحين عن أسماء بنت أبي بكر [رضي الله عنها] قالت : قال النبيُّ [ﷺ] : «إني على الحوض حتى أنظرَ مَن يَرِدُ عليَّ منكم، وسيؤخَذُ ناسٌ من دوني فأقول : يا ربِّ، مني ومن أمتي، فيُقال : هل شعرتَ ما عملوا بعدك؟ والله ما بَرِحوا يرجعون على أعقابهم»[1]، فلو كان بعد الصراط لَما استطاعوا الوصولَ إليه.

والأحاديث الواردة في الحوض متواترة، رواها أكثر من خمسين صحابيا – رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم - ومن تلك الأحاديث :

1- ما أخرجه الشيخان وغيرُهما من حديث عبد الله

---

[1] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6593)، ومسلم (ح/2293).

بن عمـرو بن العـاص – رضـي اللـه عنهمـا - قـال : قـال رسـولُ اللـه ﷺ : «حوضـي مسـيرة شـهر، مـاؤه أبيض من اللبن، وريحُه أطيبُ من المسك، وكِيزانُه كنجـوم السـماء، مَن شربَ منه لا يظمأُ أبداً»[1].

2- وعن أنس بن مالـك ؓ قـال : أغفى رسـولُ اللـه ﷺ إغفاءةً، ثم رفع رأسَـه مبتسـماً فقـال : «إنـه أنـزلت عليَّ آنفاً سـورة، فقـرأ : ﴿ ﴾ ثم قال «أتدرون ما الكوثر ؟» فقلنا : الله ورسولُه أعلم قال : «فإنه نهرٌ وعدَنيه ربي ؟ ، عليه خيرٌ كثـير، هـو حـوضٌ تَـرِدُ عليـه أمـتي يـوم القيامـة، آنيتُـه عـددُ النجـوم، فيُختَلَجُ العبـدُ منهم فـأقول : رب، إنه من أمتي، فيقول : ما تدري ما أحدثَت بعدك»[2].

سادساً : الصراط والمرور عليه :

ومما يكـون يـوم القيامـة : المـرور على الصـراط، وهـو جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم، يَـرِدُه الأولـون والآخـرون، يمـر الناسُ عليه على قدر أعمـالهم، وهـو أدق من الشَّـعر، وأحَـدُّ من السيف، وأشد حـرارةً من الجمـر، عليـه كلاليب تخطـف مَن أُمِـرَت بخطفـه، يمـر النـاسُ عليـه على قـدر أعمـالهم، فمنهم مَن يمـر كـالبرق، ومنهم مَن يمـر كـالريح، ومنهم مَن يمر كالفرس الجواد، ومنهم مَن يمر كهرولـة الراجـل، ومنهم مَن يمشي مشياً، ومنهم مَن يزحف زحفاً، ومنهم مَن يُخطف فيُلقى في جهنم، نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ويكون المرورُ على الصراط بعد مفارقة موقف الحساب ووزنِ الأعمال، وبيانِ السعيد من الشقي في الجملة.

سابعاً : الشفاعة :

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب، وعرفاً : سؤال الخير للغير، وقيل : هو من الشـفع الـذي هـو ضـد الـوتر، فكـأن الشافعَ ضَمَّ سؤالَه إلى سؤال المشفوع له.

والشفاعة حق إذا تحققت شـروطُها، وهي : أن تكـون بإذن الله تعالى ورضاه عن المشفوع له، قال تعالى : ﴿ ﴾

---

[1] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6579)، ومسلم (ح/2292).

[2] (?) رواه مسلم في صحيحه (ح/400)

[illegible] [النجم: 26].

ففي هـذه الآيـة الكريمـة : أن الشـفاعة لا تنفـع إلا بشرطين :

الأول : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع؛ لأن الشـفاعةَ ملكه سبحانه؛ [illegible] [الزمر: 44].

الثاني : رضاه عنِ المشفوع فيـه بـأن يكـون من أهـل التوحيد؛ لأن المشركَ لا تنفعُه الشفاعة؛ كما قال تعـالى : [illegible] [المدثر: 48].

وهـذا يـبين بطلانَ صـنيع الـذين يطلبـون الشـفاعةَ من الأموات، ويتقربون إليهم بأنواع القربات، قال تعالى: [illegible] [يـونس: 18]، وقـال تعـالى: [illegible] [الزمر: 43].

وقـد أُعطي نبيُّنـا ﷺ الشـفاعة، فيشـفع لِـمَن أذن اللـه تعالى له فيه.

وله ﷺ أنواعٌ من الشفاعات منها :

شـفاعتُه ﷺ لأهـل الموقـف حـتى يُقضـى بينهم بعـد أن تتراجع الأنبياء – آدم، ونوح، وإبـراهيم، وموسـى، وعيسـى بن مريم – عليهم السلام - الشفاعةَ حتى تنتهي إليه، وهـو المقامُ المحمودُ الذي ذكرَه الله تعالى في القرآن.

ومنها : شفاعتُه ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان له ﷺ .

ومنها : الشفاعة في تخفيـف العـذابِ عمَّن يسـتحقُّه، كشفاعتِه ﷺ في عمِّه أبي طالب أن يخفف عنه عذابَه[1].

ومنها : شفاعتُه ﷺ فيمن استحقَّ النار.

وهذه الشفاعةُ لـه ولسـائر النبـيين – عليهم السـلام - والصِـديقين وغـيرِهم، فيشـفع فيمَن اسـتحقَّ النـار أن لا يدخلَها، ويشفع فيمَن دخلَها أن يخرج منها.

وشـفاعتُه ﷺ لأهـل الـذنوبِ من أمتـه متفـق عليهـا بين

---

1 (?) كما في حديث البخاري (ح/3883، 6208)، ومسلم (ح/209) عن العباس بن عبد المطلب ؓ .

الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين، وأنكرها كثيرٌ من أهل البدع من الخوارج والمعتزلةِ وغيرهم، وقال هؤلاء : مَن يدخل النار لا يخرج منها، لا بشفاعة ولا بغيرها، وعندهم ما ثَمَّ إلا مَن يدخل الجنةَ فلا يدخل النار، ومَن يدخل النارَ فلا يدخل الجنة، ولا يجتمع عندهم في الشخص الواحد ثواب وعقاب.

واحتج هؤلاء المنكرون للشفاعة بقوله تعالى : [illegible] [البقرة: 48]، وبقوله : [illegible] [البقرة: 254]، وبقوله تعالى : [illegible] [غافر: 18]، وبقوله تعالى : [illegible] [المدثر: 48].

وجواب أهل السنة : أن هذا يُراد به شيئان :

أحدهما : أنها لا تنفع المشركين، كما قال تعالى : [illegible] [المدثر: 42-48]، فهؤلاء لا تنفعُهم شفاعةُ الشافعين لأنهم كانوا كفاراً.

والثاني : أنه يُراد بذلك الشفاعة التي يُثبتُها أهلُ الشرك ومَن شابهَهم من أهل الكتاب والمبتدعة، الذين يظنون أن للخلقِ عند الله تعالى من القدر أن يشفعوا عنده بغير إذنه، كما يشفع الناسُ في بعضهم عند بعض.

ثامناً : الجنة والنار :

بعد ما ينتهي الحساب في الموقف، ويتقرر مصيرُ كل واحد من الناس : ينتهي أمرُهم إما إلى الجنة إن كان من أهلها، وإما إلى النار إن كان من أهلها – أعاذنا الله منها – فالجنةُ والنار هما الداران العظيمتان اللتان لا تفنيان، فالجنةُ دار المتقين، والنارُ دار الكافرين.

قال تعالى: [illegible] [الانفطار: 13-14].

وهما مخلوقتان موجودتان الآن، قال تعالى في الجنة: [illegible] [آل عمران: 133]، وقال في النار: [illegible] [البقرة: 24]، وغير ذلك من النصوص التي تدل

على وجودهما الآن.

وهمـا باقيتـان لا تفنيـان، كمـا هـو مـذهبُ أهـل السـنة والجماعة.

الباب السادس
الإيمان بالقضاء والقدَر :

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول
تعريف القضاء والقدر

أولاً : معنى القضاء والقدَر لغةً :

1- معنى القضاءِ لغةً : القضاءُ في اللغةِ يأتي لمعانٍ منها : الفصل، والحكم، وقد تكرر ذكرُ القضاء في الأحاديث وأصلُه : القطع والفصل، يُقال : قضى يقضي قضاءً فهو قاضٍ : إذا حكم وفصل، وقضاءُ الشيء : إحكامُه وإمضاؤه والفراغُ منه، فيكون بمعنى الخلق.

وهو على وجوه مرجعُها إلى انقضاء الشيءِ وتمامِه، وكلُّ ما أُحكِمَ عملُه، أو أُتِمَّ، أو أُدِّي، أو أُوجِبَ، أو عُلِمَ، أو نُفِّذ، أو أُمضي : فقد قُضي، وقد جاءت هذه الوجوهُ كلُّها في الأحاديث.

2- معنى القدر لغةً :

القدَرُ مصدر[1]، تقول : قدَرتُ الشيءَ – بتخفيف الدال وفتحِها – أقدِرُه – بالفتح والكسر – قدْراً وقدَراً : إذا أحطتَ بمقداره.

والقدَرُ في اللغة : القضاءُ والحكم، ومبلغُ الشيء، والتقدير : التروية والتفكُّر في تسوية الأمر.

ثانياً : معنى القضاء والقدر اصطلاحاً :

هو ما سبق به العلمُ وجرى به القلمُ مما هو كائنٌ إلى الأبد، وأنه قدَّر في الأزل مقاديرَ الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون، وعَلِمَ سبحانه أنها ستقع في أوقاتٍ معلومةٍ عنده تعالى، وعلى صفاتٍ مخصوصةٍ، فهي تقع على حسب ما قدَّرَها.

أو يُقال في تعريفه شرعاً : هو تقديرُ الله تعالى الأشياءَ في القِدَم، وعلمُه سبحانه أنها تقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ عنده، وعلى صفاتٍ مخصوصة، وكتابتُه سبحانه لذلك، ومشيئتُه له، ووقوعُها على حسب ما قدَّرَها وخَلْقِه لها.

---

[1] (?) وقيل : القدَر – بالفتح اسمٌ، والقَدْرُ – بالسكون – مصدر. انظر : (لسان العرب) (5/74).

وللعلماء في التفرقةِ بين (القضاء) و(القدَر) أقوال منها[2] :

الأول : القضاءُ هو العلمُ السابق الذي حكمَ الله تعالى به في الأزل، والقدَرُ: وقوعُ الخلق على وزن المقضيِّ السابق.

الثاني : عكس القول السابق، فالقدَرُ هو الحكمُ السابق، والقضاءُ هو الخلق.

وبناءً على القول الثاني يكون القضاءُ من الله تعالى أخص من القدَر؛ لأنه الفصلُ بين التقديرَين، فالقدَرُ هو التقدير، والقضاءُ هو الفصلُ والقطع.

وهذا القولُ أقرب إلى الصحة – على القولِ بـالفرق – وتؤيدُ بعضُ النصوص من كتاب الله تعالى، قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [مريم: 21]، وقال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [مـريم : 71]، وقـال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 117].

وعلى هذا فالقضـاءُ والقـدَرُ أمـران متلازمـان، لا ينفـكُّ أحدُهما عن الآخر؛ لأن أحدَهما بمنزلة الأساس، وهو القدَر، والآخرُ بمنزلة البناء، وهو القضاء.

على أنه عند إطلاق أحدِهما يشملُ الآخر، وهـذا يـوحي بأنه لا فرقَ بينهما في الاصطلاح، وهـذا هـو الـراجح، واللـه تعالى أعلم.

---

2 (?) يُلاحَظ أنّ لفظ (القدَر) أكثر وروداً في الكتاب والسنةِ من لفظ (القضاء) وذلك عند الدلالةِ على وجوب الإيمان بهذا الركن من أركان الإيمان، مثل قولِه تعالى : ﴿**إنَّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَر**﴾، وفي حديث جبريل – عليه السلام - : «وتؤمن بالقدر خيره وشره».

الفصل الثاني

أركان الإيمان بالقضاء والقدَر

الإيمانُ بالقضاء والقـدَرِ يقـوم على أربعـة أركـان، مَن أقَرَّ بها جميعاً فإن إيمانَه يكون مكتملاً، ومن انتقصَ واحداً منها أو أكـثر : فقـد اختـلَّ إيمانُـه بالقضـاء والقـدَر، وهـذه الأركانُ الأربعةُ هي :

الأول : الإيمان بعلم الله تعالى الشامل المحيط.

الثـاني : الإيمـان بـأن اللـه تعـالى كتبَ في اللـوح المحفوظ كلَّ شيء.

الركن الثالث : الإيمـانُ بمشـيئة اللـه تعـالى الشـاملة وقدرتِه النافذة.

الركن الرابع : الإيمانُ بأن الله خلقَ كلَّ شيء.

والأدلةُ من الكتاب والسنة على هـذه الأصـول الأربعـةِ كثيرةٌ، ومنها :

الـركن الأول : الإيمـان بعلم اللـه تعـالى الشامل المحيط :

كثر في كتاب الله تعـالى وسـنةِ رسـولِه [illegible] تقريـرُ هـذا الأصل العظيم، فعلمُ الله تعالى محيـطٌ بكـل شـيء، يَعلم ما كـان ومـا سـيكون، ومـا لم يكن لـو كـان كيـف يكـون، ويَعلم الموجودَ والمعدوم، والممكنَ والمستحيل.

وهـو عالِـمٌ بالعبـاد وآجـالِهم وأرزاقِهم وأحـوالِهم وحركاتِهم وسكناتِهم وشقاوتِهم وسعادتِهم، ومَن منهم من أهل الجنة، ومَن منهم من أهل النار، عالِـمٌ بكل ذلك قبـل أن يخلقهم ويخلقَ السماوات والأرض.

قـال تعـالى : [illegible] [الحشـر: 22]، وقـال تعـالى : [illegible] [الطلاق: 12]، وقال تعالى : [illegible] [سبأ: 3]، وقال تعـالى : [illegible] [النحـل: 125]، وقـال تعالى : [illegible] [النجم: 32].

وقـال تعـالى مقَـرِّراً علمَـه بمـا لم يكن لـو كـان كيـف سـيكون : [illegible] [الأنعـام: 28]، فالله تعالى يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يـوم القيامة الرجعةَ إلى الدنيا : أنهم لو عادوا إليها لرجعـوا إلى تكذيبِهم وضلالِهم.

وقال تعالى في الكفار الذين لا يطيقون سماعَ الهدى : [illegible] [الأنفال: 23].

ومن علمه تعالى بما هو كائنٌ : علمُه بما كان الأطفـالُ – الذين توفوا صغاراً – عاملين لو أنهم كبروا قبل ممـاتهم، وفي الصحيحين عن ابن عباس – رضي الله عنهما - قال : سئل النبيُّ [illegible] عن أولاد المشركين، فقال : «اللـه أعلمُ بمـا كانوا عاملين»[1].

الركن الثاني : الإيمان بأن الله تعالى كتبَ في اللوح المحفوظِ كلَّ شيء :

دلّت النصوصُ من الكتابِ والسنةِ على أن الله تعالى كتبَ في اللوح المحفوظِ كلَّ شيء، ففي الحديثِ عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما - قال: سمعتُ رسولَ الله [illegible] يقول : «كتبَ الله مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلق السماوات والأرضَ بخمسين ألف سنة، وعرشُه على الماء»[2].

ورواه الترمذيُّ بلفظ : «قدَّرَ اللهُ المقاديرَ قبل أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنة»[3].

وعن عبادة بن الصامت [illegible] قال: قال رسولُ الله [illegible] : «إن أولَ ما خلق اللهُ القلمَ فقال : اكتب، قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدَرَ ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد»[4].

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/1383)، ومسلم (ح/2660).

2 (?) رواه مسلم (ح/2653)، والترمذي (ح/2156).

3 (?) سنن الترمذي (ح/2055)، قال الترمذي : [illegible] حديث حسن صحيح [illegible].

4 (?) رواه الترمذي (ح/2055)، وقال : [illegible] وهذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجه [illegible]، والحديثُ صحيح من مجموع طرقه، والغرابةُ في الوجه الذي أوردَه الترمذيُّ في باب القدَر من سننه.

واللـوحُ المحفـوظُ الـذي كتبَ اللـه تعـالى فيـه مقـاديرَ الخلائـق : سـمّاه اللـه سـبحانه بالكتـاب، وبالكتـاب المـبين، وبالإمـام المـبين، وبـأم الكتـاب، وبالكتـاب المسـطور، قـال تعـالى : [الـبروج: 21-22]، وقـــال تعـــالى: [الحج: 70]، وقـال تعـالى: [يس: 12]، وقال تعالى: [الطـــور: 1-3]، وقـــال تعالى: [الزخـرف: 4].

الركن الثالث : الإيمانُ بمشيئة الله تعالى الشاملة وقدرتِه النافذة :

هذا الأصلُ يقضي بالإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرتِه الشاملة، فما شاء الله تعالى كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا حركةَ ولا سكونَ في السماوات ولا في الأرض إلا بمشيئتِه، فلا يكون في ملكه إلا ما يريد.

والنصوصُ المصرِّحَةُ بهذا الأصـل كثـيرة، منهـا : قولُـه تعـــالى : قـــال تعـــالى: [التكـوير: 29]، وقـال تعـالى: [الأنعام: 111]، وقال تعـــالى: [الأنعـــام: 112]، وقـــال تعالى: [يس: 82]، وقال تعـالى: [الأنعام: 39].

الركن الرابع : الإيمان بأن الله تعالى خلقَ كلَّ شيء :

قررت النصوصُ أن الله تعالى خلـقَ كـلَّ شـيء، فهـو الذي خلقَ الخلقَ وكوَّنَهم وأوجدَهم، فهو الخالقُ وما سواه مخلـــوقٌ مربـــوب : [الزمر: 62]، [يس: 81]،

[illegible] [الأنعام: 1]، [illegible]
[illegible]
[illegible] [النساء: 1]، [illegible]
[illegible] [الأنبياء: 33].

الفصل الثالث
أفعال العباد

سبق أن ذكرت أن مراتبَ القضاء والقدر وأركانها أربعة، وهي :

1- العلم : وهو علمه تعالى بكل شيء مما كان وما سيكون.
2- والكتابة : وهي كتابته تبارك تعالى لكل شيءٍ في الأزل.
3- والمشيئة والإرادة : وهي أن كل شيء خاضعٌ لمشيئته وإرادته.
4- والخلق : وهو خلقه تعالى لكل شيءٍ ومنها أفعال العباد.

 أما المرتبتان الأوليان – العلم والكتابة – فلم ينكرهما إلا غلاة القدرية، الذين يقولون إنّ الأمر أنف، أي : لم يسبق لله تعالى فيه علم، وقد نشأوا في أواخر عهد الصحابة - رضي الله عنهم -، وتبرأ منهم من أدركهم من الصحابة رضي الله عنهم كما هو معروفٌ في قصة ابن عمر – رضي الله عنهما - في أول حديث في صحيح مسلم.

أما بقية الطوائف : فهم مُقِرُّون بهاتين المرتبتين.

وأما المرتبتان الأخريان– المشيئة والخلق– فقد وقع فيهما الخلاف على قولين:

أحدهما : إنكار هاتين المرتبتين، وهذا مذهب المعتزلة ومن وافقهم، الذين ينكرون أن تكون مشيئة الله تعالى لها تعلق بأفعالِ العبادِ وطاعتِهم ومعاصيهم، ويزعمون أنه تعالى لا يخلق أفعال العباد، وإنما العبادُ هم الخالقون لأفعالهم.

والثاني : الإقرار بهاتين المرتبتين بإثبات الإرادة والمشيئة الشاملة، والقول بأن الله تعالى خالقُ كلِّ شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وهذا قول جمهور الأمة، من أهل السنة وغيرهم حتى الجهمية – ويُسمَّون جبريةً في باب القدر – ولكنهم يُخالفون أهلَ السنة بالغلوِّ فيه.

ولذا فالخلافُ استقرَّ حول مرتَبَتَيْ المشيئة والخلق، وهل يُثبَتان للربِّ تعالى أو للعبد، أو لهما معاً؟ وتحديد العلاقة بين مشيئة الخالق ومشيئة العباد، وبين خلق الله تعالى فعلِ العبدِ وقدرتِه.

والأقوالُ في هذه المسألة أربعة :

القولُ الأول : إنّ العباد مجبورون على أعمالهم، لا قدرة لهم ولا إرادة ولا اختيار، والله تعالى وحده هو خالق أفعال العباد، وأعمالُهم إنما تُنسَب إليهم مجازاً، وحركتُهم واختيارُهم كورق الشجر تُحَرِّكُه الرياح، وكحركة الشمس والقمر والأفلاك، وهذا مذهب الجبرية، وأشهر فرقهم : الجهمية.

القول الثاني : إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله تعالى، وإنما العباد هم الخالقون لها، ولهم إرادة وقدرة مستقلة عن إرادة الله تعالى وقدرتِه، فأفعالُهم لا فاعل لها ولا مُحدِثَ سواهم، ومن قال : إن الله تعالى خالقها ومحدثها : فهو مخطئ عندهم، وهذا قول المعتزلة.

القول الثالث : قولُ بعض المتكلمين. وقد وافقوا أهلُ السنة على أن الله تعالى خالقُ أفعال العباد، خلافاً للمعتزلة، كما وافقوا أهلَ السنة على إثبات القدرة للعبد، خلافاً للجبرية...

ولكنهم مع اعترافِهم بذلك كلِّه؛ قالوا : إنه ليس لقدرتهم تأثير فيها، وهي كسبٌ للعباد، وعلى ذلك الكسب يترتَّبُ الثواب والعقاب.

القول الرابع : قولُ أهل السنة والجماعة : وهو الإقرار بالمراتب الأربعة للقضاء والقدر، الثابتة بنصوص الكتاب والسنة، وهي : العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وأفعالُ العباد داخلةٌ في المرتبة الرابعة، ولذلك فهم يقولون فيها: إن الله تعالى خلق أفعالَ العباد كلَّها، والعبادُ فاعلون حقيقة، ولهم قدرةٌ حقيقيةٌ على أعمالهم، ولهم إرادة، ولكنها خاضعةٌ لمشيئة الله تعالى الكونية، فلا تخرج عنها، فالله تعالى خالقُهم وخالقُ قدرتِهم وإرادتِهم.

فتلك المراتبُ الأربعةُ شاملةٌ لما يكون من الله تعالى نفسِه، ولما يكون من العباد، فكلُّ ما يقوم به العبادُ من

أقوال أو أفعال أو تروك : فهي معلومة لله تعالى، مكتوبةٌ عنده، والله تعالى قد شاءَها وخلقَها، ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعلَ للعبد اختياراً وقدرةً بهما يكون الفعل.

والدليل على أن فعلَ العبد باختياره وقدرتِه أمور :

الأول : قولُه تعالى : ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 223]، وقولُـه تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [التوبة: 46]، فأثبتَ للعبد إتياناً بمشيئتِه، وإعداداً بإرادتِه.

الثاني : توجيهُ الأمر والنهي إلى العبد، ولو لم يكن لـه اختيار وقدرة : لكان توجيـه ذلـك إليـه من التكليـف بمـا لا يطاق، وهو أمـر تأبـاه حكمـةُ اللـه تعـالى ورحمتُـه وخـبرُه الصـادقُ في قولـه : ﴿[illegible]﴾ [البقـرة: 286].

الثالث : مدحُ المحسن على إحسانه، وذمُّ المسيء على إساءته، وإثابةُ كلٍّ منهما بما يستحق؛ ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختيارِه : لكان مدحُ المحسن عبثاً، وعقوبةُ المسيء ظلماً، والله تعالى مُنَزَّهٌ عن العبث والظلم.

الرابع : أن الله تعالى أرسـلَ الرسـلَ ﴿[illegible]﴾ [النســــاء: 165]، ولولا أنّ فعلَ العبد يقعُ بإرادتِه واختياره : ما بطلت حجتُـه بإرسال الرسل.

الخامس : أن كلَّ فاعل يحسّ أنه يفعل الشيءَ أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد ويدخل ويخرج ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحدا يكرهه على ذلك، بل يفرِّق تفريقا واقعيا بين أن يفعلَ الشيءَ باختياره وبين أن يُكرِهَه عليه مُكرِهٌ.

وكذلك فرَّقَ الشرعُ بينهما تفريقا حكيما؛ فلم يؤاخذ الفاعلَ بما فعله مكرَهاً عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

الفصل الرابع

الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعاصي

يعتقد أهلُ السنة والجماعة أنه لا يجوز الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعاصي؛ لأنه لا حجة للعبد العاصي في القضاء والقدر؛ لأن العاصي يُقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قضاها وقدرها عليه؛ إذ لا يعلم أحد قضاء الله وقدره إلا بعد وقوع مقدوره [لقمان: 34]، فكيف يصح الاحتجاجُ بحجةٍ لا يعلمها المحتجُّ بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه.

وقد أبطلَ الله هذه الحجةَ بقوله : [الأنعام: 148].

ويقال للعاصي المحتج بالقضاء والقدر : لماذا لم تُقدِم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك؛ فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في الجهل بالمقضيِّ والمقدورِ قبل صدور الفعل منك؛ ولهذا لما أخبر النبي الصحابة – رضي الله عنهم - بأنه «ما منكم من أحدٍ إلا وقد كُتِبَ مقعَدُه من النارِ ومقعدُه من الجنّة»، قالوا : يا رسولَ الله، أفلا نَتَّكِلُ على كتابنا ونَدَعُ العمل؟ قال : «اعمَلوا فكلٌّ ميسَّرٌ لما خُلِقَ له»[1]، وفي رواية مسلم قال : «لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[2].

ويقال للمحتج بالقدر : إذا كان القضاء والقدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس؛ فإنهم كلهم مشتركون في القضاء والقدر، فحينئذ يلزم أن لا ينكر على من يظلمه، ويشتمه، ويأخذ ماله، ويفسد حريمه، ويضرب عنقه، ويهلكُ الحرث والنسل، وهؤلاء جميعا كذابون متناقضون؛ فإن أحدهم لا يزال يذم هذا، ويبغض هذا، ويخالف هذا، حتى إن الذي ينكر عليهم قد يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه.

---

[1] (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/4949)، ومواضع أخرى، ومسلم (ح/2646)، واللفظُ للبخاري.

[2] (?) (ح/2647).

فإن كان القضاء والقدر حجةً لمن فعل المحرمات وتركَ الواجبات : لزمهم أن لا يذموا أحداً، ولا يبغضوا أحداً، ولا يقولون في أحد : إنه ظالم، ولو فعل ما فعل، ومعلومٌ أن هذا لا يمكن أحداً فعلُه، ولو فعل الناس هذا : لهلك العالم، فتبين أن قول المحتج بالقضاء والقدر فاسد في العقل، كما أنه كفر في الشرع.

وعند الاستقراء تجد أن المحتجين بالقضاء والقدر يحتجون به في ترك حق ربهم تبارك وتعالى ومخالفة أمره، لا في ترك ما يرونه حقا لهم، ولا مخالفة أمرهم.

متى يسوغ الاحتجاج بالقضاء والقدر؟

يسوغ الاحتجاج بالقضاء والقدر عند المصائب التي تحلُّ بالإنسان، كالفقر، والمرض، وفقد القريب، فهذا من تمام الرضا بالله تعالى ربا، فالاحتجاج يكون على المصائب، لا المعائب، فالسعيد يستغفر من المعائب ويصبر على المصائب، كما قال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [غافر: 55]، والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب.

فلو أن رجلا قتل أخر عن طريق الخطأ، ثم لامه مَن لامه، واحتج القاتلُ بالقضاء والقدر : لكان احتجاجُه مقبولاً، ولا يمنع ذلك من أن يُؤاخَذ، ولو قتل رجلٌ رجلاً عن طريق العمد، ثم وُبِّخَ القاتل على ذلك، ثم احتج بالقضاء والقدر: لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً.

ولهذا حجَّ أدمُ موسى – عليهما السلام - كما في قوله □ عن محاجَّتِهما : «احتجَّ أدم موسى، فقال له موسى : أنت آدمُ الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة؟ فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قد قُدِّرّ عليَّ قبل أن أخلق؟ فحج أدم موسى»[1].

فآدم □ لم يحتج بالقدر على الذنب، كما يظن ذلك بعض الطوائف، وموسى □ لم يَلُمْ آدمَ □ على الذنب؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب، فاجتباه ربه وتاب عليه

[1] (?) أخرجه مسلم في كتاب القدر (ح/2652).

وهداه، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له، ولو أن موسى لام آدمَ على الذنب لأجابه : إنني أذنبت فتبت، فتاب الله تعالى علي، ولقال له : أنت يا موسى قتلت نفسا، وألقيت الألواح، إلى غير ذلك، وإنما احتج موسى بالمصيبة، فحجَّه آدمُ بالقضاء والقدر.

الفصل الخامس

من ثمار الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر يُثمر فوائد عظيمة وثمرات جليلة، منها :

1- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله تعالى وقدره.

2- راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم العبد أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة : ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب ﷻ وقَدَرِه، فلا أحد أطيب عيشاً وأهدأ نفسا وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

3- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمةٌ من الله تعالى بما قضاه وقدَّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويَدَعُ الإعجاب.

4- طـرد القلـق والضـجر عنـد فـوات المـراد أو حصـول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء اللـه تعـالى وقـدَره الـذي لـه ملك السـماوات والأرض، وهـو كـائنٌ لا محالـة، فيصـبر على ذلك، ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشـيرُ اللـه تعـالى بقولـــه : ﴿[illegible]﴾ [الحديد: 22].

5- ومن آثار الإيمان بالقضاء والقدر على الفرد والمجتمع : أن الإيمان به من أكبر الدواعي التي تدعو إلى العمل والنشاط والسعي بما يرضي الله تعالى في هذه الحياة، والإيمانُ بالقضاء والقدر من أقوى الحوافز للمؤمن لكي يعملَ ويُقدِم على عظائم الأمور بِثَباتٍ وعزمٍ ويقين.

وأما دعوى أن الإيمان بالقضاء والقدر يدعو إلى الكسل والتواكل في حياة المسلمين : فهذا مما روَّجه ويروِّجُه الملحدون، فهم يقولون : إن عقيدة القضاء والقدر تدعو الإنسان إلى التعلل بالمكتوب، فيكسل ولا يقوم بالواجب الملقى عليه، ويضربون مثلاً

لذلك بواقع الأمة الإسلامية المتخلف، والحقيقة أن واقع الأمة الإسلامية المتردي إنما نشأ ووُجِد لأسباب عديدة داخلية وخارجية، ومن الأسباب الداخلية : جهلُ كثير من المسلمين بحقيقة الإسلام، وعدمُ تفاعلهم معه التفاعلَ الإيماني الصادق الذي غيّر واقعَ الأرض أول مرة.

ومن جوانب الجهل بحقيقة الإيمان : الجهلُ بعقيدة القضاء والقدر، وذلك حين فهموا أن معنى القضاء والقدر هو التسليمُ لما يقضيه ويقدِّرُه الله تعالى بالقعود عن تغيير ما أصاب الإنسانَ من فقر أو مرض أو جهل؛ بحجة أن كل ذلك مقدرٌ من عند الله فلا ينبغي مقاومتُه، وإنما يجب الاستسلام له فقط، وكذلك حين فهموا أنه لا حاجة إلى الكَدِّ والعمل في طلب الرزق محتجين بأن الرزق سيأتي صاحبَه، ولا ضرورة للنشاط والحركة.

فإذا وُجد في المسلمين من يفهم هذا الفهم المنحرف في باب القضاء والقدر والأخذ بالأسباب : فليس عيباً في الإسلام، وإنما هو عيبٌ في المسلمين الذين يفهمون هذا الفهم؛ لأن الكتاب والسنة مملوءان بالأوامر والتوجيهات للإنسان أن يعمل الصالحات، ويطلب الرزق، ويعمر الكون، وقد طبَّق هذه التوجيهات صحابةُ رسول الله - ورضي عنهم – فعملوا وكدّوا وأتعبوا أنفسهم في ابتغاء مرضاة الله تعالى، فجاهدوا وصبروا، وفتحوا البلاد وأصلحوا العباد، وأقاموا حكمَ الله تعالى في الأرض، وما وُجِد فيهم من يقعد به إيمانُه بالقضاء والقدر عن ذلك، بل كان القضاءُ والقدَرُ أكبرَ داع وأكبرَ عاملٍ لهم ليقوموا بما قاموا به – رضوان الله تعالى عليهم -.

فالمؤمنون مأمورون بالأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، والإيمان بأن الأسباب لا تعطي النتائج إلا بإذن الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو الذي خلق الأسباب، وهو الذي خلق النتائج، ويحرم على المسلم ترك الأخذ بالأسباب، ولو ترك إنسانٌ السعيَ في طلب الرزق : كان آثما، مع أن الأرزاق بيد الله تعالى، والرسول لما سئل : أرأيت رُقىً نسترقي بها، وتُقىً نتقي بها، وأدوية نتداوى

بها: هل تردُّ من قدَر الله شيئاً؟ قال : «هي من قدر الله»[1].

فالاعتماد على الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً : نقصٌ في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها : قدحٌ في الشرع، فعلى العبد أن يكون قلبُه معتمدا على الله تعالى، لا على سبب من الأسباب، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة، فإن كانت الأسباب مقدورةً له وهو مأمور بها : فعَلَها مع التوكل على الله تعالى، كما يؤدي الفرائض، وكما يجاهد العدو، ويحمل السلاح، ويلبس جُنّةَ الحرب، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أُمِر به من الجهاد.

ومن تركَ الأسبابَ المأمورَ بها : فهو عاجزٌ مفرِّط مذموم، وفي الحديث – فيما رواه أبو هريرة عن النبي أنه قال : «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل : قدر الله وما شاء فعل؛ فإنّ (لو) تفتح عملَ الشيطان»[2].

«وقد ظن بعضُ الناس أن التوكل ينافي الاكتسابَ وتعاطيَ الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدورةً فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد؛ فإن الاكتساب منه فرض، ومنه مستحب، ومنه مباح، ومنه مكروه، ومنه حرام، وقد كان النبي - أفضل المتوكلين – يلبَس لأمةَ الحرب، ويمشي في الأسواق للاكتساب»[3].

وقد قال عمر بن الخطاب لأبي عبيدة لما جاء الخبرُ بانتشار الوباء في الشام، ورأى عمر الرجوع، فقال

---

1 (?) رواه الترمذي (ح/ 2065) في كتاب الطب، باب ما جاء في الرقى والأدوية، وفي القدر (ح/2148)، وقال : هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه (ح/3437) في كتاب الطب.

2 (?) رواه مسلم (ح/ 2664) في كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله.

3 (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (2/411- 412).

له أبو عبيدة : «أفراراً من قدَر الله؟!»، فقال عمر: «لو غيرُك قالها يا أبا عبيدة ! نعم، نَفِرُّ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت وادياً له عدوتان : إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتَها بقدَر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟»[1].

هكذا فهم الصحابةُ – رضي الله عنهم – العلاقةَ بين الإيمان بالقضاء والقدر والأخذِ بالأسباب، وأن الأخذَ بالأسباب داخلٌ في معنى الإيمان بالقضاء والقدر ولا ينافيه.

الباب السابع
في نواقض الإيمان ومُنقِصَاتِه

وفيه تمهيد وأربعة فصول :

التمهيد : في تعريف نواقض الإيمان ومنقصاتِه، وبيان منهج أهل السنة والجماعة في باب نواقض الإيمان.

الفصل الأول : في الشرك، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في الشرك الأكبر.

المبحث الثاني : وسائل الشرك الأكبر.

المبحث الثالث : في الشرك الأصغر.

الفصل الثاني : الكفر، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان حقيقة الكفر.

المبحث الثاني : أقسام الكفر.

المبحث الثالث : ضوابط تكفير المعين.

الفصل الثالث : النفاق.

الفصل الرابع : البدعة، وفيه ثلاثة مباحث :

---

1 (?) قصة عمر هذه أخرجها الشيخان، انظر : صحيح البخاري (ح/5729)، وصحيح مسلم (ح/2219).

المبحث الأول : تعريف البدعة.
المبحث الثاني : أنواع البدع.
المبحث الثالث : التحذير من البدع.

التمهيد

في التعريف بنواقض الإيمان ومنقصاته، ومنهج أهل السنة والجماعة فيها

أولاً : التعريف بنواقض الإيمان ومُنقِصَاتِه :

النواقض من النقض، وهو في اللغة: ضد الإبرام، وهو إفسادُ ما أبرمته من العقد أو البناء أو العهد.

والتعريف الاصطلاحي لنواقض الإيمان لا يخرج عن معنى النقض اللغوي، وهو أنها : اعتقادات أو أقوال أو أفعال تزيل الإيمانَ وتقطعُه بالكلية.

وبعبارة أخرى : هي الأمور التي إذا وجدت عند العبد : خرج من دين الله بالكلية، وأصبح بسببها كافراً أو مرتداً عن دين الإسلام، وهي كثيرة، تجتمع في الشرك الأكبر، والكفر الأكبر، والنفاق الأكبر (الاعتقادي).

والفقهاءُ – رحمهم الله تعالى – يوردون نواقض الإيمان في باب الردة، باعتبارها تنقض الإيمانَ، ويُعرفون الردة بتعريفاتٍ عديدة منها : قطعُ الإسلام بنية، أو قول، أو فعل، سواء قاله استهزاءً، أو عناداً، أو اعتقاداً [1].

أما مُنقِصَاتُ الإيمان : فهي الأمورُ التي تنافي كمالَ التوحيد والإيمان، ولا تنافيه بالكلية، فإذا وُجِدت عند المسلم : قَدَحَت في إيمانه ونقَصَته، ولم يخرج من دين الإسلام، وهي المعاصي التي لا تصل إلى درجة الشرك الأكبر أو الكفر الأكبر أو النفاق الأكبر، وعلى رأسها : وسائلُ الشرك الأكبر، والشرك الأصغر، والكفر الأصغر، والنفاق الأصغر، والبدعة.

ثانياً : منهج أهل السنة والجماعة في باب نواقض الإيمان :

الناسُ في باب نواقض الإيمان ثلاثة أقسام : طرفان ووسط :

الطرف الأول : الذين يغالون في التكفير والحكم على الناس بالكفر، ويكفِّرون الناسَ من غير رويّةٍ أو فقهٍ

---

[1] (?) منهاج الطالبين للنووي (3/198)، وانظر: روضة الطالبين له (ص/1725).

أو معرفةٍ جيدةٍ للإسلام، وهذا مبدأ الخوارج الذين خرجوا في عهد النبي وفي عهد الخلفاء الراشدين وفي العهود المتأخرة، وهؤلاء يكفرون المسلمين ويغالون في الكفر، فكل مَن خالفَهم كفروه واستحلوا دمَه.

وسببُ هذا الانحـراف عندهم : أنهم يأخذون النصوصَ التي تدل بظاهرها على الكفر أو على الشرك، يأخذونها على ظاهرها دون أن يجمعوا بينها وبين النصوص الأخرى التي تفسرها وتوضحها، فإن الكفرَ – كما سيأتي توضيحُه – ينقسم إلى قسمين : أكبر، وأصغر، وكذلك الشرك، والكفر الأكبر والشرك الأكبر يُخرجان من الدين وينقضان الإسلام، أما الكفر الأصغر والشرك الأصغر : فلا يُخرجان من الدين، لكنهما ينقصان الإسلام والإيمان.

والخوارج لا يفرقون بين هذا وذاك، فليس عندهم كفرٌ أصغر ولا شرك أصغر، بل الكفر والشرك عندهم شيء واحد، وهو الخروج من الدين، وهم أخذوا بظواهر بعض النصوص وتركوا النصوصَ الأخرى التي تفصِّل هذه الأمور وتقسمها إلى قسمين، وذلك لعدم فقههم وعدم تمكنهم من العلم.

الطرف الثاني : المرجئة الذين يقولون : الإيمان بالقلب، ولم يدخلوا فيه العمل، فلو عمِلَ ما عمل : فإنه لا يكفر، ويقولون : لا يضر مع الإيمان معصية، ولا ينفع مع الكفر طاعة، وأخذوا بنصوص الوعد التي فيها وعدُ الله تعالى بالمغفرة والرحمة، ولم يجمعوا بينها وبين نصوص الوعيد التي فيها التحذير من الكفر والشرك والذنوب والمعاصي.

وهؤلاء على النقيض من الخوارج، أخذوا بنصوص الوعد، واعتمدوا على الرجاء فقط، كما أن الخوارج أخذوا بنصوص الوعيد وتركوا نصوصَ الوعد والرحمة والرجاء.

الطرف الثالث : أهل السنة والجماعة، وهم وسطٌ بين المذهبين : مذهبِ الخوارج ومذهبِ المرجئة، وهم يجمعون بين النصوص ويقولون : إن الكفرَ والشركَ في القرآن والسنة ينقسمان إلى قسمين : أكبر وأصغر، والذنوب التي دون الكفر والشرك لا يكفر صاحبها.

فالكفر الأكبر والشرك الأكبر يخرجان من الملة، والشرك الأصغر والكفر الأصغر لا يخرجان من الملةِ خلافاً للخوارج، ولكنهما ينقصان الإيمانَ خلافاً للمرجئة، فهم في طرفي نقيض، وأهلُ السنة والجماعة وسط – ولله الحمد -، جمعوا بين نصوص الوعد والوعيد، وجمعوا بين الخوف والرجاء، فلم يأخذوا الرجاءَ فقط، كما أخذته المرجئة، ولم يأخذوا الخوفَ فقط، كما أخذته الخوارج.

- فمَن عبد الله بالخوف فقط : فهو خارجي.
- ومَن عبد الله بالرجاء فقط : فهو مرجئ.
- ومَن عبد الله بالحب فقط : فهو من منحرفي الزهاد.
- ومَن عبدَ الله بالخوف والرجاء والحب والرغبة : فهو موحِّدٌ سني.

فمعرفةُ نواقض الإيمان لها أهمية كبرى حتى يُحافظَ الإنسانُ على إيمانه، ولا يُعَرِّضَه للنواقض التي تُناقِضُ أصلَه، أو لِـما يُناقِضُ كمالَه، وحتى لا يكون الإنسان مع الخوارج، ولا يكون مع المرجئة، وإنما يكون مع أهل السنة والجماعة.

الفصل الأول : في الشرك :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في الشرك الأكبر :

إنّ أعظمَ ما جاءَ به الرسولُ [illegible] من عند الله تعالى، وأولَ ما أمرَ الله تعالى به: عبادة الله وحده لا شريكَ له، وإخلاصُ الدين له وحده، كما قال [illegible]: [illegible] [المدثر: 1-3]، ومعنى قولِه: [illegible] أي: عظِّم ربَّكَ بالتوحيد، وإخلاصِ العبادة له وحده لا شريكَ له، وهذا قبل الأمر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغير ذلك من شعائرِ الإسلام.

ومعنى [illegible] أي: أنذر عن الشرك في عبادة الله تعالى وحده لا شريكَ له، وهذا قبل الإنذارِ عن الزنا، والسرقة، والربا، وظلم الناس، وغيرِ ذلك من الذنوب الكبار.

وهذا الأصلُ هو أعظمُ أصول الدين، وأفرضُها، ولأجله خلقَ الله الخلق، ولأجله أرسلَ الرسل، وأنزلَ الكتب، ولأجله تفرقَ الناسُ بين مسلمٍ وكافر.

وقد حصل عند الكثيرين خلط في معنى التوحيد، وتبعاً لذلك وقع خلط في معنى الشرك أيضاً، ولَمـَّا ترتّب على خلطهم الأول تقرُّبُهم بما يظنون أنه التوحيد الذي بعثت به الرسل: ترتّبَ على خلطهم الثاني اجتنابُهم ما يظنونه الشرك الذي حذّروا منه.

ومن هنا وقع في الشرك مَن لم يستوعب معناه، ظانًّا أن ما وقع فيه من الشرك لا يُعدُّ شركاً.

ومعرفةُ معنى الشرك وحقيقتِه متوقفة على معرفة التوحيد الذي هو ضده، كما أن معرفة الشرك الذي وقعت فيه الأممُ التي أُرسلت إليهم الرسل يُعين على تحديد حقيقة التوحيد الذي جاءت الرسلُ ببيانه، لذا يحسن ههنا الحديثُ عن الشرك بإيجاز.

تعريف الشرك :

لغة : الشركُ في اللغة يدل على المقارنة، التي هي ضد الانفراد، وهو أن يكون الشيءُ بين اثنين، لا ينفردُ به

أحدُهما، يُقال : لا تُشرك بالله تعالى، أي : لا تعدل به غيرَه فتجعلَه شريكاً له، فمَن عدلَ بالله تعالى أحداً من خلقه : فقد جعله شريكاً.

اصطلاحاً : الشركُ في الاصطلاح أن يتخذ العبدُ لله تعالى نِداً يسوِّيه به في ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائِه وصفاتِه.

حكمُ الشرك : الشركُ أعظمُ ذنبٍ عصي الله تعالى بـه، فهـو أكـبر الكبـائر، وأعظم الظلم؛ لأن الشـركَ صـرفُ خالص حق الله تعالى – وهو العبادة – لغيره، أو وصفُ أحـدٍ من خلقه بشيءٍ من صفاته التي اختصَّ بها [illegible] ، قـال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [لقمـان: 13]، ولـذلك رتّبَ الشـرعُ عليه آثاراً وعقوباتٍ عظيمة، أهمها :

1- أن اللـه تعـالى لا يغفـره إذا مـات صـاحبُه ولم يتب منه، كمـا قـال تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [النساء: 48]، هذا مع أنـه سـبحانه كتبَ على نفسه الرحمة.
2- أن صاحبَه خارج من ملة الإسلام.
3- أن الله تعالى لا يقبل من المشرك عملاً، وما عملَـه من أعمالٍ سابقة تكون هباءً منثوراً، كما قال تعالى عن المشـــــركين : ﴿[illegible]﴾ [الفرقان: 23]، وقال تعالى : ﴿[illegible]﴾ [الزمر: 65].
4- أن دخـول الجنـة عليـه حـرام، وهـو مخلـد في نـار الجحيم – نسأل الله تعالى السلامةَ والعافيـة – كمـا قـال اللــه تعـالى : ﴿[illegible]﴾ [المائدة: 72].

أقسام الشرك :

الشرك على قسمين : شرك أكبر، وشرك أصغر.

وضابطُ الأول : أن يتخذ العبدُ لله تعالى نِداً يحبه كمحبته، أو يرجوه أو يخافه أو يدعوه أو يصرف له نوعاً

من العبادة الظاهرةِ أو الباطنة، وهذا شركٌ مخرج من دائرة الإسلام وملّتِه، وصاحبُه متوعَّدٌ أشد الوعيد إن أصرّ عليه ولقي الله به.

وضابط الثاني : أنه كل وسيلةٍ يُتَوَسَّلُ بها ويُتَوَصَّلُ من طريقها إلى الشركِ بشرط أن لا يبلغ ذلك مرتبةَ العبادة.

وهو غيرُ مخرجٍ من الملة، ويُخاف على صاحبه؛ إذ هو تحت مشيئة الله تعالى كسائر الذنوب والمعاصي والكبائر، ومن أمثلته : الحلف بغير الله تعالى، والرياء، ونحو ذلك من الأقوال والأفعال المؤدية إلى الشرك، وسيأتي بيان بعضها في المبحث الثالث إن شاء الله تعالى.

أقسام الشرك الأكبر :

للشرك الأكبر ثلاثة أقسام رئيسة هي :

القسم الأول : الشرك في الربوبية : وهو أن يجعل لغير الله تعالى معه نصيباً من الملك، أو التدبير، أو الخلق، أو الرزق الاستقلالي.

ومن صور الشرك في هذا القسم :

1- شرك النصارى الذين يقولون : الله ثالث ثلاثة، وشركُ المجوس القائلين بإسناد حوادث الخير إلى النور – وهو عندهم الإله المحمود – وحوادث الشر إلى الظلمة – وهو عندهم الإلهُ المذموم -.
2- شرك القدرية الذين يزعمون أن الإنسانَ يخلق أفعالَه.
3- شركُ كثيرٍ ممن يعبدون القبور، الذين يعتقدون أن أرواح الأموات تتصرف بعد الموت، فتقضي الحاجات وتفرّج الكربات، أو يعتقدون أن البعضَ يتصرف في الكون، أو يُغيث مَن استغاثَ به ولو مع غيبتِه عنه.
4- الاستسقاء بالنجوم : وذلك باعتقاد أنها مصدر السقيا، وأنها تنزل الغيث بدون مشيئة الله تعالى، وأعظم من ذلك أن يعتقد أنها تتصرف في الكون بالخلق أو الرزق أو الإحياء أو الإماتة أو بالشفاء أو المرض أو الربح أو الخسارة؛ فهذا كله من الشرك

الأكبر، قال تعـالى: ﴿[illegible]﴾ [الواقعة: 82]، والمعنى : تجعلون شكركم للـه تعـالى على ما رزقكم الله تعـالى من الغيث والمطـر أنكم تكذبون، أي : تنسبونه إلى غيره.

القسم الثاني : الشرك في الألوهية :

وهـو اعتقـاد أن غـير اللـه تعـالى يسـتحق أن يُعبـد، أو صرف شيء من العبادة لغيره.

وأنواعُه ثلاثة، وهي :

النوع الأول : اعتقاد شريكٍ لله تعالى في الألوهيـة، فمن اعتقـد أن غـيرَ اللـه يسـتحق العبـادةَ مـع اللـه، أو يسـتحق أن يُصـرف لـه أي نـوع من أنـواع العبـادة : فهـو مشركٌ في الألوهية.

النوع الثاني : صرف شـيءٍ من العبـادات المحضـة لغير الله تعالى :

فالعبـادات المحضـة بأنواعهـا : القلبيـة، والقوليـة، والعمليـة، والماليـة : حـق للـه تعـالى لا يجـوز أن تصـرف لغيره، فمَن صرف شيئاً منها لغير اللـه تعـالى : فقـد وقـع في الشرك الأكبر.

والشركُ بصرف شيء من العبادة لغير الله تعـالى لـه صور كثيرة يمكن حصرها في الأمرين الآتيين :

الأمـر الأول : الشـرك في دعـاء المسـألة، ودعـاءُ المسـألةِ أن يطلبَ العبـدُ من ربـه جلبَ مرغـوب، أو دفـع مرهوب.

ويـدخل في دعـاء المسـألة : الاسـتعانة، والاسـتعاذة، والاستغاثة، والاستجارة.

الأمر الثاني : الشرك في دعاء العبادة :

ودعاء العبادة هو: عبـادة اللـه تعـالى بـأنواع العبـادات القلبية، والقولية، والفعليـة، كالمحبـة، والرجـاء، والصـلاة، والصـيام، والـذبح، وقـراءة القـرآن، وذكـر اللـه تعـالى، وغيرها.

وسمي هذا النوع (دعاء) باعتبـار أن العابـد للـه تعـالى بهذه العبادات طالبٌ وسـائلٌ للـه تعـالى في المعـنى؛ لأنـه إنما فعل هذه العبادات رجاءً لثوابه، وخوفاً من عقابـه، وإن

لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب، فهـو داعٍ للـه تعـالى بلسان حاله، لا بلسان مقاله.

ويدخل في هذا النوع : شـرك النيـة والإرادة والقصـد، والشرك في الخوف، والشرك في المحبـة، والشـرك في الرجاء، والشرك في الصلاة والسجود والركـوع، والشـرك في الذبح، والشرك في النذر والزكاة والصـدقة، والشـرك في الصيام والحج، والشرك في الطواف، وغيرها.

النوع الثالث : الشرك في الحكم :

والشرك في الحكم له صور كثيرة، منها :

1- أن يعتقد أحدٌ أن حكم غير الله تعالى أفضل من حكم الله تعالى أو مثلُه، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة؛ لأنّ صاحبَه مكذبٌ للقرآن الكريم.
2- أن يعتقد أحدٌ جواز الحكم بغير ما أنـزل اللـه تعـالى، وهذا شرك أكبر أيضاً.
3- أن يضع تشريعاً أو قانوناً مخالفـاً لمـا جـاء في كتـاب الله تعالى وسنة رسوله [illegible] ، ويحكم به، معتقـداً جـوازَ الحكم بهذا القانون، أو معتقـداً أن هـذا القـانون خـير من حكم الله أو مثلـه، فهـذا شـرك أكـبر مخـرج من الملة.
4- أن يطيع مَن يحكم بغير شرع الله تعـالى عن رضـى، مقدماً لقـولهم على شـرع اللـه، سـاخطاً لحكم اللـه تعالى، أو معتقـداً جـوازَ الحكم بغـيره، أو معتقـداً أن هذا الحكم أو القانونَ أفضل من حكم اللـه تعـالى أو مثله.

ومثل هؤلاء من يتبـع أو يتحـاكم إلى الأعـراف القبليـة المخالفة لحكم الله تعـالى، مـع علمـه بمخالفتهـا للشـرع، معتقداً جواز الحكم بها، أو أنها أفضل من الشرع أو مثلـه، فهذا كله شرك أكبر مخرج من الملة.

والدليل على أن هذا كله شرك قولُـه تعـالى : [illegible] [المائـــــدة: 44]، وقولُــه تعــالى : [illegible] [التوبة: 31].

وعن عدي بن حاتم أنه قال : سمعت النبيَّ يقرأ : [التوبـة: 31]، فقلت: إنا لسـنا نعبـدهم ؟ فقـال : «أليس يحرّمـون مـا أحلّ الله فتحرمونه، ويُحلّون ما حرّم الله فتحلّونه؟» قـال : قلت : بلى، فقال : «فتلك عبادتُهم»[1].

فتضمَّنَ الحديث أن طاعتَهم في مخالفة الشـرع عبـادة لهم، وذكر الله تعالى في آخر الآية أن ذلك شرك.

القسم الثالث : الشرك في الأسماء والصفات :

وهو أن يجعل لله تعالى مماثلاً في شيءٍ من الأسماء أو الصفات، أو يصفَه تعالى بشيءٍ من صفات خلقه.

فمَن سمّى غيرَ الله تعالى باسمٍ من أسماء الله تعالى، معتقداً اتصافَ هذا المخلوق بما دلَّ عليه هذا الاسمُ مما اختص الله تعالى به، أو وصفَه بصفةٍ من صفات الله تعالى الخاصةِ به : فهو مشركٌ في الأسماء والصفات، كتسمية المشركين آلهتَهم بأسماء الله تعالى، كـاللات من الإله، والعُزّى من العزيز، ومناة من المناة.

وكذلك مَن وصف الله تعالى بشيءٍ من صفات المخلوقين : فهو مشركٌ في الصفات.

ومن صور هذا الشـرك : الشـركُ بـدعوى علم الغيب، أو باعتقاد أن غيرَ الله تعالى يعلم الغيب، فكلُّ ما لم يطلع عليه الخلقُ ولم يعلموا به بأحد الحواس الخمس: فهو من علم الغيب، كمـا قـال تعـالى: [النمـل: 65]، وقال : [يونس: 20]، وقال سـبحانه وتعـالى : [الأنعـام: 59]، وقال لنبيـه محمـد : [الأعراف: 188]، وقال لنبيه أيضـاً: [الأنعام: 50].

---

[1] (?) رواه الترمذي (3095)، والطبراني في الكبير (17/برقم 218، 219)، وحسنه الشيخ الألباني في (صحيح سنن الترمذي) (3/247).

المبحث الثاني : وسائل الشرك الأكبر :

لما كان الشركُ الأكبرُ أعظمَ ذنبٍ عصي الله تعالى به : حرّم الله ورسولُه كلَّ قولٍ أو فعلٍ يؤدي إليه، أو يكون سبباً في وقوع المسلم فيه.

فالرسولُ كان حريصاً على هداية أمته وسلامتِهم من كل ما يكون سبباً في هلاكهم، قال تعالى: [illegible] [التوبة: 128].

وقال أبو ذر : تركَنا رسولُ الله وما طائرٌ يقلبُ جناحيه في الهواء إلا وهو يذكرنا منه علماً. قال : وقال رسولُ الله : «ما بقي شيءٌ يقرِّبُ من الجنة ويباعد من النار إلا بُيِّنَ لكم»[1].

وثبت عنه أنه قال : «إنما مَثَلي ومثلُ الناس كمثَل رجل استوقدَ ناراً، فلما أضاءت ما حوله : جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل الرجلُ يحجزهن، ويغلبنه، فيقتحمن فيها؛ فأنا آخذُ بحُجَزِكم عن النار : هلمَّ عن النار، هلمَّ عن النار، فتغلبوني تقحَّمون فيها»[2].

فالرسولُ حمى جنابَ التوحيد من كل ما يهدمه أو يُنقصه حمايةً محكَمة، وسَدَّ كلَّ طريق يؤدي إلى الشرك ولو من بعيد؛ لأن من سارَ على الدرب وصل؛ ولأن الشيطان يُزيِّنُ للإنسانِ أعمالَ السوء، ويتدرج به من السيء إلى الأسوأ شيئاً فشيئاً حتى يُخرجه من دائرة الإسلام بالكلية – إن استطاع إلى ذلك سبيلاً – فمَن انقادَ له واتبع خطواتِه : خسر الدنيا والآخرة.

ولذلك لما عصى كثيرٌ من المسلمين نبيَّهم بفعل بعض الأمور التي نهاهم عنهم وحذَّرهم منها، واتبعوا خطواتِ الشيطان الذي زيّن لهم الباطل، ودعاهم إليه حتى ظنوا أنهم على الحق مع مخالفتهم الصريحةِ للنبي : أدّى بهم ذلك إلى الوقوع في الشرك الأكبر المخرِج من الملة.

---

1 (?) رواه الطبراني في الكبير (ح/1647) بإسنادٍ حسن.

2 (?) متفق عليه، رواه البخاري (ح/6483)، ومسلم (ح/2284) من حديث أبي هريرة .

وسأبيّن – إن شاء الله تعالى – أهمَّ الوسائل التي توصلُ إلى الشرك، وتوقع المسلمَ فيه، والتي حذّر منها النبيُّ ، فمنها :

أولاً : الغلو في الصالحين :

لقد حذّر النبيُّ من الغلو على وجه العموم، فقال : «إياكم والغلو؛ فإنما أهلكَ مَن كان قبلكم الغلو»[1].

أما الغلو في الصالحين : فقد ثبتَ أنه كان أول وأعظم سبب أوقعَ بني آدم في الشرك الأكبر، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس – رضي الله عنهما - أنه أخبرَ عن أصنام قوم نوح أنها صارت في العرب، ثم قال : «أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أن أنصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً[2]، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونُسخ العلم[3] : عُبِدت»[4].

ولذلك ينبغي للمسلم أن يَحذَرَ من التساهل في هذا الباب؛ لئلا يؤدي به أو يؤدي بمن يراه أو يقلده أو يأتي بعده إلى الوقوع في الشرك الأكبر.

ومن أنواع الغلو المحرم في حق الصالحين والذي يوصل إلى الشرك :

أولاً : المبالغة في مدحهم : كما يفعلُه كثيرٌ من غلاة أهل البدع، وقد أدت هذه المبالغة بكثيرٍ منهم في آخر الأمر إلى الوقوع في الشرك الأكبر في الربوبية، وذلك باعتقاد أن بعض الأولياء يتصرفون في الكون.

وقد حذّر النبيُّ من الغلو في مدحه فقال : لا

---

1 (?) رواه الإمام أحمد (1/215)، والنسائي (5/268)، وابن ماجه (ح/3029)، وابن حبان (ح/3871) من حديث ابن عباس ب بإسناد صحيح.

2 (?) الأنصاب : جمع نصب، وهو كل ما يُنصب من عصا أو حجر أو غيرهما لغرض ما، وكانت للعرب في الجاهلية أنصاب، وهي أحجار كانوا ينصبونهاً ويذبحون عليها، فتحمر بالدم، وقيل : إنها أحجار كانوا ينصبونها ويتخذونها صنماً يعبدونه.

3 (?) النسخ : تبديل الشيء بغيره، والمراد هنا : تبديلُ علمِ سببِ نَصْبِ هذه الصور من تذكُّر أحوالهم إلى أنه من أجل عبادتهم.

4 (?) صحيح البخاري (ح/4920).

تطروني كما أطرت النصارى المسيحَ بنَ مـريم، فإنمـا أنـا عبدٌ فقولوا : عبدُ الله ورسولُه [1]، وإذا كان هذا في حقـه : فغيرُه من البشر أولى أن لا يُزاد في مدحهم.

والنبيُّ أفضـل الخلـق على الإطلاق، وهـو رسـولُ رب العالمين إلى جميع الثقلين، وله من الفضائل الكثيرة الثابتة في الكتـاب والسـنة مـا تُغـني عن أن يختلـق النـاسُ لـه فضـائل، ولأجـل حرصـه على حمايـة التوحيـد وتحـذيره الشـديد من الاقـتراب من الشـرك ووسـائله : نهى عن الإطراء في مدحه.

ثانياً : تصوير الأولياء والصالحين :

سبق أن أول شركٍ حدث في بني آدمَ سببُه الغلوُّ في الصـالحين بتصـويرهم، كمـا حصـل من قـوم نـوح ، وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها -: أن أمَّ حبيبة وأم سلمة – رضي الله عنهمـا - ذكرتـا كنيسـةً رأينهـا بالحبشـة، فيها تصـاوير، فـذكرتا للنـبي فقـال : «إن أولئـك إذا كـان فيهم الرجـلُ الصـالحُ فمـات : بنـوا على قـبره مسـجداً، وصوّروا تلك الصـور، فأولئـك شـرارُ الخلـقِ عنـد اللـه يـوم القيامة»[2].

ولخطر التصـوير وعظم جـرم فاعلـه : وردت نصـوصٌ شـرعية فيهـا تغليـظ على المصـوِّرين، وتـدل على تحـريم التصوير لذوات الأرواح، ومن النصوص الواردة في ذلك ما رواه الشيخان عن عبد الله بن مسعود أنه قال: سـمعت النـبيَّ يقـول: «إن أشـدَّ النـاس عـذاباً يـوم القيامـة المصوِّرون»[3].

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عباس ب أنه أتـاه رجـلٌ فقال : إني رجلٌ أصوِّرُ هـذه الصـور، فـأفتِني فيهـا، فقـال له : سمعت رسولَ الله يقول : كـل مصـوِّرٍ في النـار، يجعل لـه بكـل صـورةٍ صـوَّرها نفسـاً فتعذِّبـه في جهنم ،

---

1 (?) رواه البخاري (ح/3445).

2 (?) أخرجه البخاري في صحيحه بالأرقام (427، 434، 1341)، ومسلم (ح/528).

3 (?) أخرجه البخاري (ح/5950)، ومسلم (ح/2109).

وقال : إن كنتَ لا بد فاعلاً فاصنع الشجرَ وما لا نفس له[1].

وعن أبِي الهياج الأسديِّ قال : قال لي عليُّ بنُ أبِي طالب : «ألاَ أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله : ألاّ تَدَعَ تمثالاً إلاّ طمستَه، ولا قبراً مشرفاً إلاّ سوّيتَه»[2].

وكلُّ هذا يدل على خطورة التصوير لذوات الأرواح، وأنه قد يكون من الأسباب المفضيةِ إلى الشرك والعياذ بالله تعالى.

ثالثاً – من أنواع الغلوِّ المحرَّم - التبرك الممنوع بالصالحين :

وسيأتي الحديث عنه في الفقرة اللاحقة.

ثانياً : التبرك الممنوع :

التبرك : طلب البركة، والبركةُ : كثرة الخير وزيادتُه واستمرارُه.

والتبرك على قسمين :

1- **تبرك مشروع :** وهو أن يفعل المسلمُ العبادات المشروعة طلباً للثواب المترتب عليها، ومن ذلك أن يتبرك بقراءة القرآن والعملِ بأحكامه، ومنه التبرك بالمسجد الحرامِ بالصلاةِ فيه؛ ليحصل على فضيلة مضاعفة الصلاة فيه، فهذا من بركة المسجد الحرام.

2- **تبرك ممنوع، وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين :**

1- تبرك شركي : وهو أن يعتقد المتـبَرِّكُ أن المتـبَرَّكَ به – وهو المخلوق – يهَبُ البركةَ بنفسه، فيبارك في الأشياء بذاته استقلالاً، أو أن يطلب منه الخيرَ والنماءَ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ لأن الله تعالى هو وحده موجِدُ البركةِ وواهبُها، ففي الحديث عن النبي أنه قال : «البركةُ من الله»، فطلبُها من غيره أو اعتقادُ أن غيره يهبُها بذاته : شرك.

2- تبرك بدعي : وهو التبركُ بما لم يَرِد دليلٌ شرعي

[1] (?) أخرجه البخاري (ح/2225)، ومسلم (ح/2110)، واللفظ لمسلم.
[2] (?) أخرجَه مسلم (ح/969).

على جواز التبرك به، معتقداً أن الله تعالى جعلَ فيه بركة، أو التبرك بالشيء الذي وردَ التبركُ به على غير الوجه الذي وردَ في الشرع التبركُ به.

وهذا محرم؛ لأن فيه إحداثَ عبادة لا دليلٍ عليها من كتاب أو سنة، ولأنه جعل ما ليس بسببٍ سبباً، فهو من الشرك الأصغر، ولأنه يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر.

والتبرك البدعيُّ ينقسم إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول : التبرك الممنوع بالأولياء والصالحين :

وردَت أدلة كثيرة تدل على مشروعية التبرك بجسد وآثار النبي ، كشَعره، وعرقه، وثيابه، وغير ذلك.

أما غيرُ النبي من الأولياء والصالحين : فلم يَرد دليلٌ صحيحٌ صريحٌ يدل على مشروعية التبرك بأجسادهم ولا بآثارهم، ولذلك لم يَرد عن أحد من أصحاب النبي ولا أحدٍ من التابعين أنهم تبركوا بجسد أو آثار أحدٍ من الصالحين، فلم يتبركوا بأفضل هذه الأمةِ بعد نبيها، وهو أبو بكر الصديق ولا بغيره من العشرة المبشرين بالجنة ولا بأحدٍ من أهل البيت ولا غيرهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه؛ لحرصهم الشديد على فعل جميع أنواع البر والخير، فإجماعُهم على ترك التبرك بجسد وآثار غيره من الصالحين دليل على عدم مشروعيته.

ومن مظاهر التبرك بالصالحين :

1- التمسح بهم، ولبس ثيابهم أو الشرب بعد شربهم طلباً للبركة.
2- تقبيل قبورهم، والتمسح بها، وأخذ ترابها طلباً للبركة، وقد حكى جمعٌ من أهل العلم إجماع العلماء على أن هذا كله منهيٌّ عنه، وذكر بعضُ علماء الشافعية والحنفية أن هذه الأفعال من عادات النصارى[1].

---

1 (?) كما ذكر ذلك أبو حامد الغزالي، كما في حاشية الهيتمي على منسك النووي (ص/454).

3- عبادة الله تعالى عند قبورهم تبركاً بها، معتقداً فضلَ التعبد لله تعالى عندها، وأن ذلك سبب لقبول هذه العبادة، وسبب لاستجابة الدعاء.

النوع الثاني : التبرك بالأزمان والأماكن والأشياء التي لم يَرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها :

ومن أمثلة هذه الأشياء :

1- الأماكن التي مرَّ بها النبيُّ أو تعبد لله فيها اتفاقاً من غير قصدٍ لها لذاتها، وإنما لأنه كان موجوداً في هذه الأماكن وقتَ تعبده لله تعالى بهذه العبادة، ولم يَرد دليلٌ شرعي على فضلها.

فلا يجوز للمسلم قصدُ زيارة هذه الأماكن للتعبد لله تعالى عندها، كما لا يجوز مسح شيء من هذه الأماكن لطلب البركة.

ولذلك لم يثبت عن أحدٍ من الصحابة أنه قصدَ شيئاً من هذه الأماكن للتبرك بها بتقبيلٍ أو لمس أو غيرها، ولا أن أحداً منهم قصدَها للتعبد لله تعالى فيها[1].

وقد ثبتَ عن النبي أنه قال : «لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجدِ الحرام، ومسجدِ الأقصى[2]»[3].

وثبتَ عن عمر بن الخطاب أنه لما رأى الناسَ وهو راجعٌ من الحج ينزلون فيصلون في مسجد، فسأل عنهم، فقالوا : مسجدٌ صلى فيه النبيُّ ، فقال: «إنما هلكَ مَن كان قبلكم أنهم اتخذوا آثارَ أنبيائهم بِيَعاً، مَن مَرَّ بشيءٍ

---

1 (?) أما ما جاء عن ابن عمر – رضي الله عنهما - من صلاته في مواضع صلى فيها النبيُّ : فهو لم يسافر إليها ولم يقصد زيارتَها وهو في مكان آخر، وإنما اتفق مرورُه بها.

2 (?) قال النووي – رحمه الله - : «هكذا وقع في صحيح مسلم هنا، و(مسجد الحرام، ومسجد الأقصى) من إضافة الموصوفِ إلى صفتِه، وقد أجازه النحويون الكوفيون، وتأوله البصريون على أن فيه محذوفاً تقديرُه: مسجد المكان الحرام والمكان الأقصى، ومنه قوله تعالى : **وما كنتَ بجانب الغربِيِّ** أي : المكان الغربي ونظائرُه».

3 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/1189)، ومسلم (ح/1397)، واللفظ له.

من هذه المساجد فحضرت الصلاة : فليصل، وإلا فليمض»[1].

2- التبرك ببعض الأشجار وبعضِ الأحجار وبعضِ الأعمدة وبعض الآبار والعيون التي يظن بعضُ العامة أن لها فضلاً، إما لظنهم أن أحدَ الأنبياء والأولياء وقفَ على ذلك الحجَر، أو لاعتقادهم أن نبياً نام تحت تلك الشجرة، أو يرى أحدُهم رؤيا أن هذه الشجرةَ أو هذا الحجرَ مبارك، أو يعتقدون أن نبياً اغتسلَ في تلك البئر أو العين، أو أن شخصاً اغتسلَ فيها فشُفي، ونحو ذلك، فيغلون فيها، ويتبركون بها، فيتمسحون بالأشجار والأحجار، ويغتسلون بماء هذه البئر أو تلك العين طلباً للبركة، ويعلقون بالشجرةِ الخرقَ والمسامير والثياب، فربما أدى بهم غلوُّهم هذا في آخر الأمر إلى عبادة هذه الأشياء، واعتقاد أنها تنفع وتضر بذاتها.

ولا شك أن التبركَ بالأشجارِ والأحجار والعيون ونحوها بأي نوعٍ من أنواع التبرك، من مسح، أو تقبيل، أو اغتسالٍ، أو غيرها مما سبق ذكرُه، تبركاً وتعظيماً : محرمٌ بإجماع أهل العلم؛ لأنه إحداثُ عبادات ليس لها أصل في الشرع، ولأنه من أعظم أسباب الوقوع في الشرك الأكبر.

ولِـمَا روى أبو واقد الليثي قال : خرجنا مع رسـول اللـه قِبَلَ حنين ونحن حديثو عهدٍ بكفر، وللمشركين سدرةٌ يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتَهم وأمتعتَهم، يُقال لهـا ذاتُ أنـواط، فمررنا بسدرة، فقلنا : يا رسـولَ اللـه، اجعـل لنـا ذاتَ أنـواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال : «الله أكبر ! هذا كما قـالت بنـو إسرائيل: [الأعـراف: 138]، ثم قال : إنكم قومٌ تجهلون، لتركبن سَنَنَ مَن كان قبلكم»[2].

---

1 (?) رواه عبد الرزاق في المصنف (ح/2734)، وابن أبي شيبة في الصلاة، في الصلاة عند قبر النبي ، وإسناده صحيح، صححه شيخُ الإسلام، كما في (الفتاوى) (10/410)، والحافظ في (الفتح) (1/569).

2 (?) أخرجه أحمد (5/218)، والترمذي (ح/2180)، وابن حبان (ح/6702) وغيرُهم بإسناد صحيح رجالُه رجالُ الشيخين. ومعنى (ينوطون) : أي يعلقون، و(ذات أنواط) اسمٌ لشجرةٍ بعينها.

فلما طلبَ حدثاءُ العهد بالإسلام من الصحابة شجرةً يتبركون بها تقليداً للمشركين : أنكـرَ عليهم النـبيُّ ذلـك، وأخــبرَهم أن طلبَهم هـذا يشـبه طلبَ بـني إسـرائيل من موسـى أن يجعـل لهم آلهـةً تقليـداً لمشـركي زمـانهم، فطلبُهم مشابِهٌ لطلب بني إسرائيل من جهة طلب التشبُّه بالمشـركين فيمـا هـو شـرك، وإن كـان مـا طلبَـه هـؤلاء الصحابةُ من الشرك الأصغر.

وليس في دين الإسلام حجرٌ أو غيرُه يُشرع مسـحُه أو تقبيلُه تبركاً، حتى مقام الخليل لا يُشـرع تقبيلُـه مطلقـاً، مع أنه وقفَ عليه، وأثرت فيه قدماه وهذا كله قد أجمع عليه أهلُ العلم.

أما مسحُ الحجر الأسود وتقبيلُه، وكـذلك مسـحُ الـركن اليماني في أثناء الطواف : فإنما هـو من بـاب التعبـد للـه تعالى، واتباعِ سنةِ النبي ، ولذلك قـال عمـرُ لَــمّا قبّـلَ الحجـرَ الأسـود : إني لأعلم أنـك حجـرٌ لا تضـر ولا تنفـع، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله يقبلك : ما قبلتُك [1].

وقد قطع عمرُ شـجرة بيعـة الرضـوان لمـا بلغـه أن ناساً يأتون إليهـا؛ وذلـك حسـماً لمـادة الشـرك، وهـذا هـو الواجب تجاه الأشجار والأحجار والآبار والعيون التي يتبرك بها العامة؛ حسماً لمادة الشرك.

3- التبرك ببعض الليالي والأيام التي يُقال إنها وقعت فيها أحداثٌ عظيمة، كالليلـة الـتي يُقـال إنهـا حصـل فيهـا الإسراء والمعراج ونحو ذلك.

النــوع الثــالث : التــبرك بالأمــاكن والأشــياء الفاضلة بغير ما ورد فيها :

وردت نصوصٌ شرعيةٌ كثـيرةٌ تـدل على فضـل وبركـة بعض الأمــاكن، كالكعبــة المشــرفة، والمســاجد الثلاثــة، وبعض الأزمان، كليلة القدر، ويـوم عرفـة، وبعض الأشـياء الأخرى، كماء زمزم، والسحور للصائم، والتبكير في طلب الرزقِ ونحوِه، وغير ذلك.

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/1597)، ومسلم (ح/1270).

والتبركُ بهذه الأشياء يكون بفعل العبادات وغيرِها مما وردَ في الشرع ما يدل على فضلها فيها، ولا يجوز التبرك بها بغير ما ورد، وعليه، فمَن تبركَ بالأزمان أو الأماكن أو الأشياء التي وردت نصوصٌ تدل على فضلها أو بركتها : بتخصيصِها بعباداتٍ أو تبركاتٍ معينةٍ لم يَرِد في الشرع ما يدل على تخصيصِه بها : فقد خالفَ المشروع، وأحدثَ بدعةً ليس لها أصلٌ في الشرع، وذلك كمن يتبرك بجدران الكعبةِ بتقبيلها أو مسحها، أو يتمسح بمقام إبراهيم ، أو بجدران المسجد الحرام أو المسجد النبوي، فهذا كله محرم، وهو من البدع المحدَثة، وقد اتفق أصحابُ النبي وسلفُ هذه الأمة على عدم مشروعيته، ومثلُه أن يتبرك بأحجار أو تراب شيء من المواضع الفاضلةِ بالتمرغ عليه، أو بجمعه والاحتفاظِ به.

ومما يدل على تحريم التبرك بالأشياء الفاضلةِ بغير ما وردَ في الشرع :

1- ما ثبتَ في الصحيحين عن ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب أنه قال لـمّا قبّلَ الحجرَ الأسود : «إني لأعلم أنكَ حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ النبيَّ يقبّلك : ما قبّلتُك»[1]، وإذا كان هذا في شأن الحجر الأسود الذي هو أفضل الكعبة : فغيرُه من الأماكن والأشياء الفاضلة أولى، فيتعبد المسلمُ فيها بما وردَ في الشرع ولا يزيد عليه.

2- ما ثبتَ عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابنِ عم النبي عبدِ الله بن عباس ب أنه أنكرَ على مَن استلم أركانَ الكعبةِ الأربعة؛ لأن النبيَّ لم يستلم إلا الحجر الأسود والركنَ اليماني[2].

3- ما ثبتَ عن الصحابي الجليل عبد الله بن الزبير ب من الإنكارِ على مَن مسح مقامَ إبراهيم، وقال لمن رآه

---

1 (?) تقدم تخريجُه قريباً.

2 (?) رواه البخاري في الحج، باب مَن لم يستلم إلا الركنين (ح/1608)، ورواه الإمام أحمد (1/217) مطولاً، وفيه : أن معاويةَ قال لابن عباس – رضي الله عنهما -: صدقت.

يمسح : لم تؤمَروا بهذا، وإنما أمِرتم بالصلاة عنده[1].

4- وهذا هو الذي ثبت عن التابعين، قال مجاهد : لا تقبّل المقامَ ولا تلمسه[2].

والتبرك البدعي من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر؛ لأن «العامة لا تقتصر في ذلك على حد، بل تتجاوز فيه الحدود، وتبالغ في جهلها في التماس البركة، حتى يداخلها للمتبرك به تعظيمٌ يخرج به عن الحد، فربما اعتقد في المتبَرَّكِ به ما ليس فيه، وهذا التبركُ هو أصل العبادة، ولأجله قطعَ عمرُ الشجرةَ التي بويع تحتها النبيُّ ، بل هذا هو أصل عبادة الأوثان في الأمم الخالية، حسبما ذكرَه أهلُ السير»[3].

ثالثاً : رفع القبور وتجصيصُها، وإسراجُها، وبناء الغرف أو المساجد عليها، وعبادةُ الله تعالى عندها :

وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن هذه الأمور كلها، ومنها :

1- ما رواه جندب بن عبد الله البجلي قال : سمعتُ رسولَ الله قبل أن يموتَ بخمسٍ وهو يقول : «...ألا وإنّ مَن كان قبلكم كانوا يتخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبورَ مساجد؛ فإنّي أنهاكم عن ذلك»[4].

2- ما رواه عبدُ الله بن مسعود عن النبي قال : «إن من شرار الناس مَن تدركُه الساعةُ وهم أحياء، ومَن يتخذ القبورَ مساجد»[5].

3- ما روته أم المؤمنين عائشة وابن عباس قالا : لما

---

1 (?) أخرجه عبدُ الرزاق في مصنفه، باب المقام (ح/8958)، وابن أبي شيبة في الحج : في مسح المقام، مَن كرهه؟(8/714-برقم/15753)، وسنده صحيح.

2 (?) رواه ابن أبي شيبة في الحج : في مسح المقام، مَن كرهه؟ (8/714-برقم/15754).

3 (?) (الاعتصام) للشاطبي (2/9).

4 (?) أخرجُ الإمامُ مسلم (ح/532).

5 (?) رواه الإمام أحمد (ح/3609، 3929).

نـزل برسـول اللـه طفِـقَ يطـرح خميصـةً لـه على وجهه، فـإذا اغتمّ بهـا كشـفها عن وجهـه، فقـال وهـو كذلك: «لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبـورَ أنبيائهم مساجد» يحذّر ما صنعوا. قـالت عائشـةُ ل : ولـولا ذلـك: لأُبـرِزَ قـبرُه، غـير أنـه خشـي أن يُتخـذا مسجداً»[1].

4- ما سبق من أن علياً قال لأبي الهيـاج الأسـدي: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسولُ الله ؟ لا تدع تمثالاً إلا طمستَه، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[2].

5- ما رواه جابرُ بن عبد الله – رضي الله عنهما - قـال : نهى رسولُ الله أن يُجصص القبر، وأن يُقعد عليـه، وأن يُبنى عليه[3].

ومعنى اتخـاذ القبـور مسـاجد : بنـاءُ المسـاجد عليهـا، ويدخل فيه أيضاً جعلُها مكاناً للصـلاة ولـو لم يُبنَ عليهـا أو بينها مسـجد، وهـذا يشـملُ السـجودَ على القـبر، والصـلاةَ إليـه، وجعلَـه في قبلـة المصـلي، وقصـدَ الصـلاة والـدعاء والذكر عنده.

وقــد وردت أحــاديثُ فيهــا النصُّ على النهي عن هــذه الأمور بخصوصها، ومنها :

1- ما رواه أبو مرثد الغنوي عن النبي أنـه قـال : «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»[4].

2- ما رواه أبو سعيد الخدري أن رسولَ الله نهى أن يُبنى على القبور، أو يقعد عليها، أو يصلى عليها[5].

---

[1] (?) متفق عليه، رواه البخاري (ح/435، 436)، ومسلم (ح/529، 531).

[2] (?) رواه مسلم (ح/969).

[3] (?) رواه مسلم (ح/970).

[4] (?) رواه مسلم (ح/972).

[5] (?) رواه الطبراني في الكبير (ح/12051، 12168) من طريقين، وقد صححه بمجموعهما الشيخ الألباني في (تحذير الساجد) (ص/23).

3- ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما - مرفوعــاً: «لا تصلوا إلى قبر، ولا تصلوا على قبر»[1].

وورد في الأحاديث أيضاً النهيُ عن اتخاذ قبره عيــداً، والعيــدُ المكــانيُّ هــو المكــانُ الــذي يُقصــد الاجتمــاع فيــه وانتيابُه للعبادة.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي أنه قـال : «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قـبري عيـداً، وصـلوا عليّ فإن صلاتَكم تبلغني حيث كنتم»[2].

وإذا كان هذا في حق قبره الذي هو أفضلُ قبرٍ على وجه الأرض : فكيف بقبر غيره من البشر.

---

1 (?) رواه أبو يعلى (ح/1020)، وابن ماجه (ح/1562)، وإسناد أبي يعلى صحيح، رجاله رجال مسلم، وقد صححه الشيخ الألباني في (أحكام الجنائز) (ص/264).

2 (?) رواه أحمد (2/367)، وأبو داود (ح/2042) بإسناد حسن، وقد حسنه الحافظ ابن عبد الهادي وابن حجر وغيرهما.

المبحث الثالث : في الشرك الأصغر :

وهو كل ما كان فيه نوع شرك، لكنه لم يصل إلى درجة الشرك الأكبر.

وهو كبيرةٌ من كبائر الذنوب، بل هو من أكبر الذنوب بعد نواقض التوحيد، كما أن هذا الشركَ قد يعظم حتى يؤول بصاحبه إلى الشرك الأكبر، فصاحبُه على خطرٍ عظيم من أن يؤدي به الوقوعُ في الشرك الأصغر إلى الخروج من دين الإسلام.

وللشرك الأصغر أنواع كثيرة، منها :

النوع الأول : الشرك الأصغر في العبادات القلبية :

ومن أمثلة هذا النوع :

1- الرياء : وهو أن يُظهِر الإنسانُ العملَ الصالحَ للآخرين أو يحسِّنُه عندهم، أو يَظهَر عندهم مندوب إليه ليمدحوه ويَعظُمَ في أنفسِهم.

وقد وردت أدلةٌ كثيرةٌ تدل على تحريم الرياء وعِظَمِ عقوبة فاعله، وأنه يُبطلُ العملَ الذي يصاحبُه، منها حديثُ محمود بن لبيد مرفوعاً : إن أخوف ما أخاف عليكم : الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشركُ الأصغر يا رسولَ الله ؟ قال: «الرياء، يقول الله لهم يوم القيامة إذا جُزِيَ الناسُ بأعمالهم : اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، هل تجدون عندهم جزاءاً ؟!»[1].

فينبغي للمسلم البعد عن الرياء، والحذر من الوقوع فيه، وذلك بتقوية الإيمان في القلب، والتزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة، والإكثار من الالتجاء إلى الله تعالى ودعائه أن يعيذه من شر نفسِه ومن شرور الشيطان ووساوسه، وأن يرزقه الإخلاص، وكذلك بتذكر العقوبات الأخروية العظيمة التي تحصل للمرائي، والتفكّر في حقارة المرائي، وفي حقيقة مَن يرائي لأجله، من كونه لا يملك له شيئاً من النفع أو الضر.

2- أن يعمل الإنسانُ العبادةَ المحضةَ ليحصل على

---

[1] (?) رواه أحمد (5/428، 429)، والبغوي (4135) بإسناد حسن.

مصـلحةٍ دنيويـةٍ مباشـرة، وفي الحـديث : «إنمـا الأعمـالُ بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نـوى، فمَن كـانت هجرتُـه إلى اللــه ورســولِه : فهجرتُــه إلى اللــه ورســولِه، ومَن كــانت هجرتُه إلى دنيا يصيبُها أو امرأة ينكحهـا : فهجرتُـه إلى مـا هاجر إليه»[1].

وفي حـديث أبي هريـرة مرفوعـاً : «مَن تعلم علمـاً مما يُبتغى به وجهُ الله، لا يتعلمه إلا ليصيبَ بـه عرضـاً من الدنيا : لم يجد عَرَف الجنة»، يعني : ريحَها[2].

3- الاعتماد على الأسباب :

والواجبُ هو استعمالُ الأسباب المشـروعةِ الـتي ثبتَ نفعُها بالشرع أو التجربـة الصـحيحة، مـع توكلـه على اللـه تعالى، واعتقادِ أن هذا الأمرَ إنما هو مجـرد سـبب، وأنـه لا أثر له إلا بمشيئة الله تعـالى، إن شـاء نفـع بهـذا السـبب، وإن شاء أبطلَ أثرَه، والمؤمنُ مـأمورٌ بفعـل السـبب، مـع التوكل على مسَبِّبِ الأسباب .

4- التطيّـر : وهــو التشــاؤم بمــرئي أو مســموع أو غيرهمــا، وقــد ثبت عن النــبي أنــه قــال : «الطــيرة شرك»[3].

النــوع الثــاني من أنــواع الشــرك الأصــغر : الشرك في الأفعال :

ومن أمثلة هذا النوع :

1- الرقى الشركية :

الرقى : الأمور التي يعوَّذ بها لرفع البلاء أو دفعِه.

والرقى التي يفعلُها الناسُ تنقسم إلى نوعين :

النوع الأول : الرقى الشـرعية : وهي الأذكـار من القرآن الكـريم والأدعيـة والتعويـذات الثابتـة في السـنة، أو الأدعيــة الأخــرى المشــروعة الــتي يقرؤهــا الإنســانُ على

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/1)، ومسلم (ح/1907).

2 (?) رواه أحمد (2/338)، وأبو داود (ح/3664)، وابن حبان (ح/78) بإسناد حسن. وتفسيرُ العرف بالريح هو من تفسير بعض رواة الحديث.

3 (?) رواه أحمد (ح/3687-تحقيق شاكر)، وأبو داود (ح/3910)، والترمذي (ح/1614)، وابن حبان (6122)، وإسناده صحيح.

نفسه، أو يقرؤها عليه غيرُه؛ ليعيذه الله تعالى من الشــرور بأنواعها.

وهـذه الرقيـةُ جـائزة بـل مسـتحبة بشـرط أن يعتقـد الراقي والمـرقي أن الرقيـةَ لا تـؤثر بـذاتها، وأن لا يعتمـد عليها المرقي بقلبه، وأن يعتقد أن النفعَ إنما هــو من اللــه تعــالى، وأن هــذه الرقيــة إنمــا هي ســبب من الأســباب المشروعة، كمـا يشـترط أن لا تكـون من سـاحر أو متهمٍ بالسحر.

النوع الثاني : الرقى المحرمة :

ومنها : الرقى الشركية، وهي الـرقى الـتي يعتمـد فيهـا الــراقي أو المــرقي على الرقيــة، فــإن اعتمــد عليهــا مــع اعتقاده أنهـا سـببٌ من الأسـباب، وأنهـا لا تسـتقل بالتـأثير: فهذا شرك أصغر، وإن اعتمد عليها اعتماداً كلياً حتى اعتقـدَ أنها تنفع من دون الله تعالى، أو تضـمنت صـرفَ شـيء من العبادة لغير الله تعالى، كالدعاء، أو الاستعاذة بمخلوقٍ فيمـا لا يقدر عليه إلا الله تعالى : فهو من الشرك الأكبر المخــرج من الملة.

والدليل على تحريم جميع الـرقى الشـركية: قولُـه : «إن الرقى والتمائم والتِّوَلَة: شرك»[1].

وما روى عوفُ بنُ مالك الأشجعي قـال : كنـا نـرقي في الجاهلية، فقلنا : يا رسول الله، كيف تـرى في ذلـك ؟ فقال : «أعرضوا عليَّ رُقاكم، لا بأس بـالرقى مـا لم يكن فيه شرك»[2].

2- التمائم الشركية :

التمائم في اللغة : جمع تميمة، وهي في الأصل خرزة كانت تعلَّق على الأطفـال، يتقـون بهـا من العين ونحوِهـا،

---

1 (?) رواه الإمام أحمد (1/381)، وأبو داود (3883)، وابن ماجه (3530)، وابن حبان (6090) وغيرهم من طرق عن ابن مسعود ، وهو صحيح بمجموع طرقه، وأوله : أن ابن مسعود دخلَ على زوجته، فرأى في عنقها خيطاً فقال : ما هذا الخيط ؟ قالت : خيطٌ رقي لي فيه، فأخذه وقطعه، ثم قال : إن آلَ عبد الله لَأغنياء عن الشرك، سمعتُ رسولَ الله يقول : «إن الرقى...».

2 (?) رواه مسلم (ح/2200).

وكأنّ العرب سموها بهذا الاسم لأنهم يريدون أنها من تمام الدواء والشفاء المطلوب.

وفي الاصطلاح : هي كل ما يُعلّق عل المرضى أو الأطفال أو البهائم أو غيرها من تعاويذ لدفع البلاء أو رفعه.

ومن أنواع التمائم : الحجب والرقى التي يكتبها بعضُ المشعوذين، ويكتبون فيها طلاسم وكتاباتٍ لا يُفهم معناها، وغالبها شركٌ واستغاثات بالشياطين – وتُعلق على الأطفال أو على البهائم أو على بعض السلع أو أبواب البيوت، يزعمون أنها سببٌ لدفع العين، أو أنها سببٌ لشفاء المرضى، وهذه كلها محرمة، وهي من الشرك؛ لقوله : «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»، ولقوله : «مَن علّقَ تميمةً فقد أشرك»[1]، فهي من الشرك لأنهم ظنوا أن لغير الله تعالى تأثيراً في الشفاء.

لكن إن اعتقد مُتَّخِذُها أنها تنفع بذاتها من دون الله تعالى : فهو شرك أكبر، وإن اعتقدَ أن الله تعالى هو النافعُ وحده، لكن تعلّق قلبُه بها في دفع الضر : فهو شرك أصغر؛ لاعتماده على الأسباب.

النوع الثالث : الشرك الأصغر في العبادات القولية :

ومن أمثلة هذا النوع :

1- الحلف بغير الله تعالى :

اليمين عبادة من العبادات التي لا يجوز صرفُها لغير الله، فيحرم الحلفُ بغيره تعالى؛ قال : «ألاَ إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، مَن كان حالفاً : فليحلف بالله، وإلا فليصمت»[2].

فمَن حلف بغير الله، سواء كان نبياً، أو ولياً، أم الكعبة، أم غيرها : فقد ارتكبَ كبيرةً من كبائر الذنوب،

---

1 (?) أخرجه الإمام أحمد (4/156)، والحاكم (4/219) بإسناد حسن، من حديث عقبة بن عامر ، وله شواهد كثيرة.

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6108)، ومسلم (ح/1646).

ووقع في الشـرك؛ لقولـه : «مَن حلـفَ بغـير اللـه: فقـد كفرَ أو أشرك»[1].

ولأن الحلفَ فيه تعظيمٌ للمحلوفِ به، فمَن حلفَ بغـير الله تعالى كائناً من كان : فقد جعله شريكاً للـه في هـذا التعظيم الذي لا يليق إلا به سبحانه وتعالى.

وهذا من الشرك الأصغر إن كان الحـالفُ إنمـا أشـرك في لفظ القسم لا غير، وأما إن كان الحالفُ قصـدَ بحلفـه تعظيمَ المخلوق الذي حلف به كتعظيم اللـه تعـالى: فهـذا شرك أكبر والعياذ بالله تعالى.

2- التشـريك بين اللـه تعـالى وبين أحـد من خلقه بـالواو :

العطـفُ بـالواو يقتضـي مطلـق الجمـع بين المعطـوف والمعطوف عليه، ولذلك فإنه يَحرُم العطفُ بها بين اللـه وبين أحدٍ من خلقه في أي أمرٍ من الأمور التي يكون للمخلوق فيها دخلٌ في وقوعها، كأن يُقال : ما شاء اللـه وشـئت، أو يقـال : هذا من بركات الله وبركاتِك، أو يُقال : ما لي إلا الله وأنت، أو يقال : أرجو الله وأرجوك، ونحو ذلـك، فمَن تلفـظ بأحـد هـذه الألفاظ أو ما يشبهها : فقـد وقـع في الشـرك، والـدليل قولـه تعــالى : [البقــرة: 22]، قال ابنُ عباس - رضـي اللـه عنهمـا -: «الأنـداد هـو الشـرك، أخفى من دبيب النمـل على صـفاةٍ سـوداء في ظلمـة الليـل، وهو أن يقول : والله وحياتك يا فلانـة، وحيـاتي، ويقـول : لـولا كلبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البطُّ في الـدار لأتى اللصـوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لـولا الله وفلان»[2].

وروت قتيلة بنت صيفي – رضي اللـه عنهـا - أن يهوديـاً أتى النبيَّ فقال : «إنكم تندِّدون، وإنكم تشركون، تقولـون : ما شاء الله وشئت، وتقولون : والكعبة»، فأمرَهم النـبيُّ

---

[1] (?) رواه الإمام أحمد (329، 4904، 5375) – تحقيق شاكر – وأبو داود (ح/3251)، والترمذي (1535)، وابن حبان (ح/4358) وغيرهم، وإسناده صحيح،رجالُه رجال مسلم.

[2] (?) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره لهذه الآية (رقم/230)، وسنده حسن.

إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : وربِّ الكعبة، ويقولون : مـا شاء الله ثم شئت[1].

وعن ابن عبـاس – رضـي اللـه عنهمـا - أن رجلاً قـال للنبي : ما شاء اللـه وشـئت، فقـال النـبيُّ : «أجعلتـني لله نِدّاً ؟! بل ما شاء الله وحده»[2].

---

1 (?) رواه أحمد (6/371، 372)، والنسائي (3782)، والطحاوي في مشكل الآثار (328) من طريقين أحدهما صحيح، وقد صححه الحافظ في (الإصابة) (4/378).

2 (?) رواه أحمد (1/214)، والبخاري في (الأدب المفرد) (ح/783)، وسنده حسن.

الفصل الثاني : الكفر :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بيان حقيقة الكفر :

أولاً : تعريف الكفر لغة :

الكفر لغة هو الستر والتغطية، والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفُرُ البَذْرَ المبذورَ في الأرض بتراب الأرض التي أثارها، ومنه قول الله ﷻ: ﴿[illegible]﴾ [الحديد: 20]، قال لبيد :

يعلو طٍريقة متنها * في ليلةٍ كفَرَ النجومَ

ثانياً: تعريف الكفر اصطلاحاً:

الكفر في اصطلاح الشرع نقيضُ الإيمان، وهو عند كل طائفة مقابل ما فُسِّر به الإيمان، والجميع متفقون على أنه عدم الإيمان بالله تعالى، سواء اعتقد نقيضَه وتكلم به، أو لم يعتقد شيئاً ولم يتكلم.

ومذهبُ أهل السنة والجماعة : أنه كما أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، فكذلك الكفر يكون بالقول والعمل والاعتقاد.

ولا يصح حصرُ الكفر في الجهل والتكذيب القلبي، كما ذهبَ إلى ذلك كثيرٌ من المتكلمين الذين وقعوا في الإرجاء، ففسّروا الإيمانَ بأنه مجرد المعرفة والتصديق، فحصروا الكفرَ في الجهل والتكذيب القلبي، وأنكروا أن تكون الأقوال والأفعال مكفِّرة، وهذا خطأ من وجوه عديدة.

فالصحيح هو ما ذهبَ إليه أهلُ السنة والجماعة، من أن الكفرَ يحصل بالاعتقاد، والقول، والفعل.

المبحث الثاني
في بيان أنواع الكفر

ينقسم الكفر باعتبارات متنوعة إلى أقسام عديدة، وأبرز هذه الاعتبارات هي :

الأول: أقسامه باعتبار حكمه.

الثاني: أقسامه باعتبار بواعثه وأسبابه.

الثالث: أقسامه باعتبار كونه طارئاً أم أصلياً.

وفيما يلي تفصيل هذه التقسيمات:

التقسيم الأول: أقسامه باعتبار حكمه:

ينقسمُ الكفر باعتبار حكمه إلى قسمين:

القسم الأول: كفر أكبر، مخرج من الملة، وهو مضادٌ لأصل الإيمان، وموجب للخلود في النار، ويشمل أنواعاً كثيرة سيأتِي بيانها في التقسيم الثاني إن شاء الله تعالى .

القسم الثاني: كفر أصغر، وهو يضاد كمال الإيمان الواجب، ويضاد الشكر الذي هو العمل بالطاعة، وهو موجب لاستحقاق الوعيد، ولا يُخرجُ من الدين، والمعاصي كلها من هذا النوع، كما سمَّى الله تعالى ورسولُه ﷺ بعضَها كفراً.

وهذا النوع يسمى بالكفر الأصغر، وبـ(كفر دون كفر)، و(كفر النعمة)، وكلا القسمين يطلق عليهما مسمى الكفر.

وقد بوب الإمام البخاري : في صحيحه ثلاثة أبواب متتالية توضح هذا التقسيم، وهي[1]:

أولها: «باب كفران العشير، وكفر دون كفر».

والثاني: «باب: المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا الشرك».

والثالث: «باب: ﴿[illegible]﴾ [الحجرات: 9]، فسماهم المؤمنين».

وأورد تحت هذه الأبواب من النصوص ما فيه إيضاح لهذا التنوع في إطلاق الكفر[2].

---

1 (?) انظر: صحيح البخاري مع الفتح (1/104-106): كتاب الإيمان.

2 (?) انظر: الأحاديث (29-31).

كما أن الإمام مسلماً أورد نصوصاً كثيرة تدل على إطلاق الكفر على المعاصي[1]، ومن النصوص التي ورد فيها إطلاقُ الكفر على المعاصي :

1- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما - قال : قال النبيُّ ﷺ : «أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلها النساءُ؛ يكفرن»، قيل : أيكفرن بالله ؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ، ثم رأت منكَ شيئاً، قالت: ما رأيتُ منكَ خيراً قط»[2]، أي: يجحدن إحسان أزواجهن.

2- وحديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «لا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَهُوَ كُفْرٌ»[3].

3- وحديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال : «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[4].

4- وقوله تعالى– وكان مما يُتلى فنسخ لفظه -: «لا تَرغبوا عن آبائكم؛ فإنه كفرٌ بكم»[5].

5- وحديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اثنتان في أمتي هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحةُ»[6].

6- وحديث أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال : «مَن أتى امرأةً في دبرها: فقد كفر بما أنزل على محمد»[7].

7- وحديث أبي هريرة ﷺ أيضاً أن النبيَّ ﷺ قال: «من أتى كاهناً أو عرَّافاً فصدقه بما يقول: فقد كفر بما أنزل

---

1 (?) صحيح مسلم (الأحاديث: 60-73).

2 (?) رواه البخاري (ح/29)، ومسلم (ح/907).

3 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/6768)، ومسلم (ح/62).

4 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/48، 6044، 7076)، ومسلم (ح/64).

5 (?) متفق عليه، رواه البخاري (ح/6768)، ومسلم (ح/62).

6 (?) رواه مسلم في الإيمان، باب إطلاق اسم الكفر على الطعن (ح/67).

7 (?) رواه الترمذي (ح/135)، وابن ماجه (ح/639)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (ح/639).

الله على محمد»[1].

8- وقوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضُكم رقابَ بعض»[2].

وهذا تأويل ابن عباس وعامةِ الصحابة – رضي الله عنهم - في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [المائدة: 44] ، قال ابن عباس: ليس بكفر ينقل عن الملة، بل إذا فعله فهو به كفر، وليس كمن كفر بالله واليوم الآخر[3].

وهذا التنوع كان معلوماً للصحابة ي، ولذلك كانوا يستفسرون حين يوردُه الشارع ولا يفهمون مرادَه، ولهذا فإنه لَمـّا أخبر النبيُّ ﷺ بأن أكثر أهل النار النساء[4]؛ لأنهن يكفرن العشير: سأله أصحابُه عن نوع هذا الكفر، فقالوا: يكفرن بالله ؟ فبين لهم النبيُّ ﷺ مرادَه بالكفر هنا، وأنه كفران العشير – أي: الزوج –.

فلم يحملوا ﷺ الكفرَ على ظاهره حين سمعوه منه ﷺ، ولم ينكر النبيُّ ﷺ على الصحابة تثبُّـتَهم وسؤالَهم عن معنى الكفر وفهم المراد به.

وهناك فروق بين الكفر الأكبر والكفر الأصغر، أهمُّها هي:

1- أن الكفر الأكبرَ يُخرج من الملة، ويُحبط الأعمال، والكفر الأصغرُ لا يُخرج من الملة، ولا يُحبط الأعمال، لكن يُنقصِها بحسبه، ويُعرِّضُ صاحبَها للوعيد.

2- أن الكفرَ الأكبر يخلد صاحبَه في النار، والكفر الأصغر إذا دخلَ صاحبُه النار فإنه لا يخلد فيها، وقد يتوب الله على صاحبه، فلا يدخله النارَ أصلاً.

3- أن الكفر الأكبر يُبيح الدمَ والمال، بخلاف الكفر الأصغر.

---

1 (?) رواه أحمد (2/408)، والحاكم (1/8) عن أبي هريرة، وقال الحاكم: على شرطهما، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (ح/5939).

2 (?) متفق عليه، رواه البخاري (ح/1741)، ومسلم (ح/66).

3 (?) انظر: مدارج السالكين (1/587-589).

4 (?) الحديث رواه البخاري (ح/29) وسبق قريباً.

4- أن الكفر الأكبر يوجب العداوةَ الخالصةَ بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين محبته وموالاته ولو كان أقرب قريب، وأما الكفر الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقا، بل صاحبُه يُحَبُّ ويوالى بقدر ما فيه من الإيمان، ويُبغَض ويُعادى بقدر ما فيه من العصيان، والله تعالى أعلم.

التقسيم الثاني: أقسامه باعتبار بواعثه وأسبابه:

لما كانت صور الكفر متنوعة ومتعددة، لا سبيل إلى حصرها، ولا مطمع لناصح في التنبيه على أفرادها: اجتهد العلماءُ في ذكر أنواع الكفر العامة وأصوله الرئيسة، التي تنبعث عنها سائرُ صور الكفر، وترجع إليها كافةُ أفراده، فذكروا أن الكفرَ من هذه الحيثيةِ ينقسم إلى خمسة أنواع، وهي: كفر تكذيب، وكفر استكبار وإباء مع التصديق، وكفر إعراض، وكفر شك، وكفر نفاق، وتفصيلُها كما يلي :

فأما كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل [illegible] ، وهذا القسمُ قليلٌ في الكفار؛ فإن الله تعالى أيّدَ رسلَه [illegible] ، وأعطاهم من البراهين والآيات الدالّة على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة، قال الله تعالى عن فرعون وقومِه: [illegible] [النمل: 14]، وقال تعالى لرسوله [illegible] : [illegible] [الأنعام: 33].

وأما كفرُ الإباء والاستكبار مع التصديق : فنحو كفر إبليس؛ فإنه لم يجحد أمرَ الله، ولا قابلَه بالإنكار، وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار.

ومن هذا كفرُ مَن عرف صدقَ الرسل [illegible] ، وأنهم جاؤوا بالحق من عند الله، ولم يَنقد لهم إباءً واستكباراً، وهو الغالبُ على كفر أعداء الرسل، كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومِه: [illegible] [المؤمنون: 47]، وقول الأمم لرسُلِهم لإ: [illegible] [إبراهيم: 10]، وقوله تعالى: [illegible] [الشمس : 11].

وهو كفرُ اليهود، كما قال تعالى: [illegible]

﴿[illegible]﴾ **[البقرة: 89]** ، وقال: ﴿[illegible]﴾ [البقرة: 146].

وهو كفرُ أبي طالب أيضاً؛ فإنه صدَّق الرسولَ () ، ولم يشك في صدقه، ولكن أخذته الحميةُ وتعظيمُ آبائه أن يرغب عن ملتهم، ويشهد عليهم بالكفر.

وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول () ، لا يصدقُه ولا يكذبه، ولا يواليه ولا يعاديه، ولا يُصغي إلى ما جاء به البتة، كما قال أحدُ بني عبد ياليل للنبي () : «والله أقول لك كلمة؛ إن كنت صادقاً: فأنت أجلُّ في عيني من أن أردَّ عليك، وإن كنت كاذباً: فأنت أحقر من أن أكلمك».

وأما كفرُ الشك: فإنه لا يجزم بصدقه ولا بكذبه، بل يشك في أمره، وهذا لا يستمر شكُّه إلا إذا ألزم نفسَه الإعراض عن النظر في آيات صدق الرسول () جملة، فلا يسمعها ولا يلتفت إليها، وأما مع التفاته إليها، ونظرِه فيها: فإنه لا يبقى معه شك؛ لأنها مستلزمةٌ للصدق، ولاسيما بمجموعها؛ فإن دلالتَها على الصدق كدلالة الشمس على النهار.

وأما كفر النفاق: فهو أن يُظهر بلسانه الإيمان، وينطوي بقلبه على التكذيب، فهذا هو النفاقُ الأكبر[1].

التقسيم الثالث: أقسامه باعتبار كونه طارئاً أم أصلياً:

الكفر باعتبار كونه أصلياً أو طارئاً ينقسم إلى نوعين:

النوع الأول: الكفر الأصلي:

وهو كفر من لم يدخل في دين الإسلام أصلا، ولم يؤمن برسالة محمد ()، وهو ككفر المشركين، وأهل الكتاب، والمجوس، والدهريين، والفلاسفة، والصابئة، وغيرهم من أصناف الكفار.

النوع الثاني: الكفر الطارئ، وهو كفر الردة:

وهو كفـر من انتسـب إلى دين الإسـلام، ثم ارتـدَّ عنـه، قـــال تعـــالى: ﴿[illegible]

---

[1] (?) انظر: (مدارج السالكين) للإمام ابن القيم (1/591-593).

[illegible] [البقرة: 217].

والمرتد هو: الراجع إلى دينه الأول بعد دخوله في الإسلام، وسواء رجع إلى دينه أو إلى أي دين كان غير الإسلام: فإنه يطلق عليه اسم الردة.

وهذا الكفرُ يفارق الكفرَ الأصلي في أمور، منها : أن الرجل يُقَرُّ على الأصلي، فلا يُقتل أهلُ الصوامع والشيوخ، ولا تجبر المرأة على تركه، ولا يُقر على الطارئ، بل يُقتل؛ لقول النبي ﷺ : «مَن بدَّلَ دينَه فاقتلوه»[1].

---

[1] (?) أخرجه البخاري (ح/3017).

المبحث الثالث : ضوابط تكفير المعين :

الحكمُ بكفر رجلٍ مسلم هو من الخطورة بمكان، ولا ينبغي أن يتجاسَر عليه المسلمُ، وقد قرّر العلماء – بعد استقرائهم لنصوص الشرع – أن مَن ثبتَ له عقدُ الإسلام بيقين: لم يُحكَم له بالخروج منه إلا بيقين[1].

وقال أبو حامد الغزالي: والذي ينبغي: الاحترازُ عن التكفير ما وجد إليه سبيلاً؛ فإن استباحةَ دماء المصلين، المقرين بالتوحيد : خطأ، والخطأُ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلمٍ واحد[2].

فـلا ينبغي مبادرة الفاعل بالتكفير إلا بعد أن تقيم له الحجج والبراهين على أن ما عملَه هو الشركُ الأكبرُ، وذلك لغلبة الجهل على الناس، واندثارِ علوم الشريعة النافعة في المجتمعات الإسلامية، ولاسيما علم التوحيد، وما أكثر ما وقع الجهال والعوام -حتى بعض مَن يدعي العلم– في حمأة الشرك الأكبرِ بصرف العبادة لغير الله تعالى، من الأنبياء والصالحين، وغيرهم، يؤيدهم في ذلك ويشجعُهم بعضُ المنتسبين إلى علم الدين، سابكاً ذلك في قالَب حب الصالحين، فعلى العلماء أن يهتموا بنشر التوحيد بين الأنام، وبيان محاسنه، وتقبيح الشرك وتهجينه والتحذير منه، ومن البدع والمحدثات، وإلا فقد دخلوا تحت قوله تعالى: [illegible][3].

وعن عياض بن حمار [illegible] عن رسول الله [illegible] أنه قال: «إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحد، ولا يبغي أحدٌ على أحد»[4]، ولا شك أن أعظم البغي على المسلم تكفيرُه.

---

1 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال (8/585)، ونقله بالمعنى الحافظ في الفتح (12/314).

2 (?) نقله الحافظُ ابن حجر في (الفتح) (12/314)، وعزاه لكتاب التفرقة بين الإيمان والزندقة.

3 (?) تطهير المجتمعات من أرجاس الموبقات للشيخ آل بوطامي (ص/138).

4 (?) أخرجه مسلم (ح 2865).

وقد عقد الإمامُ البخاريُّ في كتاب الأدبِ من صحيحه باباً بعنوان: «باب ما يُنهى عن السباب واللعن»، وأوردَ فيه أحاديث منها:

1-حديث أبي ذر أنه سمع النبيَّ يقول: «لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر: إلا ارتدّت عليه إن لم يكن صاحبُه كذلك»[1].

2-حديث ثابت بن الضحاك أن رسول الله قال: «مَن حلف على ملةٍ غيرِ الإسلام كذباً: فهو كما قال... ومن لعن مؤمناً فهو كقتله، ومن قذَفَه بكفر فهو كقتله»[2].

بل عقدَ فيه باباً بعنوان: «باب مَن أكفَر أخاه بلا تأويل فهو كما قال»، وأوردَ فيه أحاديث منها:

1- حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما - أن رسول الله قال: «أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باءَ بها أحدُهما»[3].

2- حديث أبي هريرة أن رسول الله قال: «إذا قال الرجلُ لأخيه يا كافر: فقد باءَ بها أحدُهما»[4].

قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث أبي ذر السابق – بعد أن ذكر أقوالاً كثيرة في المراد من قوله : «ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه» قال :

«وأرجح من الجميع أن من قال ذلك لمن يُعرف منه الإسلام، ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر: فإنه يكفر بذلك كما سيأتي تقريرُه، فمعنى الحديث: فقد رجعَ عليه تكفيرُه، فالراجعُ التكفيرُ لا الكفر، فكأنه كفَّرَ نفسَه لكونه كفَّر مَن هو مثلُه، ومَن[5] لا يكفِّرُه إلا كافرٌ يعتقد بطلانَ دين الإسلام»[6].

---

1 (?) صحيح البخاري (ح6045).

2 (?) صحيح البخاري (ح6047).

3 (?) سبق تخريجه.

4 (?) صحيح البخاري (ح6103).

5 (?) أي : ولكونه كَفَّرَ مسلماً لا يكفِّرُ مثلَه إلا كافرٌ يعتقدُ بطلانَ دين الإسلام.

6 (?) فتح الباري (10/481).

وقد عدّ بعضُ العلماء تكفيرَ المسلم من المكفِّرات المناقضة للإيمان، وذلك لما وردَ في ذلك من التحذير الشديد، كما سبق في هذه الأحاديث.

فالواجبُ في هذا الباب هو الحذر الشديدُ من التسرع في التكفير، والعصمةُ في ذلك بإذن الله تعالى هو اتباعُ منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وقد بين أهلُ السنة والجماعة لذلك ضوابط مستنبطة من نصوص الشرع، وهي :

أولاً: الفرق بين تكفير المعيَّن والتكفير المطلق:

التكفير عند أهل السنة على نوعين: تكفير المعين و التكفير المطلق:

أما تكفير المعين : فهو وصف شخص ما لعمل قام به أو قول قاله بأنه كافر، وهذا لا يجوز إلا بشروط، وانتفاء موانع، وسنذكر كل ذلك.

أما التكفير المطلق : فهو إطلاق الكفر على الفعل أو القول أو الاعتقاد وعلى فاعل ذلك على سبيل الإطلاق، وهذا النوع قد ورد في الشرع إطلاقه، فنطلقه كما أطلقه الشارع، فيقال مثلاً: من اعتقد أن الله ليس فوق السماء: فهو كافر، أو آكل الربا ملعون، وشارب الخمر ملعون، ونحو ذلك مما أطلقه الشارع.

ومن هذا الجنس ما يطلقه العلماء والأئمة من تكفير أصحاب البدع، مثل القدرية، والجهمية، ونحوهم، فيتعلق الحكم بالعموم أو بالفعل، ولا يتعلق بالشخص المعين، فلا يحكم بكفره إلا بتحقق شروط وانتفاء موانع.

فلا يبادَر المعين بالتكفير حتى تورد له الحجج، وتقوم عليه الحجة على أن هذه الأعمال عبادة وصرفها لغيره شرك بالله رب العالمين، فإن أصر بعد ذلك على أعماله المنافية للإسلام: فعند ذلك يحكم عليه بالشرك.

وهذا التفريقُ بين التكفير المطلق وبين تنزيله على شخص معيَّن : تدل عليه أدلة الكتاب والسنة، ومنها :

ما رواه البخاريُّ عن عمر بن الخطاب أن رجلاً كان على عهد النبي اسمه عبد الله، وكان يلقب حماراً، وكان

يُضحِك النبي ﷺ، وكان النبي قد جلده في الشراب فأتي به يوما، فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: «اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: لا تلعنوه فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله»[1].

«فنهَى النبيّ ﷺ عن لعنه مع إصراره على الشرب؛ لكونه يحب الله ورسوله، مع أنه ﷺ لعنَ في الخمر عشرة، لعن الخمر، وعاصرها، وشاربَها، وساقيها، وحاملَها، والمحمولةَ إليه، وبائعَها، ومبتاعَها، وآكل ثمنها[2]، ولكن لعن المطلق لا يستلزم لعن المعين الذي قام به ما يمنع من لحوق اللعنة به، وكذلك التكفير المطلق والوعيد المطلق، ولهذا كان الوعيد المطلق في الكتاب والسنة مشروطاً بثبوت شروط وانتفاء موانع»[3].

وقد ورد عن إبراهيم النخعي : أنه قيل له: ما ترى في لعن الحجاج؟ فقال: ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾ [هود: 18].

وسئل الإمام أحمد قيل له: الرجل يذكر عنده الحجاج أو غيره فيلعنه، قال: «لا يعجبني، لو عبّر فقال: ﴿[illegible]﴾ ».

ومثله ورد عن الحسن البصري، وابن سيرين- رحمهم الله تعالى-[4].

فهذه الأدلة والروايات تدل على أن التكفير المطلق لا يستلزم التكفير المعين.

ومن هذا الجنس اللعن، فلا يجوز لعنُ إنسانٍ بعينه حتى يُعرف بالنص أنه ملعونٌ بعينه، أو يموت علَى الكفر، وقد اتفق العلماءُ على تحريم اللعن؛ فإنه في اللغة:

---

1 (?) البخاري (ح 6780).

2 (?) أخرجه أحمد (2/25)، وأبو داود (ح3674)، والترمذي (ح/1318)، وابن ماجه (ح/3381)، والطبراني في الأوسط (2/93ح/ 1355)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي.

3 (?) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (10/329-330).

4 (?) انظر: السنة للخلال (1/522- 523).

الإبعاد والطرد، وفي الشرع: الإبعاد من رحمة الله تعالى، فلا يجوز أن يُبعد من رحمة الله تعالى مَن لا يُعرف حالُه وخاتمةُ أمرهِ معرفةً قطعيةً، فلهذا قالوا: لا يجوز لعنُ أحدٍ بعينه مسلماً كان أو كافراً أو دابة إلا مَن علمنا بنص شرعي أنه مات على الكفر، أو يموت عليه، كأبي جهل، وإبليس.

وأما اللعنُ بالوصف: فليس بحرام، كلعن الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة[1] .... وآكل الربا وموكله[2]، والمصورين[3]، والظالمين والفاسقين والكافرين، ولَعْن مَن غيّرَ منارَ الأرض[4]، ومَن تولى غير مواليه[5]، ومَن انتسب إلى غير أبيه[6]، ومَن أحدث في الإسلام حدَثاً، أو آوى محدِثاً، وغير ذلك مما جاءت به النصوصُ الشرعية بإطلاقه على الأوصاف، لا على الأعيان، والله أعلم»[7].

ومن أَهَمِّ آثار هذا التفريق : أن الشيءَ قد يكون كفراً ولكن صاحبَه لا يكفر، وهذه قاعدةٌ غفلَ عنها البعضُ فوقعوا في مأزقٍ خطير، حيث حكموا على فاعلِ كلِّ ما يُعتَبَرُ كفراً : بأنه كافر، أو حكموا على ما هو كفرٌ صريحٌ بأنه ليس كفراً؛ فراراً من الحكمِ على فاعله بالكفر، وهذا ناشئٌ من اعتقاد

---

1 (?) ورد ذلك في حديث ابن عمر ب، أخرجه البخاري (ح/5940)، ومسلم (ح/2124).

2 (?) كما وردَ في حديث جابر بن عبد الله ب الذي أخرجه مسلم (ح/1598).

3 (?) كما وردَ في حديث أبي جحيفة ط، أخرجه البخاري في مواضع، منها (ح/5347).

4 (?) أخرجه مسلم (ح1978) من حديث أبي الطفيل عن علي مرفوعاً.

5 (?) كما وردَ ذلك في حديث علي – رضي الله عنه - ، أخرجه البخاري (ح/3172)، ومسلم (ح/1370).

6 (?) ورد في بعض روايات حديث علي المتقدم: «..ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين...»، صحيح مسلم (ح/1370).

7 (?) من كلام النووي : في شرحه على صحيح مسلم (2/67).

أن الحكمَ على شيءٍ ما بأنه كفرٌ يستلزمُ أن يكون فاعلُه المعيَّنُ كافراً، وكلا الأمرين خطأ، والصواب أن لا يُحكم على كلِّ مَن صدر عنه المكَفِّرُ بأنه كافر، كما أنه لا يُحجَمُ عن وصف الفعل الذي تدل النصوصُ على أنه كفرٌ بوصفه الذي يستحقُّه.

ثانياً: شروط تكفير المعين:

سبق في الفقرة الأولى أن تكفير المعين لا بد فيه من توفر شروط، وانتفاء الموانع، وسأذكر الشروطَ هنا، بينما سيأتي بيان ذكر الموانع في الفقرة الثالثة -إن شاء الله تعالى-.

الشرط الأول:

أن يظهر من قوله أو فعله ما يدل على المعنى الكفري، ويلتزمَه:

لا بد من اعتبار النيةِ في المكفرات، وكذلك بمطابقة القصدِ لِلَّفظ؛ لأن الإسلام إذا ثبت لأحد لا يجوز إخراجه منه بالظن والتهمة، أو تحميل كلامه فوق ما يحتمل؛ لأن ذلك كله مما لا يجوز به الحكم بالكفر على الشخص المعين، وهو في ذلك مثل الحدود الشرعية: لا تثبت على الإنسان إلا بالاعتراف أو الشهود.

كما أن لازم المذهب ليس بمذهب، فإذا قال مسلمٌ قولاً ولزم منه الكفر، كمن أنكر: أن الله تعالى فوق السماء، أو نفى الصفات عن الله تعالى، فإن لازم ذلك تكذيب الله تعالى ورسوله ، بل لازم ذلك نفيُ وجوده، وهذا كفر بَيِّنٌ، ولكن لا يُحكم على الشخص بالكفر ما لم يبين له ذلك ويلتزمه؛ لأن الإنسان قد يقول المقالةَ وهو ذاهلٌ عن لازمها، بل لا يقصده، بل ربما يكون يقصد نقيضَه، كمن أراد أن ينزه الله في زعمه عن المكان فيقول: هو في كل مكان، فإن لازم ذلك أنه لا ينزّهه عن مكان طيب أو خبيث، وهذا كفر، لكن من قال هذه المقالةَ فإنه لا يقصد ذلك.

الشرط الثاني: قيام الحجة ووضوحُها:

لا يثبت الكفرُ على المعين ما لم تقم عليه الحجة التي إن خالفها كفر، فتكفير الشخص المعين وجواز قتله

موقوف على أن تبلغه الحجة التي يكفر من خالفها، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر، ولهذا لما استحل طائفةٌ من الصحابة والتابعين -كقدامة بن مظعون وأصحابه- شربَ الخمر، وظنوا أنها تباح لمن عمل صالحاً على ما فهموه من آية المائدة[1]: اتفق علماء الصحابة كعمر وعلي وغيرهما على أنهم يُستتابون، فإن أصروا على الاستحلال كفروا، وإن أقروا به جلدوا[2]، فلم يكفروهم بالاستحلال ابتداءً؛ لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق، فإذا أصروا على الجحود كفروا.

وقد ثبت في الصحيحين حديث الذي قال لأهله: «إذا أنا مت فاسحقوني ثم ذُرُّوني في اليم، فو الله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً من العالمين، فأمر الله البر فردّ ما أخذ منه، وأمر الله البحرَ فردّ ما أخذ منه، وقال: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك يا رب، فغفر له»[3].

فهذا اعتقد أنه إن فعل ذلك لا يقدر الله تعالى على إعادته وأنه لا يعيده، وجوّز ذلك وكلاهما كفر، لكنه كان جاهلاً لم يتبين له الحق بياناً يكفر بمخالفته، فغفر الله له»[4].

فاتضح من هذا أن القول قد يكون كفراً، ويطلق القول بتكفير صاحبه ويقال: من قال كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد،

---

1 (?) هي قولـه تعـالى: [illegible] [سورة المائدة، الآية (96)].

2 (?) سيأتي بيان هذه القصة عند ذكر موانع التكفير – بإذن الله تعالى -.

3 (?) أخرجه البخاري (ح6480)، ومسلم (ح/2756).

4 (?) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (الرد على البكري) (ص/259، 260 المطبعة السلفية).

فإن الله تعالى يقول: [illegible] [النساء: 10].

فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، لكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار، بجواز أنه لا يلحقه الوعيد لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب من فعل المحرم، فقد تكون له حسنات عظيمة تمحو عقوبة ذلك المحرم، وقد يُبتلى بمصائب تكفر عنه، وقد يشفع فيه شفيع مطاع.

وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، وقد يكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد يكون عرضت له شبهات يعذره الله تعالى بها، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ فإن الله تعالى يغفر له خطأه كائناً ما كان، سواء كان في المسائل النظرية والعلمية أو المسائل الفروعية العلمية، هذا الذي عليه أصحاب النبي [illegible] وجماهير أئمة الإسلام.

ومن الأدلة الدالة على ضرورة اشتراط قيام الحجة للتكفير :

قوله عز وجل: [illegible] [النساء: 115]، وقولُه تعالى: [illegible] [التوبة: 115].

«فكل من هداه الله تعالى ودخل في عقد الإسلام، فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان»[1].

وقولُه تعالى: [illegible] [الإسراء: 15].

فهذه الآيات بعمومها تدل على أنه لا يكفر من المسلمين إلا من بلغته الحجة، ووضحت له بحيث خالفها

---

1 (?) من كلام قوام السنة الأصفهاني في كتابه (الحجة في بيان المحجة) (2/511).

عنادا وتكبرا أو رفضا للحق وردا له، «فليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومَن ثبت إسلامُه بيقين: لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة»[1].

ثالثاً : موانع تكفير المعين:

يُدرأ التكفيرُ عن المسلم -إذا فعلَ فعلاً أو قولاً أو اعتقاداً كفرياً- بمانع من الموانع التي دلت عليها أدلة الكتاب والسنة، وذكرها العلماءُ، وهذه الموانع هي :

1- الجهل:

جهلُ المسلم بالحكم الشرعي في الأمر الكفري الذي قارفه مما يدفع عنه الكفر، ومن أدلته :

1- ما رواه البخاري ومسلم عن النبي من حديث الرجل الذي قال لأبنائه: «إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم اذْرُوني في الريح في البحر، فو الله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحدا» قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب، فغفر له بذلك[2].

فهذا الرجل جهل عظيم قدرة الله عز وجل، وفعل ما فعل من خشية الله عز وجل، فغفر الله تعالى له لجهله.

2- وكذلك حديث أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع الرسول ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال : «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم...»[3].

---

1 (?) من كلام شيخ الإسلام في كتابه (الرد على البكري) بتصرف يسير (ص/259).

2 (?) سبق تخريجه.

3 (?) أخرجه الإمام أحمد (5/218)، والترمذي (ح/2180) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في السنن الكبرى (6/346 ح11185)،

فحداثة إسلامهم وجهلُهم منعت من تكفيرهم، ولم تمنع من الحكم على القول بأنه من جنس قول قوم موسى لموسى: «اجعل لنا إلهاً».

3- وكذلك حديث حذيفة قال: قال رسول الله «يَدْرُسُ الإسلامُ كما يَدْرُسُ وشْيُ الثوب[1]، حتى لا يُدْرَى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقةٌ، وليُسْرَى على كتاب الله في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: (لا إله إلا الله) فنحن نقولها». فقال له صلة: ما تغني عنهم (لا إله إلا الله) وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثا كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النار، ثلاثا[2].

فهذا فيه دليل على أن الإنسان يعذر بالجهل[3].

وهذا المانع قد قرره كثيرٌ من العلماء، قال الإمام الشافعيُّ : عند كلامه على الأسماء والصفات الثابتة في القرآن والسنة-: «فإن خالفَ بعد ذلك بعد ثبوت الحجة عليه: فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه: فمعذورٌ بالجهل... ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها»[4].

وقال النوويُّ – بعد ذكره لمكفِّرات عديدة -: «فكل هذا أو شبهه لا شك في تكفير قائله إن كان ممن يُظنُّ به علمُ ذلك، ومَن طالت صحبتُه المسلمين، فإن كان قريبَ

والطبراني في الكبير (3/243)، وابن حبان في صحيحه (15/94)، وأبو يعلى في مسنده (3/30).

1 (?) وشي الثوب: يعني ألوانه التي يحسن بها.

2 (?) أخرجه ابن ماجه في الفتن (ح/4049)، وقال البوصيري: هذا إسناد صحيح.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى (3/231)، مدارج السالكين (1/338-339).

4 (?) رواه ابنُ قدامة بسنده إلى الشافعي في (إثبات العلو) (ص/181)، وذكره الذهبيُّ في السير (1/79-80)، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/165).

عهدٍ بالإسلام، أو بمخالطة المسلمين: عرّفناه ذلك، ولا يعذر بعد التعريف»[1].

ولكن العلماء هنا يفرقون بين ما يعذر الإنسانُ بجهله وما لا يعذر بجهله، والحالات التي يعذر فيها والتي لا يعذر فيها.

فأما ما كان معلوما من الدين بالضرورة -كوجوب الصلاة، وتحريم الزنا والخمر، ونحوها- فهذا لا يعذر الإنسان بجهلها، فمن أنكرها فقد كفر، إلا أن يكون بعيدا عن الأمصار، يعيش في البوادي، مما يدل على أنه لم يبلغه العلم، أو يكون حديث عهد بإسلام لم يُعَلِّمه أحدٌ شرائعَ الإسلام، فهذا يُعذر بجهله ولا يكفر حتى تبين له الحجة ويعلم الحق[2].

أما ما خفي من المسائل والأحكام الشرعية: فإن الإنسان لو أنكرها جهلا فإنه يعذر بذلك ولا يكفر حتى تقام عليه الحجة، مثل رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة، أو حوض النبي ﷺ، أو نحو ذلك مما قد يخفى على الإنسان.

2- التأويل:

مما يدرأ التكفيرَ عن المعين: أن يكون متأولاً فيما وقع فيه من كفر لشبهة عرضت له، فهذا لا يكفر حتى يُبيَّن له خطؤُه وترتفع شبهته في المسألة.

ومن الأدلة الدالة على كون التأويل مانعاً من التكفير : أن قدامة بن مظعون [illegible] شهد عليه شهودٌ بشرب الخمر، فقال له عمر: إني حادُّك، فقال: لو شربت كما يقولون، ما كان لكم أن تجلدوني، فقال عمر: لِـمَ؟! قال قدامة: قال الله [illegible]: [illegible] [المائدة: 93]، قال عمر [illegible]: أخطأت التأويل، إن اتقيت الله اجتنبتَ ما حرم الله عليك[3].

---

1 (?) روضة الطالبين للنووي (ص/1728).

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى (6/61، 11/407).

3 (?) أخرج القصة عبد الرزاق في مصنفه (9/245 رقم17080)،

فقدامةُ استحل الخمرَ لشبهةٍ عرضت له فيما فعل، وذلك أنه ظن أن الخمرَ ليست محرمة على من كان تقياً، وهذا فهمه من الآية التي استدل بها، حتى أبان له عمر خطأه في الفهم، فارتفعت بذلك شبهتُه.

فعلى هذا إذا وقع الإنسانُ في أمر كفري، وهو متأول لشبهةٍ عرضت له: فلا يكفر حتى يبين له وترتفعَ شبهتُه، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية : : ولهذا كنت أقول للجهميةِ من الحلولية والنفاة الذي نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنتُهم: أنا لو وافقتكم كنت كافراً؛ لأني أعلم أن قولكم كفر، وأنتم عندي لا تكفرون؛ لأنكم جهال. وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضاتِهم وشيوخهم وأمرائهم، وأصل جهلهم شبهاتٌ عقلية حصلت لرؤوسهم، مع قصور عن معرفة المنقول الصحيح والمعقول الصريح الموافق له[1].

ولكن يجب التفريقُ بين التأويل المقبول وبين التأويل المردود؛ إذ ليس كل تأويلٍ يُعتبر سائغاً ومقبولاً، فهناك من التأويل ما يُعتبر سائغاً، ومنه ما ليس كذلك، فالمتأول إذا أخطأ، وكان من أهل عقد الإيمان: نظر في تأويله:

فإن كان قد تعلق بأمرٍ يُفضي به إلى خلاف بعض كتاب الله، أو سنةٍ يقطع بها العذر، أو إجماع: فإنه يكفر ولا يُعذر؛ لأن الشبهةَ التي يتعلق بها مَن هذا صفتُه ضعيفةٌ لا يقوى قوة يعذر بها؛ لأن مَن شهد له أصلٌ من هذه الأصول فإنه في غاية الوضوح والبيان، فلما كان صاحبُ هذه المقالة لا يصعب عليه دركُ الحق، ولا يغمض عنده بعضُ موضع الحجة: لم يعذر في الذهاب عن الحق، بل عمل خلافه في ذلك على أنه عناد وإصرار.

ومَن تعمد خلافَ أصلٍ من هذه الأصول، وكان جاهلاً لم يقصد إليه من طريق العناد : فإنه لا يكفر؛ لأنه لم يقصد اختيارَ الكفر، ولا رضي به، وقد بلغ جهده، فلم يقع له غير ذلك، وقد أعلم الله سبحانه أنه لا يؤاخذ إلا بعد البيان، ولا يُعاقِبُ إلا بعد الإنذار، فقال تعالى:

والبيهقي في سننه (8/315).

[1] (?) الرد على البكري (ص/259).

ﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱠ [التوبة: 115]، فكل مَن هداه الله ﻷ ودخلَ في عقد الإسلام: فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيانﱠ[1].

فمَن كان متأولاً فيما وقع فيه من كفرٍ لشبهةٍ عرضت له: فهذا لا يكفر حتى يُبَيَّن له خطؤُه وترتفع شبهتُه في المسألة، وذلك مثل أهل البدع من الخوارج، والجهمية، والمعتزلة، وغيرهم، فإن أعيانَهم لا يكفرون لوجود الشبهةِ المانعةِ لهم من قبول الحق؛ فإن الخوارج استباحوا دماءَ المسلمين ظنا منهم أنهم كفار لارتكابهم الذنوب، والجهميةُ والمعتزلةُ أنكروا صفات الله ﻷ بشبهةٍ عرضت لهم في ذلك، وهي ظنهم أن ذلك ينافي تنزيهَ الله تعالى، فلهذه الشبهة فـــي التأويل لا يكفر أعيانهم؛ فإن علي بن أبي طالب ﭬ لم يكفِّر الخوارج، بل قال: إخواننا بغوا علينا، وقال –لما قيل له إنهم كفار-: من الكفر فروا، وقد وافقَه الصحابةُ على ذلك، فصار إجماعاً[2]، وهذا مع ما وردَ من الحديث الذي يصفهم بأنهم يمرقون من الإسلام مروقَ السهم من الرمية[3].

هذا في التأويل لشبهة وقعت للمؤول منعته من قبول الحق، ولا يلتحق بذلك من تستّر بالتأويل، وجحدَ ما هو معلوم من الدين بالضرورة، كتأويل الملاحدة ما لا يمكن تأويله من الشرائع والمعاد الأخروي والجنة والنار: فهذا كفر لا شك فيه، ومن وقع في ذلك فهو كافر خارج من الإسلام، وإنما الحديثُ هنا في الذي يقومُ بشرائع الإسلام ولم يكن مقصده تكذيب الله تعالى ورسوله ﷺ فيما تأوله مما يخالف الحق[4].

ولا يعني عدمُ تكفير مَن هذا حاله أنه ليس مخطئاً، ولا

---

1 (?) الحجة في بيان المحجة للأصفهاني (2/510-511) – بتصرف يسير -.

2 (?) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (3/282).

3 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري بالأرقام (ح/3611، 5057، 6930)، ومسلم (ح/1066).

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى (3/283-288)، إيثار الحق على الخلق ص: (415).

يعني أنه غير مذنب، بل هو على خطر عظيم في بدعته، وذنبُه في ذلك على قدر بُعْدِه عن الحق، وإعراضُه عن وسائل معرفة الحق من الكتاب والسنة التي أمر المسلمون بالالتزام بهما والأخذ بمضمونها، والإعراض عما يخالفهما، ولهذا يذم أهل البدع والانحراف من الخوارج والجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرهم.

3- الإكراه:

الإكراه يدرأ التكفيرَ عن المسلم، فمَن ثبتَ أنه كان مكرهاً على كلمة الكفر أو فعلٍ كفري: يُحكم بإسلامه.

فالإكراه على القول أو الفعل الكفري لا يكون كفرا على الصحيح، لقول الله تعالى: ﴿ ﴾ [النحل: 106].

فمن أكره على قول كفري، من سب الله تعالى أو رسولِه أو دينه، أو نحو ذلك، أو فعلٍ كفري، كالسجود لمخلوق أو نحوه: فإنه لا يكفر بذلك.

الفصل الثالث : النفاق :

أولاً: تعريف النفاق لغة:

النفاقُ مصدر نافق ينافق منافقةً ونِفاقاً، وهو فعل المنافق، ومادة (نفق) يدل على شيئَين: أحدهما: على انقطاع شيءٍ وذهابِه، والآخر: على إخفاءِ شيءٍ وإغماضِه.

وأطلق كثير من العلماء: أن النفاق لغة: مخالفة الظاهر للباطن.

ثانياً: تعريف النفاق اصطلاحاً:

النفاق اسم إسلامي، لم تعرفه العربُ بالمعنى المخصوصِ به، وإن كان أصلُه في اللغة معروفاً.

وقد تعددت تعريفات العلماء للنفاق، وجميعُها متقارب، والقضيةُ في النفاق تدور على معنى الإظهار والإبطان، وعدم اتفاق المعلَن مع المخفي، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكفر والإيمان، ويمكن إرجاع حاصل عبارات العلماء في تعريفه إلى أنه: إظهارُ الإيمان وإبطان الكفر.

ثالثاً : أقسام النفاق :

النفاق كالكفر ينقسم إلى نفاق دون نفاق، أو نفاق غير مخرج من الملة، ونفاق مخرج عن الملة، فهو على نوعين :

النوع الأول: النفاق الاعتقادي: وهو ما كان من طريق اعتقاد الكفر وإبطانِه، والتلبس بالإسلام وإظهارِه، مع أنه منسلِخٌ منه ومكذِّبٌ به، وهو نحلةُ المنافقين على عهد رسول الله ، وهو مباينٌ للإيمان ومنافٍ لأصله، ويسمى هذا النوعُ بالنفاق الأكبر، وصاحبُه يكون في الدرك الأسفل من النار، أعاذنا الرحمنُ منها.

والنوع الثاني: النفاق العملي: وهو يتصل بالأعمال الظاهرة دون الاعتقاد، وهو غير مخرج من الملة، ولكنه منافٍ لكمال الإيمان، وصاحبُه ناقص الإيمان، ومعَرِّضٌ نفسَه للعقوبةِ والإثم.

وقد ذكر العلماءُ أن ما وردَ في حديث أبي هريرة عن النبي أنه قال: آيةُ المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب،

وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتُمِن خان[1]: هو من قبيل نفاق العمل.

وكذلك ما وردَ في حديث عبد الله بن عمرو ب أن النبي قال: أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومَن كانت فيه خصلةٌ منهن: كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهدَ غدر، وإذا خاصَم فجر[2].

وقولُه في هذا الحديث : كان منافقاً خالصاً معناه: شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال، قال بعضُ العلماء: هذا فيمن كانت هذه الخصالُ غالبةً عليه، فأما مَن يندر ذلك منه: فليس داخلاً فيه، فهذا هو المختار في معنى الحديث...[3].

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/33)، ومسلم (ح/59).

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/34)، ومسلم (ح/58).

3 (?) ذكره النووي : في شرحه على صحيح مسلم (2/46-47)، وهو الذي رجحه الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) (1/90-91).

الفصل الرابع : البدعة :

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف البدعة :

أولاً: تعريف البدعة لغة:

البدعةُ : اسمٌ من: بدَعَ الشيءَ يَبدَعُه بَدعاً وابتدَعَه، أي: أنشأه وبدأه، وبَدَعتُ الشيءَ: إذا أنشأته، وكلُّ مَن أحدثَ شيئاً: فقد ابتدعَه، والاسمُ: البدعة، والجمع: البِدَع، فمادة (بدع) تدل على ابتداء الشيء وصَنعه لا عن مثال.

ثانياً: تعريف البدعة اصطلاحاً:

المعنى الاصطلاحي للبدعة مشتق من معناه اللغوي، قال الأزهري: وكل مَن أنشأ ما لم يُسبق إليه قيل له: أبدعت، ولهذا قيل لِمَن خالف السنة: مبتدع؛ لأنه أحدث في الإسلام ما لم يسبقه إليه السلف[1].

وقد عُرّفت البدعةُ بتعريفات منها :

أنها: ما خالفت الكتابَ والسنةَ وإجماعَ سلف الأمة، من الاعتقادات، والعبادات[2].

ومنها : أنها ما أُحدِث مما لا أصلَ له في الشريعة يدل عليه [3].

ومنها : أن البدعة شرعاً: هي التي أُحدثت بعد الرسول على سبيل التقرُّب إلى الله، ولم يكن قد فعلَها الرسول   ولا أمرَ بها، ولا أقرَّها، ولا فعلتها الصحابة[4].

وقولُه: على سبيل التقرُّب إلى الله يقصِدُ به ما كان مخترعاً في الدين، وهو يُخرج ما كان مخترعاً في أمور الدنيا، كإحداث الآلات والبيوتات والطرقات، فإن ذلك لا يُعتبر ابتداعاً إلا من حيث المعنى اللغوي الصِّرف، ويترتب عليها الأجرُ أو الوزرُ تبعاً لنيةِ فاعلها؛ فإن أراد بذلك مصلحةً

---

1 (?) تهذيب اللغة للأزهري (2/241).

2 (?) قاله شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر : (مجموع الفتاوى) (18/308).

3 (?) قاله ابن رجب في (جامع العلوم والحكم) (2/127).

4 (?) تحذير المسلمين عن الابتداع في الدين، لابن حجر آل بوطامي (ص/10).

شرعيةً والاستعانةَ على الطاعة ونفعَ المسلمين: فإنه مأجور، وإن أرادَ بذلك التعاون على المنكر، والإضرارَ بالمسلمين، أو غير ذلك من المحظورات شرعاً: فهو آثم.

ومن أحسن تعريفاتها وأجمعِها : أن البدعة : عبارة عن طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشريعةَ، يقصد بالسلوك عليها المبالغةَ في التعبد لله سبحانه [1].

وإنما قُيِّد بالدين: لأنها فيه تُختَرع، وإليه يضيفها صاحبُها، وأيضاً: فلو كانت طريقة مخترعة في الدنيا على الخصوص: لم تُسَمَّ بدعة، كإحداث الصنائع والبلدان التي لا عهد بها فيما تقدم.

ولَما كانت الطرائقُ في الدين تنقسم: فمنها ما له أصل في الشريعة، ومنها ما ليس له أصل فيها: خص منها ما هو المقصود بالحد، وهو القسمُ المخترع، أي: طريقة ابتُدعت على غير مثال تقدمها من الشارع؛ إذ البدعةُ إنما خاصتُها أنها خارجة عما رسَمه الشارع.

وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادئ الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين، كعلم النحو، والتصريف، ومفردات اللغة، وأصول الفقه، وسائر العلوم الخادمة للشريعة؛ فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول: فأصولُها موجودة في الشرع...

وقولُه في الحد تضاهي الشرعية يعني: أنها تشابه الطريقةَ الشرعيةَ من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادةٌ لها من أوجه متعددة، منها:

منها: وضع الحدود، كالناذر للصيام قائماً لا يقعد، ضاحياً لا يستظل، والاختصاص في الانقطاع للعبادة، والاقتصار من المأكل والملبس على صنفٍ دون صنف من غير علة.

ومنها: التزام الكيفيات والهيئات المعينة، كالذكر بهيئة الاجتماع على صوتٍ واحد، واتخاذ بعض الأيام الفاضلةِ أعياداً دينية، وما أشبه ذلك.

ومنها: التزام العبادات المعينة في أوقاتٍ معينة لم

---

[1] (?) الاعتصام، للشاطبي (ص/28).

يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة، كالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته.

وثَمَّ أوجه تضاهي بها البدعةُ الأمورَ المشروعة، فلو كانت لا تضاهي الأمورَ المشروعةَ لم تكن بدعة؛ لأنها تصير من باب الأفعال العادية.

وقوله: يقصد بالسلوك عليها المبالغةَ في التعبد لله تعالى: هو تمام معنى البدعة؛ إذ هو المقصودُ بتشريعها... [1].

وهذا التعريف مع هذا الشرح من الشاطبي : يوضح حقيقة البدعة، وأنهـــــا: ما أُحدِث في الدين باسم الانضباط في التعبد، أو المبالغة فيه، وأنها تكون قد اختُرِعَت بقصد التقرب إلى الله تعالى، وأنها لا يكون لها أصلٌ من الكتاب والسنة أو عمل الصحابة ن ومن سلك سبيلَهم من السلف الصالح.

1 (?) انظر : الاعتصام، للشاطبي (ص/28-30).

المبحث الثاني: بيان أنواع البدعة:

تنقسم البدعةُ باعتبارات مختلفة إلى أقسام عديدة، منها :

الأول: تقسيم البدعة بحسب ما يترتب عليها من أحكام.

الثاني: تقسيم البدعة من حيث كونها إضافية أو حقيقية.

الثالث: تقسيم البدعة باعتبار كونها اعتقادية أو عملية.

وفيما يلي تفصيل هذه التقسيمات.

التقسيم الأول: تقسيم البدعة بحسب ما يترتب عليها من أحكام :

تنقسم البدعة بهذا الاعتبار إلى نوعَين:

النوع الأول: البدعة المكفِّرة:

وهي التي تُخرج الإنسانَ من الإسلام، وهي الفسادُ في العقيدة في أصلٍ من أصول الدين.

والبدعةُ المكَفَّر بها لا بد أن يكون ذلك التكفير متفقاً عليه من قواعد جميع الأئمة، كما في غلاة بعض أهل البدع الذين يدَّعون حلولَ الإلهية في علي أو غيره، أو الإيمان برجوعه إلى الدنيا قبل يوم القيامة، أو غير ذلك[1].

النوع الثاني: البدعة المفسِّقة:

وهي التي لا تُخرج عن الإسلام، بل يفسق بها، وهي تُطلق على فساد في العمل مع سلامة العقيدة، كما أنها تُطلق على بدع الاعتقادات التي لا يصل أصحابُها إلى درجة الغلو، كبدع الخوارج ومَن معهم، الذين لا يغلون ذلك الغلو، وغير هؤلاء من الطوائف المخالفين لأصول السنة خلافاً ظاهراً، لكنه مستند إلى تأويلٍ ظاهرُه سائغ [2].

والناس يتفاوتون في تحديد ما يدخل تحت هذين النوعَين نظراً لتفاوتهم في النظر إلى البدع وحجمها، وذلك تبعاً لاختلافهم في المنهج، ولكن أهل السنة والجماعة ليس بينهم كبير خلاف في ذلك، أما أهل البدع فقد ينقلبُ الأمرُ

---

1 (?) انظر : هدي الساري، للحافظ ابن حجر (ص/404).

2 (?) انظر : هدي الساري، للحافظ ابن حجر (ص/404).

عندهم، فقد يعدّ أحدُهم السنة بدعةً، والبدعةَ سنة، ويكون حكمُه في ذلك تبعاً لهواه، ولا عبرة بأمثالهم.

التقسيم الثاني : تقسيم البدعة من حيث كونها إضافية أو حقيقية.

البدعة بهذا الاعتبار على نوعين:

النوع الأول: البدعة الحقيقية:

وهي التي ليس لها أصلٌ من كتاب الله العزيز، ولا سنة رسول الله ، ولا من إجماع علماء المسلمين.

النوع الثاني: البدعة الإضافية:

وهي التي تكون ذات وجهَين: وجه من حيث مشروعيتها في الجملة، والثاني: من حيث الزمن والكيفية، فإذا نظرتَ إلى الوجه الأول: تقول إنها مندوبة، وإذا نظرتَ إلى الوجه الثاني: ترى أنها بدعة.

وهناك أمثلة كثيرة لتوضيح النوعين أقتصر منها على مثالين :

المثال الأول : الصلاة على الرسول قبل الأذان : بدعة حقيقية، إذ ليس لها أصلٌ أبداً من القرآن ولا من النبي ولا من أصحابه – رضوان الله عليهم-.

أما بعد الأذان : فيُسَنُّ للمؤذن وللمستمع أن يصلي على النبي ثم يقول: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدتَه؛ لِـما رواه ابنُ عمر م أنه سمع رسولَ الله يقول: إذا سمعتم المؤذنَ فقولوا مثلَ ما يقول، ثم صلوا عليّ؛ فإنه مَن صلى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليها بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة؛ فإنها منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله، وأرجو أن أكون هو، فمَن سأل الله لي الوسيلةَ حَلّت له الشفاعة[1].

أما رفعُ صوت المؤذن بالصلاة والسلام على الرسول من الأذان: فهذا بدعة، كما يفعلُه بعضُ المؤذنين في بعض الأمصار، وقد مضت القرونُ من عهد النبيِّ إلى عصر صلاح الدين ولم تظهر هذه البدعةُ إلا في عصره على يد

[1] (?) أخرجه مسلم (ح/384)، وأبو داود (1/199 ح/523).

بعض الجاهلين، وقد أنكرها بعضُ العلماء المحققين.

فبالنظرِ إلى مشروعية الصلاة على الرسول بعد الأذان: تكون مستحبة، وبالنظرِ إلى الجهرِ بها بعد الأذان فوق المنابر: بدعة، فأصبحت ذات وجهَين.

المثال الثاني: التسبيح دبر الصلوات والدعاء من المسنونات، ولكن قراءة الإمام والدعاء لهم، ورفع الصوت به، وتأمين المأمومين على ذلك: من البدع من حيث الكيفية، لا من حيث المشروعية.

وكلا النوعَين من البدع لا يجوز أن يتعبد بهما المسلم، وكما أنه لا يجوز إحداثُ بدعةٍ حقيقية: لا يجوز إحداث كيفية، أو في زمن لم يَرِد بها الشرع... وقد أنكر العلماءُ البدعة الإضافية، كما أنكروا البدعةَ الحقيقية، لا فرق في ذلك[1].

التقسيم الثالث : تقسيم البدعة باعتبار كونها اعتقادية أو عملية:

تنقسم البدعةُ بحسب حالها إلى قسمين :

القسم الأول: البدعة الاعتقادية:

وهي اعتقاد شيء على خلاف ما عليه النبي وأصحابه، سواء أكان مع الاعتقاد عمل أم لا.

وأكبرها – بل أكبر الكبائر على الإطلاق-: الشرك بالله العظيم، ومن أمثلتها: بِدَع الخوارج، والمعتزلة، والجهمية، والقدرية، والمرجئة، وما تفرع عنها، وهي متفاوتة بحسب بُعْدها عن أصول الدين وقربها.

القسم الثاني: البدعة العملية:

وهي أن يُشرع في الدين عبادةً لم يشرعها الله تعالى ورسولُه ، وكل عبادة لم يأمر بها الشارع أمرَ إيجابٍ أو استحباب: فإنها من البدع العملية.

وهذا القسم يتنوع إلى أنواع عديدة بحسب نوع البدعة وموقعها من أصول الشرع قرباً وبعداً.

---

1 (?) انظر : تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين، للشيخ ابن حجر آل بوطامي (ص/86-90).

المبحث الثالث : التحذير من البدع :

وردت أدلةٌ كثيرةٌ تدل على تحريم البدع والتغليظ على مبتدعِها وفاعلِها، ومنها :

1- قولُه تعــالى : [illegible] [الشورى : 21].

2- ما رواه جابرُ بنُ عبد الله م قـال : كـان النـبيُّ يقـولُ في خطبتِه : أمـا بعـد، فـإن خـيرَ الحـديث كتـابُ اللـه، وخيرَ الهدي هديُ محمـد، وشـرَّ الأمـور محـدَثاتُها، وكـلَّ بدعةٍ ضلالة [1].

3- ما رواه العرباضُ بنُ سـارية عن النـبي أنـه قـال : عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإن كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة [2].

4- ما روته أمُّ المؤمنين عائشة ل عن النبي أنـه قـال : مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ [3].

5- ما رواه أنسُ بنُ مالك في قصة الثلاثة الذين أرادوا أن يزيدوا على عبادة النبي فقال أحدُهم : أما أنا فأصـلي الليلَ أبداً، وقال الآخر : أنا أصوم الدهرَ ولا أفطر، وقـال الآخر : أنا أعتزل النساءَ فلا أتزوجُ أبداً، فقال رسولُ الله : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقـاكم لـه، لكـني أصـوم وأفطـر، وأصـلي وأرقـد، وأتزوج النساءَ، فمَن رغبَ عن سنتي فليس مني[4].

فصيغُ العموم الواردة في النصوص السابقة تدل على تحريم جميع البدع التي يُحدِثُها الناسُ ويتعبدون لله تعالى بها وليس لها أصلٌ في الشرع.

كما أن هذا العموم يؤكد أنه ليس شيءٌ من البدع

---

1 (?) رواه مسلم (ح/867).

2 (?) رواه أحمد (4/126، 127)، والترمذي (ح/2676) وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه (ح/42-44)، من طرق يقوي بعضُها بعضاً، وهو حسن بمجموع طرقه.

3 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/2697)، ومسلم (ح/1718) عن أم المؤمنين عائشة ل.

4 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/5063)، ومسلم (ح/1401).

حسناً، فهي صريحةٌ في أن جميع البدع محرمة وممنوعٌ من فعلِها.

فلا يجوز لمسلمٍ أن يُعارض قولَ رسول الله بقول غيره من البشر كائناً مَن كان، فإن عارضَ قولَه بقول غيره : كان ذلك دليلاً على ضعف التأسِّي بالنبي ، ودليلاً على نقص محبتِه له ؛ لتقديمه قولَ غيره وهوى نفسِه على سنةِ خير البشر ؛ إذ كيف يقول النبيُّ : كل بدعةٍ ضلالة ، وذاك يقول : بل ليس كل بدعةٍ ضلالة، وأن بدعةَ كذا حسنة، وهذا بلا شك مضادة للشرع الذي جاء به النبيُّ [1].

وقد ثبت عن الإمام مالك : أنه قـال : مَن ابتـدع في الإسلام بدعةً يراهـا حسـنةً : فقـد زعمَ أن محمـداً خـان الرسالة؛ لأن الله يقول : [المائـدة: 3]، فما لم يكن يومئذٍ ديناً : فلا يكون اليوم ديناً [2].

وقد أجمـع السـلفُ من الصـحابة والتـابعين ومَن يليهم على ذم البـدع وتقبيحهـا، فالبـدعُ محرمـةٌ ومذمومـةٌ كلهـا، وخطرُها كبير، والله المستعان.

الخاتمة : وفيها :

1- بعض أصول أهل السنة والجماعة.

2- ذكر وسطية أهل السنة بين الفرق.

3- ثمرات الإيمان بأركان الإيمان.

أولاً : بعض أصول أهل السنة والجماعة :

1- موقفُهم من الصحابة :

من أصول أهل السنة والجماعة : حبُّ الصحابة والترضي عنهم، فنحن نحبُّ أصحابَ رسول الله ، ولا نُفْرِطُ في حبِّ أحدٍ منهم، ولا نتبرّأ من أحدٍ منهم، ونُبغِضُ مَن يُبغِضُهم، وبغير الخير يذكرُهم، ولا نذكرُهم إلا بخير،

[1] (?) انظر : الاعتصام، للشاطبي المالكي (1/142-144).

[2] (?) رواه عن الإمام مالك تلميذه ابن الماجشون، كما في (الاعتصام) (1/49)، قال الشاطبي في الموضوع السابق : فالمبتدع إنما محصولُ قوله بلسان حاله أو مقالِه : إن الشريعة لم تتم، وأنه بقي منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها؛ لأنه لو كان معتقداً لكمالها وبتمامها من كل وجه : لم يبتدع ولا استدركَ عليها .

وحبُّهم دينٌ وإيمان وإحسان، وبغضُهم كفرٌ ونفاقٌ وطغيان [illegible].[1]

والصحابيُّ هو الذي لقي المصطفى [illegible] يقظةً لا مناماً، وآمنَ به، ومات على الإسلام.

وهذا الأصلُ ينتظمُ أموراً منها :

أولاً : إثبات جميع ما وردَ في فضلهم من آيات الكتاب الكريم وأحاديثِ الرسولِ الكريم [illegible] ، سواء كان هذا الفضل على وجه العموم، أو على وجه الخصوص، فهم يُثبتون ذلك كلَّه، ويؤمنون به، ويسلمون به لأولئك الأطهار الذين اختارَهم الله تعالى لصحبةِ نبيه [illegible] وجعلَهم وزراء له، فكانوا حمَلةَ رسالته من بعده.

فمن الثناء الواردِ عليهم في القرآن الكريم :

قال تعالى بعد أن ذكر الفيءَ والمستحقين له، ومبيِّنــاً الحكمةَ لجعلِه تعالى أموالَ الفيءِ لِمَن قدّرها له: [illegible] [الحشر: 8].

ففي قولِــه تعــالى : [illegible] : إخلاص النية، وفي قولِـه تعـالى : [illegible] : تحقيق العمل، وقولُه تعـالى : [illegible] أي : لم يفعلوا ذلك رياءً ولا سمعةً، ولكن عن صدق نية.

هذا في المهاجرين، ثم قال تعالى عن الأنصار : [illegible] [الحشر: 9].

وقــال تعــالى : [illegible] [الفتح: 29].

وقـال تعـالى: [illegible]

(?) [1] من كلام الإمام أبي جعفر الطحاوي في عقيدته (2/704) – مع شرحها لابن أبي العز الحنفي -.

[illegible] [التوبة: 100].

وقـــال تعـــالى : [illegible]

[التوبة: 117]، والآياتُ في مدحهم والثناءِ عليهم كثيرةٌ جداً.

ومن الثناء الواردِ عليهم في السنة النبوية المطهرة :

1- ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري [illegible] أن النبيَّ قال : [illegible]يأتي على الناس زمانٌ يغزو فئامٌ[1] من الناس فيُقال لهم : فيكم مَن صَحِبَ رسولَ الله؟ فيقولون: نعم؛ فيُفتَحُ لهم، ثم يغزو فئامٌ من الناس فيُقال لهم: هل فيكم مَن رأى مَن صحِبَ رسولَ الله ؟ فيقولون : نعم؛ فيُفتَحُ لهم، ثم يغزو فئامٌ من الناس فيُقال لهم : هل فيكم مَن رأى مَن صحِبَ مَن صَحِبَ رسولَ الله؟ فيقولون : نعم؛ فيُفتَحُ لهم [illegible][2].

2- ما رواه الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود [illegible] قال : سُئِلَ رسولُ الله [illegible] : أي الناس خير ؟ قال : [illegible] قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ قومٌ تبدرُ شهادةُ أحدهم يمينَه، وتبدر يمينُه شهادتَه [illegible][3].

3- ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري [illegible] قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبدِ الرحمن بن عوف شيءٌ، فسَبَّه خالدٌ، فقال رسولُ الله [illegible] : [illegible]لا تسُبُّوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدَكم لو أنفقَ مثلَ أحدٍ ذهباً : ما أدركَ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه [illegible][4].

فإذا كان سيفُ الله تعالى خالدُ بنُ الوليد [illegible] وغيرُه ممن أسلمَ بعد الحديبيةِ لا يساوي العملُ الكثيرُ منهم القليلَ من عبد الرحمن بن عوف [illegible] وغيرِه ممن تقدم إسلامُه، مع أن الكلَّ تشرّفَ بصحبتِه [illegible] : فكيف بمن لم

---

1 (?) الفِئامُ : الجماعةُ الكثيرة.

2 (?) أخرجه البخاري (ح/2897، 3594، 3649)، ومسلم (ح/2532).

3 (?) أخرجه البخاري (ح/2652)، ومسلم (ح/2533).

4 (?) أخرجه البخاري (ح/3673)، ومسلم (ح/6383)، واللفظُ له.

يحصل له شرفُ الصحبةِ بالنسبةِ لأولئك الأخيار؟! إن البونَ لشاسع، فما أبعد الثرى من الثريا، ذلك فضلُ الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

والأحاديث في فضل الصحابة كثيرةٌ جداً، وهي مذكورةٌ في كتب الفضائل، وعلى رأسها الصحيحان، فكل واحدٍ من الشيخَين أفردَ في صحيحه كتاباً عن فضائل الصحابة، ابتدأه بذكر فضائل الخلفاء الأربعة .

فيجبُ تولِّي أصحاب رسول الله ومحبتُهم، ومحبتُهم مطلَقةٌ – رضوان الله تعالى عليهم – لِـما خصّهم الله تعالى به من الصحبة لرسول الله ، والسبق إلى الإسلام، والجهاد مع رسول الله ، ولما فضّلهم الله تعالى به من العلم والعمل، فهم خيرُ القرون بعد الأنبياء، وأفضلُ هذه الأمةِ بعد نبيِّها .

ثانياً : الصحابةُ وإن جمعَهم شرفُ الصحبةِ لرســول الله ، وشـملَهم هـذا الفضـل الكـريم، إلا أنهم متفـاوتون في الفضل والدرجة، قال تعالى: [illegible] [الحديد : 10].

فأفضلُهم على الإطلاق أبو بكر الصديق، ثم يليه في هذه المرتبة العليّةِ عمرُ الفاروق، ثم ذو النورين عثمان، ثم أبو السبطين علي[1] – رضي الله تعالى عنهم جميعاً-، ثم الستة بقية العشرة، وهم : طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي، والزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري، وسعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، وأبو عبيدة عامر بن عبد الله بن

1 (?) هذا الذي استقرَّ عليه رأيُ أهل السنة والجماعة، من تقديم عثمان على علي كما دلت الأحاديثُ على ذلك، وكما أجمع الصحابةُ على تقديم عثمان في البيعة، ومع هذا فليست مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي ب من الأصول التي يُضَلَّلُ المخالفُ فيها عند جمهور أهل السنة، لكن الذي يُضَلَّلُ فيها : مسألة الخلافة، فيجبُ أن نقول : الخليفةُ بعد نبينا في أمته : أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ، ومَن قال : إن الخلافةَ لعلي دون هؤلاء الثلاثة : فهو ضال، ومَن قال : إنها لعلي بعد أبي بكر وعمر ب : فهو ضال؛ لأنه مخالفٌ لإجماع الصحابة .

الجراح القرشي الفهري، وسعيد بن زيد بن عمرو القرشي العدوي – رضي الله عنهم وأرضاهم -.

ثم أهل بدر، ثم أصحاب أحد، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية.

كما أن المهاجرين مقدَّمون على الأنصار – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين -.

ثالثاً : ومن أصول أهل السنة والجماعة : محبة آل بيت رسول الله وتولِّيهم وحفظُ وصية النبي فيهم؛ حيث قال يوم غدير خُم : أذَكِّرُكم الله في أهل بيتي ثلاثاً[1]، يعني : اذكروا الله؛ اذكروا خوفَه وانتقامَه إن أضَعتُم حقَّ آل البيت، واذكروا رحمتَه وثوابَه إن قمتم بحقهم.

فأهلُ السنة يحبون آلَ البيت لأمرين : للإيمان، وللقرابةِ من رسول الله ، ولا يكرهونهم أبداً.

كما أن أهلَ السنة يتولَّون أزواجَ رسول الله أمهاتِ المؤمنين، ويؤمنون بأنهنَّ أزواجُه في الآخرة، خصوصاً : خديجة ل أم أكثر أولادِه وأول مَن آمَن به وعاضدَه على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، وكذلك الصديقة بنت الصديق، التي قال فيها النبيُّ : فضلُ عائشة على النساء : كفضلِ الثريد على سائر الطعام [2].

رابعاً : الصحابةُ كلهم عدول، صغارُهم وكبارُهم، ذكورُهم وإناثُهم، وقد ثبتت عدالتُهم بنص الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

خامساً : ومن أصول أهل السنة والجماعة : الإمساك عما شجرَ بين الصحابة وعدم الخوض فيه، والتتبع لكل تفصيلاتِه، وأنّ ما نُقِلَ فيما شجَرَ بينهم واختلفوا فيه : فمنه ما هو باطلٌ وكذبٌ قد زيدَ فيه ونقص، فلا يُلتَفَتُ إليه، وما كان صحيحاً يجب حملُه على أحسن المحامل؛ لأن الثناءَ عليهم من الله تعالى سابق، ولأن ما حصلَ بينهم من الاختلاف كان عن اجتهادٍ يتحرّون فيه الحقَّ والصواب، فما

---

1 (?) رواه مسلم (ح/2408) عن زيد بن أرقم .

2 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/3769)، ومسلم (ح/2431) عن أبي موسى الأشعري .

كان من صواب : فلهم فيه أجران، وما فيه من خطأ : فهم فيه معذورون، فلا يجوز لنا الخوضُ في الحروب التي حصلت إلا على وجه الاعتذار لهم.

ولهذا لما ذكر الله تعـالى المهـاجرين والأنصـارَ أعقبَـه بقولـــــه : ﴿[illegible]﴾ [الحشر: 10].

فليأخذ المسلم هذه الآيةَ نصبَ عينيه، ولا يَحِدْ عنها ﴿[illegible]﴾.

سادساً : سبُّ الصحابة والتعرض لهم بعيبهم وتنقّصِهم والطعن في عدالتهم حرامٌ بنصِّ الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

والحقيقة : أنّ سبَّ الصحابةِ ليس جرحاً في الصحابةِ فقط، بل هو قدحٌ في النبي ، وفي شريعة الله تعالى، بل وفي ذات الله :

- أما كونُه قدحاً في رسول الله : فحيث كان أصحابُه وأمناؤه وخلفاؤه على أمته من شرار الخلق، وفيه قدحٌ في رسول الله من وجهٍ آخر، وهو تكذيبُه فيما أخبرَ به من فضائلِهم ومناقبِهم .
- وأما كونُه قدحاً في شريعة الله تعالى : فلأن الواسطةَ بيننا وبين رسول الله في نقل الشريعةِ هم الصحابة ، فإذا سقطت عدالتُهم : لم يبقَ ثقة فيما نقلوه من الشريعة.
- وأما كونُه قدحاً في الله سبحانه وتعالى : فحيث بعثَ نبـيَّه في شرار الخلق، واختارَهم لصحبتِه وحَمْلِ شريعتِه ونقلِها لأمتِه !!

فليتق الله تعالى مَن يُقدِمُ على هذه المعصيةِ الشنعاء، ولينظر ماذا يترتبُ من الطوام الكبرى على سبِّ الصحابةِ .

سابعاً : عدم الإفراط والتفريط في حب الصحابة، وأهلُ السنة والجماعة يتبرأون هنا من طريقة أهل البدع الذين يُبغضون الصحابة ويسبونهم، كما أنهم يتبرّأون من طريقة أهل البدع الذين يؤذون أهلَ البيت بقول أو عمل،

وسيأتي شرحُه عند الحديث عن وسطيّة أهل السنة والجماعة في باب الصحابة .

ومن أصول أهل السنة والجماعة أيضاً :

2- وجوبُ السمع والطاعة لولاة الأمور بالمعروف، ما لم يأمروا بمعصية، ولا يجوز الخروجُ عليهم وإن جاروا، إلا أن يُرى منهم كفرٌ بواحٌ عليه من الله تعالى برهان.

3- وجوبُ النصيحةِ لله تعالى، ولرسوله ، ثم لأئمة المسلمين، وهم ولاة الأمور والعلماء، وعامَّتِهم، كما وردَ ذلك في الحديث الشريف.

4- الجهاد مع الإمام، بَرّاً كان أو فاجراً، والجهادُ من شعائر الدين، وذروةُ سنام الإسلام، وأنه قائمٌ إلى يوم القيامة، كما وردت بكل ذلك الأحاديث.

5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أصلٌ من أصول الدين، ومن أعظم شعائر الإسلام، ويتميزُ أهل السنة في هذا الباب – كما هو حالُهم في غيره من الأبواب – بالالتزام بالشرع في تحديد المعروف، وفي تحديد المنكر، سواء كان في أمور الاعتقاد، أو غيرها، بخلاف غيرِهم من أهل البدع، الذين لهم نظراتُهم الخاصةُ بهم في تحديدِ المعروف والمنكر، فقد يكون المعروفُ عندهم منكراً في الحقيقةِ عند الشارع، وعكس ذلك في المنكر.

6- وجوبُ الحب في الله تعالى، والبغض في الله تعالى، ومن ذلك : الولاءُ للمؤمنين الصالحين، والبَراءُ من المشركين والكافرين والمنافقين، وكلٌّ مسلمٍ له من الولايةِ بقدرِ ما لديه من الإيمانِ والاتباعِ للرسول ، ومن البراءةِ بقدرِ ما فيه من الفسق والمعصية.

ثانياً : وسطية أهل السنة بين الفرق :

عقيدة أهل السنة والجماعة – والتي هي عقيدة الإسلام الصحيحة – وسطٌ بين عقائد الفرق المنحرفة المنتسبة إلى دين الإسلام، فهي في كل باب من أبواب العقيدة وسطٌ بين فريقين آراؤهما متضادة، أحدُهما غلا في هذا الباب والآخرُ قصّرَ فيه، أحدُهما أفرط والثاني

فرّط، فهي حق بين باطلين، فأهلُ السنة وسطٌ – أي: عدولٌ خيار – بين طرفين منحرفَين في جميع أمورهم.

وقد تقدم بيانُ ذلك عند ذكر أصول العقائد، ولكنني ألخص هنا بعض ما تقدم لأهمية هذا الأمر، وسأذكر خمسةَ أصول عقدية توضح وسطيّةَ أهل السنة بين الفرق فيها، وهي :

الأصل الأول : باب العبادات :

توسّط أهلُ السنة في هذا الباب بين فرق الباطنية الذين تركوا عبادة الله تعالى بالكلية وبين بعض فرق أهل البدع الذين يعبدون الله تعالى بما لم يشرعه من الأذكار والتوسلات، وإقامة الأعياد والاحتفالات البدعية، والبناء على القبور والصلاة عندها والطواف بها والذبح عندها.

أما أهلُ السنة والجماعة : فيعبدون الله تعالى بما جاء في كتاب الله تعالى وسنةِ رسوله ، فلم يتركوا ما أوجبَ الله تعالى عليهم من العبادات، ولم يبتدعوا عباداتٍ من تلقاء أنفسهم، عملاً بقول النبي : مَن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه: فهو رد[1]، وفي روايةٍ لمسلم : مَن عملَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد [2].

وبقولِ النبي في خطبتِه : أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدَثاتُها، وكل بدعةٍ ضلالة [3].

الأصل الثاني : باب أسماء الله تعالى وصفاتِه :

توسّط أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين المعطلة وبين الممثلة.

 فالمعطلة : منهم مَن ينكر الأسماء والصفات، كالجهمية، ومنهم مَن يُثبتُ الأسماء وينكر الصفات، كالمعتزلة، ومنهم مَن يُثبت بعض الصفات ويُنكر أكثرَها، كبقية الفرق الكلامية؛ وعمدةُ الجميع الاعتماد على

---

1 (?) متفق عليه، أخرجه البخاري (ح/2697)، ومسلم (ح/1718).

2 (?) صحيح مسلم (ح/1718).

3 (?) رواه مسلم (ح/867).

عقولهم القاصرة التي حكّموها على النصوص، واعتبروا ذلك تنزيهاً، وليس هو من التنزيه في شيء.

 والممثلة : يضربون لله تعالى الأمثال، ويدّعون أن صفاتِ الله تعالى تماثل صفاتِ المخلوقين، كأن يقول : يدُ الله تعالى كيدي، وسمعُ الله تعالى كسمعي، تعالى الله تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

فهدى الله أهلَ السنة والجماعة للقول الوسط في هذا الباب، والذي دل عليه كتابُ الله تعالى وسنةُ رسوله ، فآمنوا بجميع أسماء الله تعالى وصفاتِه الثابتةِ في النصوص الشرعية، فيصفون الله تعالى بما وصفَ به نفسَه، وبما وصفه به أعرفُ الخلق به رسولُه محمدُ بنُ عبد الله ، من غير تعطيل ولا تأويل، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيل، ويؤمنون بأنها صفاتٌ حقيقيةٌ تليق بجلال الله تعالى، ولا تماثلُ صفاتِ المخلوقين، عملاً بقوله تعالى:
 [الشورى: 11].

الأصلِ الثالث : باب القضاء والقدر :

توسّطَ أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين القدرية والجبرية.

 فالقدريةُ نفوا القدر، فقالوا : إن أفعالَ العباد وطاعاتِهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله تعالى وقدَره، فالله تعالى على زعمهم لم يخلق أفعالَ العباد ولا شاءَها منهم، بل العبادُ مستقلون بأفعالهم، والعبد على زعمهم هو الخالقُ لفعله، وهو المريدُ له إرادةً مستقلة، فأثبتوا خالقاً مع الله سبحانه، وهذا إشراكٌ في الربوبية، ففيهم شَبَهٌ من المجوس الذين قالوا بأن للكون خالقين.

 أما الجبرية : فقد غلوا في إثبات القدَر، فقالوا : إن العبد مجبورٌ على فعله، ولم يفرقوا بين أفعاله الاضطرارية وأفعالِه الاختيارية، فهو عندهم في جميع الحالات كالريشة في الهواء، لا فعل له، ولا قدرة، ولا مشيئة.

فهدى الله أهلَ السنة والجماعة للقول الحق والوسط في هذا الباب، فآمنوا بمراتب القضاء والقدر الأربعة

الثابتة في الكتاب والسنة، فأثبتوا أن العبادَ فاعلون حقيقة، وأن أفعالَهم تُنسَبُ إليهم حقيقة، وأن فعلَ العبد واقعٌ بتقدير الله تعالى ومشيئتِه وخلقه، فالله تعالى خالقُ العباد وخالقُ أفعالهم، وقد سبق للمسألة مزيد تفصيلٍ في بابها.

الأصلِ الرابع : باب الوعد والوعيد :

توسطَ أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين الوعيدية وبين المرجئة.

 فالوعيديةُ يأخذون بنصوص الوعيد ويُهملون نصوصَ الوعد، ومنهم الخوارج الذين يرون أن فاعلَ الكبيرة من المسلمين – كالزاني وشارب الخمر – كافر مخلد في النار.

 والمرجئةُ على العكس من الوعيدية، يأخذون بنصوص الوعد، ويُهملون نصوصَ الوعيد، فيقولون : إن الإيمانَ هو التصديق القلبي، وأن الأعمالَ ليست من الإيمان، فلا يضر مع الإيمان معصية.

أما أهلُ السنة والجماعة : فهم وسط بين الفريقَين، فصاحبُ الكبيرةِ عندهم مؤمنٌ ناقص الإيمان، مؤمنٌ بإيمانه، فاسقٌ بكبيرته، وأنه إذا مات وهو مصرٌّ عليها ولم يتب منها: فأمرُه إلى الله ـ وهو تحت مشيئتِه، إن شاء غفر له ابتداءً وأدخلَه الجنة، وإن شاء عذبه على قدر ذنوبه، ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة؛ إذ لا يخلد في النار إلا مَن كفر وأشرك.

والإيمانُ عند أهل السنة والجماعة قولٌ باللسان، واعتقاد بالقلب، وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

الأصلِ الخامس : باب أصحاب النبي :

توسّطَ أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين فريقَين متقابلين :

فريقٌ غلوا في حق آل البيت – كعلي بن أبي طالب وأولادِه - فادّعوا أن علياً معصوم، وأنه يعلم الغيب،

وأنه أفضل من أبي بكر وعمر ب، ومن غلاتهم مَن يــدّعي ألوهيّتَه.

وفي المقابل جفوا في حق أكثر الصـحابة □، فسـبُّوهم وقالوا: إنهم كفار، وأنهم ارتدوا بعد النـبي □ ، ولا يسـتثنون من الصحابة إلا آلَ البيت ونفـراً قليلاً قـالوا إنهم من أوليـاء آل البيت، كمـا أنهم يشـتمون أمهـاتِ المؤمـنين، وأفاضـلَ الصحابة □.

وفريق جفوا في حق آل البيت، فقابلوا البدعةَ ببدعـة، فسبّوا آلَ البيت وأبغضوهم، وهـؤلاء هم النواصـب، ومنهم الخوارج أيضاً، الذي كفّروا علياً □ وكفّـروا معاويـةَ بنَ أبي سفيان ب وكفّروا كلَّ مَن لم يكن على طريقتهم.

أما أهلُ السنة والجماعة : فيحبون جميعَ أصحاب النبي □ ، ويترضون عنهم، ويرون أنهم أفضل هذه الأمة بعد نبيهـا □ ، وأن الله تعالى قد اختارَهم لصحبة نبيه، ويمسكون عما شـجر بينهم، ويـرون أن أفضـلَهم أبـو بكـر، ثم عمـر، ثم عثمان، ثم علي – رضـي اللـه عنهم أجمعين – ويحبـون آلَ بيت النـبي □ ويـرون أن لهم حقين: حـق الإسـلام وحـق القرابةِ من رسول الله □ ، فيوالونهم، ويترضون عنهم.

ثالثاً : ثمرات الإيمان بأركان الإيمان :

هذه العقيدة السامية المتضمنة للإيمان بأركان الإيمان العظيمة تُثمرُ لمعتقِدِها ثمراتٍ جليلةً كثيرةً، ومنها :

من ثمرات الإيمان بالله تعالى :

الإيمانُ بالله تعالى وأسمائه وصـفاتِه يُثمِـرُ للعبـد محبـةَ اللــه تعـالى وتعظيمَـه المـوجِبَين للقيـام بـأمره، واجتنـابِ نواهيه، والقيامُ بأمر الله تعالى واجتنـابُ نهيِـه يحصـلُ بهمـا كمالُ السـعادة في الـدنيا والآخـرةِ للفـردِ والمجتَمَـع : □[illegible] □ [النحـل: 97].

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة :

1- العلمُ بعظمةِ خالقِهم تبارك وتعالى وقوَّتِه وسلطانِه.

2- شـكرُه تعـالى على عنايتِـه بعبـاده، حيث وَكَّلَ بهم من هؤلاء الملائكةِ مَن يقومُ بحفظِهم وكتابةِ أعمالِهم وغيرِ ذلك من مصالحهم.
3- محبةُ الملائكةِ على ما قاموا به من عبادة اللـه تعـالى على الوجه الأكملِ واستغفارِهم للمؤمنين.

ومن ثمرات الإيمان بالكتب :

1- العلمُ برحمـة اللـه تعـالى وعنايتِـه بخلقِـه، حيث أنـزلَ لكل قومٍ كتاباً يَهديهم به.
2- ظهورُ حكمة اللـه تعـالى، حيث شـرعَ في هـذه الكتب لكل أمةٍ ما يُناسـبُها، وكـان خـاتَمُ هـذه الكتب القـرآنُ العظيمُ مناسباً لجميع الخلقِ في كل عصرٍ ومكانٍ إلى يوم القيامة.
3- شكرُ نعمة الله تعالى على ذلك.

ومن ثمرات الإيمان بالرسل :

1- العلمُ برحمة اللـه تعـالى وعنايتِـه بخلقـه، حيث أرسلَ إليهم أولئك الرسلَ الكرامَ لإ للهدايةِ والإرشاد.
2- شكرُه تعالى على هذه النعمةِ الكبرى.
3- محبـةُ الرسـلِ لإ وتوقـيرُهم والثنـاءُ عليهم بمـا يليقُ بهم؛ لأنهم رسلُ الله تعالى وخلاصةُ عبيده، قاموا للـه تعـالى بعبادتِـه وتبليـغِ رسـالتِه، والنصـحِ لعبـاده، والصبرِ على أذاهم.
4- العـزم على ترسُّـمِ خطـاهم في تبليـغ الـدين، واختيـار أمثـل السـبل لـذلك، مـع الصـبر على أذى المخلوقين، والثبات عليه.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

1- الحرصُ على طاعة اللـه تعـالى رغبـةً في ثـواب ذلـك اليوم، والبعدُ عن معصيتِه خوفاً من عقاب ذلك اليوم.
2- تسـليةُ المـؤمنِ عمّـا يفوتُـه من نعيم الـدنيا ومتاعِهـا بمـا يرجوه من نعيم الآخرةِ وثوابِها.

ومن ثمرات الإيمانِ بالقضاء والقدَر :

6- الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب؛ لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله تعالى وقدره.
7- راحة النفس وطمأنينة القلب؛ لأنه متى علم العبد أن

ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة : ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب وقَدَرِه.

8- طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأن حصول ذلك نعمةٌ من الله تعالى بما قضاه وقدَّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويَدَعُ الإعجاب.

9- طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه؛ لأن ذلك بقضاء الله تعالى وقدَرِه الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائنٌ لا محالة، فيصبر على ذلك، ويحتسب الأجر.

نسـأل اللـه تعـالى أن يثَبِّـتَنا على هـذه العقيـدة، وأن يُحَقِّقَ لنا ثمراتِهـا، ويزيـدنا من فضـله، وأن لا يزيـغ قلوبَنـا بعد إذ هدانا، وأن يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمة، إنه هو الوهّابُ.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله تعالى على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فهرس الموضوعات